

الرسائل الجامعية



جامعة بغداد

كلية التربية /ابن رشد

الفكر السياسي والإداري للرسول ﷺ في تأسيس الدولة الإسلامية

أطْروحَة تَقَدَمَ بها

رحمن حسين علي الجيزاني الحسني

الى مَجلسِ كُلّيَة التَرْبِيَة –ابن رُشدْ– جَامعَة بَغْداد وَهي جُزءٌ مِن

مُتطلبات نيل درجة الدكتوراه في تاريخ السيرة النبوية

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد الأمير عبد دكسن



١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ

صدق الله العظيم

سورة الأنبياء / الآية ١٠٤

إقرار

أشـهد أن إعـداد هـذه الأطروحـة ٠الموسـومة {**الفكــر السياســـي و الإداري للرسول ﷺ في تأسيس الدولة الإسلامية**} قد جرى تحت إشـرافي فـي كليـة التربيـة–أبـن رشـد– جامعـة بغـداد ، وهـي جـزء مـن متطلبات نيل درجة الدكتوراه في تاريخ السيرة النبوية ٠

التوقيع

الأستاذ الدكتور

عبد الأمير عبد دكسن

المشرف

/ /٢٠٠٨

بناء على هذه التوصية ، أرشح هذه الأطروحة للمناقشة ٠٠

التوقيع

الأستاذ الدكتور

فلاح الأسدي

رئيس قسم التاريخ–كلية التربية –ابن رشد –

جامعة بغداد

/ /٢٠٠ ٨

الإهـــداء

الى من كنت أتمنى أن أضع هذا الجهد بين يديها لأنعم بلحظة فرح وحنان ، لكن المنية فوق كل العظائم، ولا جدال في حكمه جلّ وعلى ٠٠أمي

الى عماد خيمتي ، ونهر الثقة الذي سقاني ٠٠أبي

الى درر فؤادي ونبضه ٠٠أخوتي

الى من لا تعرف إلا الطيبة والأمل ٠٠زوجتي

الى باقة الزهور الفواحة ٠٠أولادي عوف وغيث والحسين ومها وسهى

الباحث

شكر وتقدير

يسرني وأنا أنتهي من كتابة هذه الأطروحة أن أشكر الله جل وعلا الذي يسّر لي أمري وأضاء طريقي ٠

ويسعدني أن أزجي شكري وعرفاني لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عبد الأمير عبد دكسن عميد كلية التربية ، الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على هذه الأطروحة التي إستضاءت بآرائه السديدة ، والتي أتعبته بالمراجعة والتدقيق ٠

كما أتقدم بشكري الجزيل الى الأستاذ الدكتور عبد الحسين مهدي الرحيم ، والدكتور فلاح الأسدي رئيس قسم التاريخ والدكتور حسين داخل والدكتور مشتاق المياحي ، لما قدموه من مشاركة في مناقشة الآراء والطروحات التي تضمنتها الدراسة ، ولما أفاضوا عليّ من الكرم في إعانتي في توفير المصادر والمراجع ٠

والشكر موصول لكل من أسدى إلي النصح والمعونة٠

ومن الله التوفيق

الباحث

الفهرســـت

الفصل الثالث

تأسيس الدولة الإسلامية

الفصل الرابع

الأبعاد لاجتماعية و السياسية والإدارية في شخصية الرسولﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

نطاق البحث وتحليل المصادر والمراجع

خير ما نفتتح به مقدمة هذه الدراسة التي تناولت دراسات في الفكر السياسي الإداري للرسولﷺ في تأسيس الدولة الإسلامية ، هو الصلاة والسلام على صاحب هذا الفكر العظيم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب العربي الأمي القرشي رسول الهداية وعلى آله مصابيح الهدى الأطهار وصحبه الغر المنتجبين الطيبين .

أولاً : **نطاق البحث:**

تعد دراسة الموضوع الفكري للرسول الكريم ﷺ محور الدراسات في السيرة النبوية المطهرة ، كون السيرة هي السفر الإسلامي الأول في تاريخ الأمة الإسلامية ومنها بدأت الانطلاقة الأولى والتي تمتد على مدى خمسة عشر قرناً ، ومن هذا السفر بدأت بواكير تأسيس الدولة والعقيدة والإيمان والعدل والحرية والمساواة .

ومن أجل هذا تظهر أهمية الموضوع ، على الرغم مما كتب في السيرة من قبل أعلام المؤرخين ، فالتحديات الجسام التي واجهت الرسول ﷺ ورعيل من صحابته الكرام(رضي الله عنهم أجمعين) ، من مجتمع طبقي جاهل ومتعصب في شركه بوحدانية الله تعالى ، قل فيه الناصر والمعين ، هذا إذا ما علمنا ان عدد المسلمين بعد ثلاثة عشر عاماً وصولاً للهجرة الى يثرب لم يتجاوز المائة والخمسين ، فكان الطرف المشرك يحاول القضاء على هذا الرعيل ورسالته بكل الوسائل ، فاستخدم العنف تارة والتسفيه والحصار تارة أخرى .

والرسول الكريم ﷺ في كل شمائله الحميدة ومعجزاته الربانية ، التي خلقت منه أرقى مفكر إجتماعي وإداري وسياسي على مستوى الفكر العالمي حتى قيام الساعة ، كان يروم إنقاذ ونقل مجتمعه أولاً ، والأمة والإنسانية ثانياً ، من براثن الجاهلية المتعصبة والتسلط ، فتعاطى معها بأرقى السبل .

إذ من المعلوم أن حياة المجتمعات ليست أحداثاً متباينة ومنفصلة عن بعضها البعض ، انما هي استمرار يضع الماضي وكل ما حصل عليه في صميم الحاضر ، الذي يجب أن يستمد منه القوة والحركة ووسائل التطور، ليقدمه بخطى ثابتة مطمئنة الى المستقبل الجديد ، إلا أن هذا الحال لم يتسق مع الفكر القيادي للرسول ﷺ فتصرف بوصفه قائداً ودبلوماسياً من الطراز الأول ،ولم يكن يوماً ملكاً أو سلطاناً أو إمبراطوراً مثل قادة الحواضر المجاورة .

ومن جانب آخر لم ينجرف ويغطس الباحث بشكل سردي مع الأحداث التاريخية التي سلط عليها المؤرخون معظم أقلامهم كي لا يكون بعيداً عن الهدف ، وليكون في صميم موضوعه الجانب الفكري ، وفك بعض الإبهام الذي لم يتطرق اليه المؤرخون بصورة متجردة وواضحة قدر الإمكان ٠

ولكي نطلع بشكل تفصيلي على سنا هذا الفكر الإيماني البطولي الأخلاقي ،ومقدار البذل والعطاء ، والهول الذي تحمله الرسول ﷺ ، والنور الذي أشع لينهض بالبشرية كلها من وثنية الضمير والفرقة وضياع المصير ، أعدت هذه الأطروحة لتكون في أربعة فصول ٠

- الفصل الأول منها اتخذ من أوضاع ساحة الدعوة الاسلامية (الحجاز) الإجتماعية والسياسية والدينية والإقتصادية قبيل الاسلام ، وشخصية الرسول ﷺ في تكوين الأمة عنواناً له ٠
- الفصل الثاني إختص بالفكر العقائدي والسلوكي للرسول ﷺ في تكوين الأمة الجديدة في محاور العقيدة والعبادة ، والفكر الإجتماعي والإقتصادي ،مروراً بمراحل الدعوة ، ومن ثم البرنامج السياسي للرسول القائد ﷺ٠
- الفصل الثالث كرس لكيفية تأسيس الدولة الاسلامية، من خلال فكرة تأسيس الدولة ، وحدودها الجغرافية ، وقانونها ، وأسس العلاقات التي تبناها الرسول ﷺ في المجتمع الجديد ٠
- وآخر فصولها إختص بالأنماط السياسية والإدارية في شخصية الرسول من خلال البعد الإجتماعي ، والبعد السياسي في المجال الداخلي والخارجي ، والبعد الإقتصادي على أساس التشريعات الإقتصادية ، ثم البعد الإداري وعوامل وحدة الأمة ٠

ثانياً : **تحليل المصادر** :

ومن أجل الوصول الى هدف البحث كانت الإستعانة بالله جل وعلا ، وبكتابه الكريم اساساً ،فقد أفدت من العديد من المصادر التأريخية والأدبية والجغرافية ، الأولية القديمة ، والمراجع الحديثة ،وسأذكر المهمة منها والرئيسة وحسب التسلسل الزمني لها ومنها :

كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمصنفات :

استعانت الدراسة بما تطلب من رواية الحديث وتصنيفها وبيان قوة مسانيدها لإرتباطها في بعض الأحداث التاريخية فكان عماد الرواية من كتب أئمة المسلمين منهم ، كتابي **المدونة الكبرى والموطأ** ، للإمام مالك ، ابو عبد الله مالك بن انس الاصبحي الحميري (ت١٧٩هـ / ٧٩٥م) ، ، وكتابي **الأم و الرسالة** ، للإمام الشافعي ، ابو عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م) ، **و مسند احمد ابن حنبل** ،للإمام ، احمد بن حنبل بن محمد بن احمد الشيباني الوائلي (ت٢٤١هـ /٨٥٥م) ، وكتاب **الجامع الصحيح** ،المعروف(صحيح البخاري) ،لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة(ت٢٥٦ هـ / ٨٧٠م) ، وكتاب **صحيح مسلم** ، لمسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ /٨٧٥م) ، وكتاب **سنن أبي داود** ، لأبي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ / ٨٨٧م) ، وكتاب **الأصول من الكافي** ، للشيخ الكليني ، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت٣٢٩هـ /٩٤١م) ، وكتب **المعجم الكبير المعجم الأوسط الأحاديث الطوال** للطبراني ، سليمان بن احمد بن ايوب اللخمي (ت٣٦٠هـ / ٩٧١م) ، وكتاب **من لا يحضره الفقيه** للشيخ الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/٩٩١م) ، وغيرها من امهات الكتب ٠

كتب التفسير والفقه :

ولما كانت الدراسة قد أهتمت بالأحكام والتشريعات وأسباب نزول الآيات القرآنية فكان الإعتماد على كتب المفسرين والفقهاء منها ، كتاب **تفسير مجاهد**، لأبي المصباح مجاهد بن جبر المكي المخزومي (ت١٠٤هـ/٧٢٢م) ، وكتاب **تفسير القرآن** للصنعاني ، عبد الرزاق بن همام (ت٢١١هـ /٨٢٧م) ، وكتاب **المعيار والموازنة** ، للإسكافي ، ابو جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي السمرقندي (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م) ، وكتاب **جامع البيان في تأويل آي القرآن ، المسمى (تفسير الطبري)** للطبري ،أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ /٩٢٢م) ، وكتاب **أحكام القرآن** ، للجصاص ، ابو بكر احمد بن علي (ت٣٧٠هـ /١٢٤٢م) ، وكتاب **الأحكام في أصول الأحكام** لإبن حزم ، ابو محمد علي ابن احمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، وكتاب **التبيان في تفسير القرآن** ، للطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) ، **وكتاب تفسير جوامع الجامع** ، للطبرسي ، ابو علي أمين الدين الفضل بن الحسن بن الفضل (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) ، وكتاب **مفاتيح الغيب المسمى (تفسير الرازي)** الفخر الرازي ، ابو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٨م) ، وكتاب **الجامع لأحكام القرآن**

المسمى(تفسير القرطبي)، ابو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري (ت٦٧١هـ /١٢٧٣م) ، وغيرها ٠

كتب السير :

لما كانت الدراسة تختص بمرحلة السيرة النبوية المطهرة وأحداثها ومخرجاتها، كان لا بد من الإعتماد على كتب السير ، فاستعنت بقسم منها على سبيل المثال ،**السيرة النبوية لإبن هشام** ، ابو محمد عبد الملك الحميري (ت٢١٣هـ/٨٢٨م) ، وهي إختصار لسيرة محمد بن اسحاق بن يسار(ت١٥١هـ/٧٦٨م) كونها مليئة بالأخبار والمادة التاريخية العامة لأنتقي منها بعض الروايات لغرض التوكيد والدقة ، والسيرة النبوية للقاضي عياض ، ابو الفضل عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ / ١١٤٩م) ، المسماة **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**ﷺ ، لغنائها بالأمور الفقهية والشرعية والتي إنعكست على الجوانب الإدارية والسياسية والإقتصادية، **والسيرة النبوية** لإبن كثير أبي الفداء عماد الدين بن اسماعيل (ت٧٧٤هـ/١٣٢٧م) ، كونه تطرق بشكل تفصيلي ،الى صحيفة المدينة ، والسيرة النبوية لابن سيد الناس، فتح الدين محمد بن عبد الله بن أحمد الشافعي (ت٧٣٤هـ / ١٣٣٤م) **المسماة عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، لذكره بعض الشروح فيما يتعلق بتأسيس الدولة التي لم تذكر بالاسم الصريح في سير من سبقه ، ثم السيرة النبوية للصالحي الشامي شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الشامي(ت ٩٤٢هـ/١٥٣٦م)، المسماة **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد** ، وغيرها من الكتب التي تعد من مصادر كتب السير٠

كتب الطبقات والتراجم والأنساب :

لما كان صاحب السيرة المطهرة وشخصياتها وقبائلهم تحتاج الى تعريف واستبيان كان لزاماً على الباحث الرجوع الى هذه المصادر ، فمن كتب الطبقات ، **كتاب الطبقات الكبرى** ،لابن سعد محمد بن منيع البصري (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) ، كونه يذكر باسهاب المعلومات عن الصحابة ومنذ الولادة حتى الوفاة ، وما بينها من مواقف لم يتطرق اليها غيره ، وكتاب **الطبقات لخليفة بن خياط** ،لأبي عمر خليفة بن خياط العصفري(ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) إذْ تطرق الى حياة الصحابة من خلال علاقتهم بالنبيﷺ ، وبعض المهام في بداية الدعوة ٠

ومن كتب التراجم ، كتاب **الثقات** لأبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م) ، وكتاب **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ، لابن الأثير علي ابن

أبي الكرم الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، وكتاب **الإصابة في تمييز الصحابة** لإبن حجر أحمد بن علي العسقلاني(ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) كون هؤلاء الثلاثة ذكروا مفصل حياة الصحابة على أساس رواية الحديث وشرح أحوال رواتها ، وكانت تراجمهم أكثر خصوصية بمن روى الحديث النبوي الشريف ، بعد أن حددوا مَنْ هو الصحابي بشكل دقيق ، و لم تكن تراجمهم وفقاً للسرد التاريخي العام.

ومن كتب **الأنساب** ، كتاب **أنساب الأشراف** للبلاذري ، أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، وكتاب الإكليل ،للحسن بن يعقوب الهمداني (ت٣٥٠هـ/٩٦٠م) ، وكتاب **الأنساب** للسمعاني ، عبد الكريم بن محمد (ت٥٦٢هـ/١١٦٧م) ،كونهم إقتفوا أثر الصحابة قبلياً وبلدانياً ، وبينوا آثارهم ، وكتاب **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، ابن ابي أصيبعة ، موفق الدين أحمد بن ابي اصيبعة القاسم بن خليفة (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٩٠م) ، الذي تفرد بذكر روايات من عمل في المجال الطبي، وكانت رواياته محور الفصل الأول ٠

الكتب التاريخية :

اهتمت الدراسة بالرجوع الى المصادر التاريخية التي تناولت تلك الأحداث والتي لم يعاصروها طبعاً ، بل كانوا الأقرب منها ، وهي كتاب **مغازي الواقدي** ، لمحمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ / ٨٢٣م) ، إذْ أسهب في مغازي الرسول ﷺ ومن شارك بها ومن تولى المدينة ،وذكر مفصلاً الغنائم وكيفية تقسيمها ، وكتابي **المحبر والمنمق في أخبار قريش**، لمحمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ/٨٥٩م) ، لتفردة بذكر روايات إجتماعية لم يذكرها غيره من المؤرخين ، **وكتاب تاريخ مكة وما جاء بها من آثار** للأزرقي ،ابو الوليد محمد بن عبد الله بن الوليد (ت٢٥٠هـ /٨٦٤م) ، إذْ ذكر تفاصيل مهمة في حياة المهاجرين في المدينة واسواقها ، ومنازلهم ، وكتاب **تاريخ الرسل والملوك** ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ / ٩٢٢م) إذ يعد في طليعة من تحدث عن الأدوار الرئيسة في السيرة ، ودور الصحابة في توسيع الرقعة العقائدية للإسلام والأمصار التي أسلمت ، على الرغم من أن معظم مادته التاريخية نقلت عن ابن اسحاق وابن هشام ، لكنه توسع فيها كثيراً ،ونقل ما يناقضها أو لا تتشابه معها ، وكتاب **الكامل في التاريخ** ، لإبن الأثير ، ابو الحسن عز الدين علي بن ابي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣١م) ، كون رواياته تتصل بسند تاريخي عملاً برواية الحديث ، ويعطي رأيه في بعض الأحداث ٠

كتب الجغرافيا والبلدان والرحلات :

ولغرض الوقوف على أماكن المدن والمواضع ، وبعض الأمور التي تهتم بالحياة الإجتماعية والتقاليد ، وثقافة الأمم كانت الإستعانة بكتب البلدانيين ، كتاب **تاريخ المدينة المنورة** ،لإبن شبة النميري ، ابو زيد عمر بن عبيد بن ريطة البصري (ت٢٦٢هـ/ ٨٧٦م) ، وكتاب **فتوح البلدان** ، للبلاذري ، احمد بن يحيى ابن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، وكتاب **تاريخ بغداد** ، للخطيب البغدادي ، ابو بكر علي بن احمد (ت٤٦٣هـ / ١٠٤٣م) ،وكتاب **تاريخ مدينة دمشق** ، لإبن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت٥٧١هـ /١١٧٦م) ، **وكتاب معجم البلدان** ، لياقوت ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي(ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) ٠

ومن كتب الجغرافيا والرحلات ، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ، محمد بن احمد (ت٣٨٠هـ / ٩٩٠م) ، وكتاب **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** للبكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد الكريم الاندلسي (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) ،**وكتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق** للإدريسي ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله(ت٥٦٠هـ /١١٦٥م) ، وكتاب **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)** لابن بطوطة ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللتواني (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٨م) ٠

الكتب الأدبية :

وللنصوص الشعرية التي وردت في ثنايا الدراسة أهمية في اغناء وتوثيق بعض ما ورد في هذه الإطروحة ، فاستعنت بالكتب الأدبية منها ، كتاب **بلاغات النساء** ، لإبن طيفور ، ابو الفضل بن أبي طاهر (ت٢٨٠هـ /٨٩٢م)، كونه أهتم بشعر النساء الصحابيات ، وكتاب **الأغاني** ، للأصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ / ٩٧٦م) ،وكتاب **شرح شافية ابن الحاجب** للأسترباذي ، وفي الدين محمد بن الحسن الاسترباذي النحوي (ت٦٨٦هـ / ١٣٠٨م) ٠

كتب المعاجم اللغوية :

لغرض الوقوف على إيضاح بعض التسميات والمفردات تطلب الرجوع الى المعاجم اللغوية ، وكان منها ، **كتاب العين** ،للفراهيدي ، ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ /٧٨٦م) ، **وكتاب الفائق في غريب الحديث** ، للزمخشري ، جار الله محمود بن عمر (ت٥٨٣هـ /١١٤٤م) ، وكتاب **لسان العرب** ، لإبن منظور ،

ابو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ /١٣١١م) ، وكتاب **تاج العروس في جواهر القاموس** ، للزبيدي ، محمد مرتضى بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني(ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)٠

المراجع الحديثة :

كانت الدراسة بحاجة الى بعض الروايات التي استنبطها المؤرخون المحدثون الأجانب منهم والعرب ، فقد استعنت بقسم منهم ، فمن الأجانب ، كتابي **محمد في مكة** و **محمد في المدينة** ، لمونتغمري وات ،اذ تطرق الى حياة الرسول ﷺ في المدينتين بشكل سياسي واجتماعي ، وحللها وفق منظور حديث ، بالرغم من أن هذه التحليلات لم تكن دقيقة بشكل يتفق مع العقيدة الإسلامية ، لكنها لم تخلُ من نوع من الفائدة ، وكتاب **التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى** ، لآي أشتور ، الذي ذكر بعض الإحصائيات عن سكان المدينة ، وذكر بعض الضرائب التي كانت تفرض في بعض الأمصار قبل الاسلام ، وكتاب **جزيرة العرب قبل البعثة** لأوليري ، دي لاسي ، وكتاب **مكاتيب الرسول**ﷺ ، للأحمدي الميانجي ، علي بن الحسين بن علي الأحمدي ، الذي ذكر معظم رسائل النبيﷺ للملوك والأباطرة ورؤساء القبائل وبعوثة و وأمرائه ، وكتاب **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب** ، للآلوسي ، محمود شكري ، الذي فصل الحياة الإجتماعية لحياة العرب في الجزيرة العربية ، وكتاب **العرب قبل الإسلام** ، لجرجي زيدان ،وكتابي **تاريخ العرب قبل الاسلام والمفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام** ، للدكتور جواد العلي ، وكتابي **تاريخ العرب قبل الاسلام** و **دراسات في تاريخ العرب** ، لسيد عبد العزيز سالم ، وغيرهم ٠



الفصل الأول

أوضاع الحجاز قبيل الإسلام

تمهيد

لما كان إهتملم هذا البحث هو ، يكون لزاماً على الباحث أن يبين معنى ومفهوم الفكر إعماماً للفائدة .

الفكر في اللغة:

الفكر هو إعمال النظر في الشيء فالفكرة والفكري أفكار وفكر فيه وأفكر وفكر وتفكر هو تفكير كسكيت ، وفكير كثير التفكير ([1]).

والفكر : هو الاسم من التفكير ومصدره بالفتح ، كون الفتح فيه أفصح ، ويقال ليس لي في الأمور فكر ، أي ليس لي فيه حاجة ([2]) .

الفكر في الشريعة :

ويرى أهل الشريعة ان الفكر هو التأمل في الشيء المفكر فيه والتخيل بينه وبين غيره ، وبهذا يتميز عن سائر الأغراض في الإدارة والاعتقاد ([3]) .

والفكر : هو ما يوصلك إلى الله تعالى ، ولا نعني هنا العبادة ،فالعبادة توصلك الى الثواب من الله ، وأن الفكر هو عمل القلب والطاعة لعمل الجوارح .

والفكر لا يعني التفكر ، فالتفكر هو التأمل ، والفكر له معنيين ،أحدهما القوة المودعة في مقدمة الدماغ ، وثانيهما أؤها على ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها الى يكون علماً أو ظناً ([4]) ، على هذا يكون صاحب الفكر يمتلك القدرة على رقي الإنسان وبناء الحضارات السليمة والإنسان الصالح .

والتفكير من الفكر بالكسر وهو التأمل ، وهو في العرف حركة النفس بالقوة التي آلتها مقدمة الدورة الواقعة في البطن من الدماغ مطلقاً ، أي ساء كان من المطلوب الى المبادئ أو بالعكس ، والفكر هو إنتقال النفس في المعاني إنتقالاً بالقصد ،

([1]) الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧ هـ /١٤١٥م) القاموس المحيط ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٨م ،مادة(فكر) .

(٢) الجوهري ، اسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ /١٠٠٢م)،الصحاح في تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق احمد عبد الغفار عطار، دار العلم للملايين ، بيروت ١٤٠٧هـ ، مادة (فكر).

(٣) الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) ،الإقتصاد الهادي الى طريق الرشاد ، تحقيق حسن سعيد ، مكتبة جامع ، قم ١٤٠٠هـ ، ص٩٤ .

(٤) الطريحي فخر الدين محمد بن علي بن علي الرماحي النجفي(ت١٠٨٥هـ/١٦٧٤م) ، مجمع البحرين ، تحقيق السيد أحمد الحسيني ، النجف ١٣٧٥هـ ، مادة (فكر)

وهذه الحركة تسمى في المعقولات فكراً ، وفي المحسوسات تخيلاً ، فهي قوة واحدة تسمى مفكرة ومتفكرة بإعتبار ، ومخيلة ومتخيلة بإعتبار ، والتضعيف هنا للمبالغة (٥).

وذكر المحققون من أهل العقول أن الحواس والمشاعر الانسانية عشرة ، خمسة منها الحواس الظاهرية وهي :السامعة والباصرة والشامة والذائقة واللامسة ، وخمسة منها الحواس الباطنية وهي : الحافظة والواهمة والمفكرة والمخيلة والحس المشترك(٦) .

وفي الفكر يقول ابن خلدون(٧) : ان الفكر هو الرغبة في تحصيل ما ليس عند الفرد من الإدراكات فيرجع الى من سبقه من يعلم وزاد عليه بمعرفة وإدراك ، وأخذه ممن تقدمه الأنبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على أخذه وعلمه ثم أن فكره ونظره بتوجيه واحد واحد من الحقائق وينظر الى ما يعرض له لذاته واحداً بعد آخر ويتمرن على ذلك حتى يصير إلحاق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علماً مخصوصاً .

ويقول : (٨) ترتقي جميعها الى قوة الفكر ، وهي القوة التي يضع فيها حركة الرؤية والتوجيه نحو التعقل فتحرك النفس بها دائماً لما ركب فيها من النزوع للتخلص من درك القوة والإستعداد الذي للبشرية ، وتخرج الى العقل في تعلقها في الملاء الأعلى الروحاني وتصير في أول مراتب الروحانيات .

أما الجرجاني (٩) فيقول في الفكر :هو ترتيب أمور معلومة لتحصيل أو مجهول .

---

(١) البحراني ، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم (ت ق٦هـ/ ق ١٢م) ، على المائة كلمة ، تحقيق جلال الدين الحسيني ،قم ١٣٩٥هـ ، صص٨٧-٨٨ .

(٢) الجوهري ، الصحاح ، مادة (فكر) .

(٣) ابن خلدون ، ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، دار إحياء التراث العربي، بيروت .لا.ت ، ج١ ، ص٢١٧ .

(٤) تاريخ ابن خلدون ،ج١ ، ص٩٦-٩٧ .

(٥) الجرجاني ، علي محمد بن علي (ت٨١٦هـ/١٤١٢م) ، التعريفات ، تحقيق إبراهيم الانباري ، دار الكتاب ، بيروت ١٤٠٥هـ ، ج١ ، ص٢١٧ .

الحياة الإجتماعية في الحجاز قبل الإسلام

للعوامل الجغرافية والاقتصادية والثقافية كبير الأثر قي ظهور المجتمعات على أطراف شبه الجزيرة العربية ، فظهرت مجتمعات حضرية يغلب عليها الطابع الزراعي ، وعلى القسم الآخر الطابع التجاري خصوصاً في غربها ، في حين كان وسطها وعلى العكس تماما من الحال الطبيعي ، إذْ تكون وسط البلاد عادة لكونهالمركز الأكثر تحضراً وتمدناً كونه بعيداً عن البداوة من الأطراف ، إلا انه كان مجتمعاً بدوياً رعوياً ، إذْ كان للصحراء والبحر الأحمر دور مهم في تكوين عزلة بشرية لأهل وسط شبه الجزيرة العربية (الحجاز)[*] .

وقد امتزجت بعض المؤثرات الثقافية في المجتمع الحجازي والتي جاءت مع التجارة ، أو الإحتكاك في أطراف الجزيرة(الجنوب والشرق والشمال)حيث بلدان اليمن وفارس والشام ، وعلى الرغم من محدودية هذه التأثيرات ، فان التأثيرات الإجتماعية كانت شبه معدومة .

ففي الحجاز عاشت القبائل وهي الوحدات السياسية والإجتماعية والاقتصادية ، حياة تمثلت فيها المحافظة على التقاليد والعادات التي ورثوها عن الأسلاف ، فحياة الجماعة ومفاهيمها القانونية والأخلاقية والسياسية هي أعراف القبيلة ، ومنهاجها في السيطرة على المجتمعات البدوية وحتى المستقرة منها ،فنرى مجتمع الحجاز عموماً بمدره وحضره يسير وفق التقاليد القبلية[١] .

وقبيل ظهور الإسلام أي في القرن السادس الميلادي كانت عموم شبه الجزيرة العربية قد تعرضت لأزمات حادة بسبب الصراع بين الإمبراطوريتين الساسانية في الشرق والبيزنطية في الغرب والأحباش في الجنوب وعبر البحر الأحمر في بلاد الحبشة ، إذ زالت

(*)الحجاز : هو أحد كور الجزيرة العربية يبدأ من تخوم صنعاء من عبلاء وتبالة ، الى تخوم الشام ، ومدنه مكة والطائف ويثرب ، سمي حجازاً لأنه يحجز بين تهامة ونجد ، وقيل الحجاز ما بين جبلي طئ الى طريق العراق لمن يريد مكة ؛ المقدسي ، محمد بن احمد (ت٣٨٠هـ) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق غازي طليمات ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٨٠م ، ج١ ، ص٨١ ؛ ياقوت ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(ت٦٢٦هـ) معجم البلدان ، دار إحياء التراث ، بيروت ١٩٧٩م ، ج٢ ، ص١٩) .

[١] عبد العزيز الدوري ، مقدمة في التاريخ الإقتصادي العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٨م ، ص٩ .

على أثرها بعض الكيانات مثل (كندة)[*] والمناذرة والغساسنة ، ولتجعل من الحجاز مجتمعاً عقيماً لا يمكنه تأسيس أو إنشاء كيان سياسي مثل غيره من الكيانات[١] ، أو لعل ان مرد هذا الحال يوحي الى تحاشي أهل الحجاز الأطماع والتهديدات الخارجية .

يقول الفيلسوف الإنكليزي ولز[٢] :لم تكن لأهل الحجاز في القرن السادس إمارات ، ولم يشكلوا خطراً في الصحراء ، وفي مستهل القرن السابع كان عدد سكان يثرب (١٥) ألف نسمة ، وأهل مكة بين(٢٠-٢٥) ألف نسمة ، وسماهم المستشرقون (عرب الصحراء).

ويرى كلود كاهين[٣]: ان التنظيم القبلي جعلهم لا يقبلون سلطاناً يذعنون اليه إلا لسلطة تحكيمية معنوية يتمتع بها شيخ القبيلة المختار ، وكان تحالفهم القبلي يعوضهم عما يشعرون به من شوق الى الحرية ويدفعهم الى الغزو والغنائم والأخذ بالثأر ، فكانوا والحالة هذه عاجزين عن انشاء اتحاد فيما بينهم يجمع شملهم يكون أكثر استقراراً من وضعهم القبلي.

فرض هذا الحال تنوع الحياة التجارية والاجتماعية فأصبح الحجاز ممراً أو طريقا للتجارة الخارجية ، وبالتالي شارك الرؤساء بالتجارة ولتتجمع عندهم الثروات بمرور الزمن ، ويخلق منهم طبقة اجتماعية (ارستقراطية) [٤] اتخذت من القبيلة والمال سبيلاً لتوكيد نفوذها وسلطانها، ولتنتج بشكل طبيعي أمام هذه الطبقة القوية المتسلطة طبقة من الضعفاء والفقراء والعبيد ،بينها وبين سابقتها تبايناً اجتماعياً قلقاً ، فيه توكيد على الفردية المستقلة زعزعت فيما بعد المفهوم القبلي ، وأضعفت الروح الإجتماعية وروح الجماعة ، بل ان هذا التباين وصل الى القبيلة الواحدة ، فهناك قريش البطاح والظواهر ، وهناك مجلس قريش في دار الندوة المسمى

---

[*] كندة : تقع بلاد كندة شرقي بلاد اليمن ، ما يلي حضر موت ، وكندة هي قبيلة كبيرة سميت باسم زعميها ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، سمي كنده ، لأنه كند أباه ،أي كفر بنعمته ؛ الهمداني ، لسان الدين الحسن بن احمد بن يعقوب (ت ٣٣٤هـ) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٩م ، ص٨٥ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ج١، ص٩٦.

[١] التونسي ، خير الدين ، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، مطبعة الدولة ، تونس ١٣٨٤هـ ، ص ٢٤٣ .

[٢] هـ.ج.ولز، معالم تاريخ الإنسانية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مطبعة مصر الجديدة ، القاهرة ١٩٦١م ، ج٣ ، ص٧٧٣ .

[٣] كلود كاهين ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية ، ترجمة بدر الدين القاسم ، دار الحقيقة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٣م ، ص٨ .

[٤] أوليري ، دي لاسي،جزيرة العرب قبل البعثة ، ترجمة موسى علي الغول ، عمان ١٩٩٠م ، ص٧٤ .

بـ(الملأ)،الذي لا يدخله كل قرشي ، ومن غير قريش حتى يبلغ الأربعين من العمر، وهناك الأحلاف ، التي نشأت بسبب حالات الصراع بين قوى الإحتكار والتسلط والمعارضين ٠

ويصف المؤرخ آشتور[١] الحالة الاجتماعية في الحجاز فيقول :"عاش الأشراف وهم زعماء القبائل والتجار حياة بذخ مترفة " ، وكان لا بد من وجود تناقض بين طبقات المجتمع الدنيا وهؤلاء الأشراف وهو كبير جداً ، وكان هذا التناقض علامة مميزة في التاريخ الحجازي ،كما سيأتي ذكره ، ولو ان هذه الصورة ورثت في الاسلام ولو في إطارها الاجتماعي التقليدي ، لكن الفارق في الغرض كون أثرياء الصحابة سخروا المال لخدمة الاسلام، والهدف الذي يسعى الى انشاء مجتمع جديد مثالي ، والسلوك الشخصي الذي بقي ملتزماً بالنبل والكرم والإيثار، كان كل هذا لا يقارن مع حالته قبل الاسلام ٠

مما تقدم يتضح ان المجتمع الحجازي مجتمع طبقي مقسم الى طبقتين رئيستين ، هما الطبقة الأولى مالكة كل شئ ، ولها حقوق الحرية والإجارة[٢] ، تتبعهم طبقة صغيرة هم الأحلاف ،الذين لجئوا الى الطبقة الأولى على شكل أفراد أو جماعات أو قبائل ، والطبقة الثانية هم الغالبية معظمهم من أسرى الحروب أو ممن اشتري من أفريقيا أو أصبح مولى بالولادة أو من خلال دين لم يقدر سداده أو خسارة بقمار ، وبهم من كان يباع ويشترى كالحاجات المنقولة ، ولهؤلاء عادة تعهد الأعمال اليدوية التي يأنف أصحاب الطبقة الأولى العمل بها كالرعي والحدادة والحجامة والنجارة وغيرها[٣]، وهم لا يملكون من الحرية الاجتماعية شيئا ، بل عرفوا بأسماء خاصة بهم ، فمن كان لون أمه أبيض كان من

(الهجناء)[٤] ، ومن كان من أبناء الأماء السود يدعى (أغربة العرب)[١] ، هذه لمحة عن طبيعة التركيبة الإجتماعية للمجتمع الحجازي٠

---

[١] آي، آشتور ، التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى ، ترجمة عبد الهادي عبلة ، مطبعة خالد بن الوليد ، دمشق ١٩٨٥م ، ص٣٢ ٠

[٢] اليازجي ، كمال ، معالم الفكر العربي في العصر الوسيط ، بيروت ١٩٦٠م ، ص١٨ ؛ العلي ، صالح احمد ، محاضرات في تاريخ العرب ، بغداد ١٩٦٧م ، ص١٢٤ ٠

[٣] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٩م ، ج٨ ، ص٤٢ ٠

[٤] الشيخ الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ) ، من لا يحضره الفقيه ، تحقيق علي اكبر غفاري ، جامعة المدرسين ، قم ١٤٠٤هـ ، ج٢ ، ص٢٨٤ ؛ ابن الجوزي ، ابو الفرج جمال

ولكي نكون صورة أدق للبنية الأساسية في تكوين هذا المجتمع لا بد لنا ان نتعرف على الأسرة وكيفية تكوينها ، ومن خلال طرائق الزواج ، وكيفية الطلاق وأنواعه ، إذْ كانت الأسرة موضع إهتمام السادة فقط ، من حيث اختيار الزوجات وأعدادها ومواصفاتها الاجتماعية ، وكانت عقوده مختلفة باختلاف الأماكن والحالة الاجتماعية[٢] ، ومن أنواعه :

١-زواج البعولة : وهو الزواج العادي بصداق معلوم وبالتراضي ، ويبيح للرجل ان يتزوج ما أحب من النساء ، سمي البعوله لعلو الزوج على الزوجة بما قد ملكه من زوجيتها وهو السيد والرب[٣] .

٢- زواج المتعة : وهو بأجل مسمى ينقضي بانقضاء المدة ، والأولاد ينسبون لأمهاتهم ، دافع هذا الزواج حالات الحروب والأسفار[٤] .

٣- زواج الشغار : وهو من دون مهر ، على ان يزوج ابنته أو أخته لشخص آخر بالمثل فيقول له: (شاغرني أختك او ابنتك وأزوجك ابنتي او أختي او من تلي أمرها)[٥] .

٤-زواج المقت : تعامل المرأة فيه معاملة التركة ، ويجوز للولد الأكبر أن يتزوج زوجة أبيه غير أمه كونها جزء من ميراثه ، ويذكر ابن قتيبة وغيره من المؤرخين في باب تسمية من خلف على امرأة أبيه بعده[١] .

الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي (ت ٥٩٧هـ) ، زاد المسير في علم التفسير ، تحقيق محمد عبد الرحمن ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٧هـ ، ج٢ ، ص١١٠

[١] ابن الأثير ، ابو الحسن عز الدين علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، جمعية المعارف ، طهران ١٣٨٤هـ ،ج٢ ،ص١١٨ ؛ سالم ، عبد العزيز السيد ، دراسات في تاريخ العرب ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٦٨م ، ج١ ، ص٦٠١ .

[٢] جواد علي ،المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٥ ، ص٢٣٥ .

[٣] القرطبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري (ت٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن المسمى (تفسير القرطبي) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٥هـ ، ج٣ ، ص١١٩ .

[٤] الآلوسي ، محمود شكري ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، القاهرة ١٩٤٢م ، ج٢ ، ص٣ ؛ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٥ ، ص٢٥٧ .

[٥] الشافعي ، ابو عبد الله محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ) ، كتاب الأم ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٣م ، ج٥ ، ص٨٣ ؛ الآلوسي ، بلوغ الأرب ، ج٢ ، ص٥ . علي ابراهيم حسن ، التاريخ الاسلامي العام ، القاهرة ١٩٥٩م ، ص٤٩٩ .

٥- زواج الأسر : وهو تزويج الأسيرة (النزيعة)(*) خالصة لسيدها يتزوجها أو يزوجها من يشاء ، أو يبيعها كأية حاجة ، وزواجها بلا مهر[٢].

وهناك أنواع أخرى من النكاح كانت منتشرة بشكل واسع سنذكر بعضها مثل :

١- نكاح الرهط : والرهط دون العشرة من الرجال يصيبون امرأة ،فتلد ثم يجتمعون لزاماً فتختار واحداً من الرهط فتنسب له المولود[٣] .

٢- نكاح الاستبضاع : وهو ان يقول الرجل لامرأته اذا طهرت ، أرسلي الى فلان فاستبضعي منه ، ثم يعتزلها زوجها ولا يمسها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل ،وكان سبب هذا النوع من النكاح رغبة في إنجاب ولد[٤] .

---

[١] ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ) ، المعارف ، تحقيق محمد إسماعيل السلفي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٧٠م ، ص٥٠-٥١ ؛ الطبرسي ، ابو علي أمين الدين الفضل بن الحسن بن الفضل (ت٥٤٨هـ) ، تفسير جوامع الجامع ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ١٤١٨هـ ، ج١ ، ص٣٨٤ ؛ جواد علي ، المفصل ، ج٥ ، ص٢٥٧ .

(*) النزيعة : تقال للإبل الغرائب عن أماكن ولادتها وتربيتها ، وهنا المقصود بالمرأة التي تنتزع من أهلها بالقوة وتجلب الى غير بلادها ؛ الزبيدي ، محمد مرتضى بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت١٢٠٥هـ) ، تاج العروس في جواهر القاموس ، مكتبة الحياة ، بيروت ، لا.ت، مادة (نزيع) ، ج٥ ، ص٥٢١ .

[٢] ابن الأثير ، ابو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ،تحقيق طاهر احمد الزاوي وآخرون، مؤسسة اسماعيليان ،قم١٣٦٤ه،ج٣،ص٣١٤.

[٣] الامام مالك ، ابو عبد الله مالك بن انس الاصبحي الحميري (ت١٧٩هـ) ، المدونة الكبرى ، مطبعة السعادة ، مصر ، لا . ت ، ج٣ ، ص٣٤٣ ؛ ابن حبيب البغدادي ، كتاب المحبر ، ص٣٤٠ ؛ الشريف الرضي ،ابو الحسن محمد بن الحسن بن موسى الحسني القرشي (ت٤٠٦هـ) ، المجازات النبوية ، تحقيق طه محمد زيني ، مطبعة البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، القاهرة ١٩٣٧م ، ص٢٥ .

[٤] البخاري ،ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاريي(ت٢٥٦ هـ) ، الجامع الصحيح ، المعروف بـ(صحيح البخاري) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨١م ، ج٦، ص١٣٢ .

(*) القافة ، العارفة أو الكاهن ، الذي يستطيع تتبع الأثر ، ويعرف شبه الولد بالوالد بآثار خفية ، الزبيدي ، تاج العروس ، مادة(قوف) .

(**) فالتاطه: هو الذي يلتاط الانسان ولداً يدعيه وهو ليس له ، الفراهيدي ، ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ) ، كتاب العين ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، مؤسسة الهجرة للطباعة ١٤٠٩هـ ، مادة(لوط) .

٣- نكاح صاحبات الرايات: والرايات دلالة لمن أراد الدخول ،لا تمنع المرأة من يدخل عليها ، فإذا أنجبت اجتمعوا عندها ودعوا "القافة" (*) ،كي يلحق الطفل بالذي يرون "فالتاطه"(**) ويتقبل ذلك بدون ممانعة ٠

٤- الخِدْنّ: وهو ان تتخذ المرأة المتزوجة خليلاً أو أكثر ، ويسمى هذا النوع من النكاح (الضمد) (***) ٠

٥- نكاح البدل : هو ان يستبدل المرء زوجته بزوجة رجل آخر ، فيقول أحدهما للآخر :(انزلني عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي) واذا أراد زيادة من المال أعطاه ، ويقاسمه ماله ، أو يكفيه العمل [١]٠

عكس الحرة بنت الحسب والشرف إذا اتهمت بالزنا(مجرد الإتهام) أي لا دليل ولا شهود عليها ، فأنها تحبس في بيت خاص ، يقام بأودها وتبقى محبوسة حتى يأتيها الموت ، وتخرج جنازتها[٢] ٠

وهناك أنواع اخرى يأنف الإنسان ان يتوسع بتفصيلها ، كونها لا تتفق والحالة الإنسانية والبشرية لبشاعتها وخستها[٣]، أما الطلاق ، فهو مباح ، وهو بيد الرجل يتنازل عن حقوقه اذا أراد ، وليس للمرأة من الأمر شيئاً ، إلا بعض استثناءات قليلة كان الطلاق فيها بيد الزوجة ذكرتها كتب السير والتاريخ مثل :

١-سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد الخزرجية وهي أم عبد المطلب بن هاشم جدة رسول الله(ﷺ)[٤]٠

(***) الضمد : هو أن تتخذ المرأة خليلين ، وبالضمد قال الشاعر ابو ذؤيب :

تريدين كيما تضمدين وخالدا وهل يجمع السيفان ويحك في غمد

الجوهري ،اسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ) ، الصحاح في تاج اللغة وصحاح العربية ،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين ، بيروت ١٤٠٧هـ ، مادة (ضمد) ٠

[١] الشافعي ، كتاب الأم ، ج٥ ، ص٦٣ ٠ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٤ ، ص٩٢ ٠

[٢] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٦٤ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٢٧ ٠

[٣] للمزيد من المعلومات انظر ، ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٣٤٠ ؛ابو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) ، سنن ابي داود ، تحقيق سعيد محمد اللحام ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٠م ، ج١ ، ص٥٠٧ ٠

[٤] ابن حبيب ، محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ) ، كتاب المحبر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ،الهند الدكن ١٩٦٣هـ ، ص٣٩٨ ؛ ابن طيفور ، ابو الفضل بن ابي طاهر (ت٣٨٠هـ) ، بلاغات النساء ، مكتبة بصرتي ، قم ١٤٠٥هـ ، ص٩١ ٠

٢- فاطمة بنت الخرشب بن عمرو بن النظر بن حارثة بن طريف بن أنمار الانمارية ، وهي زوجة صخر بن الشريد ،أخو الشاعرة الخنساء ، وتسمى (أم الكَملة) وهم أولادها (الربيع الكامل ، وقيس الحفاظ،وعمارة الوهاب ، وانس الفوارس [١] .

٣-عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان السلمية ، وهي أم عبد شمس والمطلب وهاشم أبناء عبد مناف[٢] ولا يزيد العدد كثيراً عن هذه الأسماء.

والطلاق في الجاهلية أنواع منها (الظهار) وهو ان يقول لزوجته أنت كظهر أمي ، ولم ترجع اليه ابداً [٣] و(الإيلاء) وهو ترك الزوجة لمدة سنتين أو أكثر بسبب أو بدونه [٤] و(الخلع) وهذا الطلاق لا يقع إلا على عوض من المرأة بمبلغ يتفق عليه غير المهر[٥] و(العضل) وهو عدم زواج المرأة بعد طلاقها إلا باذن الزوج، فيكتب ذلك عليها ويشهد[٦] .

ذكرنا فيما تقدم شرطً بسيطاً عن كيفية تكوين الأسرة ، ورب سائل يسأل : ما هو نتاجها من الذرية ؟ وكيف ستكون علاقة هذه الذرية بالمجتمع البعيد والقريب ؟ وكيف يكون تفكيرها ؟ وما هو إبداعها ، هذا اذا ما علمنا ان المجتمع يهتم بهذه الأمور بشكل كبير .

---

[١] الكملة : تعني الشخص الذي يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٥٢٤ ؛ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٤٥٨ .

[٢] ابن سعد ، ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ،لات،ج١ ، ص٦٢ ؛ البخاري ، ابو عبد الله اسماعيل بن ابراهيم (ت٢٥٦هـ)،التاريخ الكبير ، تحقيق هاشم الندوي ، المكتبة الاسلامية ، ديار بكر ،لات ، ج١ ، ص٤ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ج٢ ، ص٢٩١ .

[٣] الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) ، جامع البيان في تأويل آي القرآن ، المسمى (تفسير الطبري) ، تحقيق صدقي جميل العطار ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٥هـ ، ج٢٨ ، ص١٠ .

[٤] الطبراني ، سليمان بن احمد بن ايوب اللخمي (ت٣٦٠هـ) ، المعجم الكبير ، تحقيق حمدي عبد الحميد السلفي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٧هـ ، ج١١ ، ص١٢٨ .

[٥] الترمذي ، ابو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ) ، سنن الترمذي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٣م ، ج٢ ، ص٣٢٨ .

[٦] الطبري ، تفسير الطبري ، ج٤ ، ص٤٠٩ ؛ الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ) ، التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق احمد حبيب نصير ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٩هـ ، ج٢ ، ص٢٣٥ .

وتأسيسا على ما تقدم يطلعنا ابن حبيب البغدادي [١] على قائمة بأسماء من قطعت أيديهم من قريش فقط في الجاهلية بسبب السرقة التي لم ينج منها حتى بيت الله الحرام (الكعبة) ومنهم:

١- وابصة بن خالد المخزومي في سرقة أبل٠
٢- عوف بن عبيد بن عمر المخزومي ، سرق عدة مرات ولم يتعظ ويرتدع ،حتى رجم ومات٠
٣- الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي ، الذي سرق بعض حلي الكعبة ٠
٤- عبيد الله بن عثمان بن عمر بن تيم ، في سرقة ابل ٠
٥- مدرك بن عوف بن عبيد المخزومي ، الذي سرق مراراً فرجموه حتى مات٠
٦- مليح بن شريح بن الحارث بن أسد ، سرق حلي الكعبة٠
٧- مقيس بن قيس بن عدي السهمي ،الذي سرق حلي الكعبة ايضاً ٠

هذه هي صورة المجتمع والعائلة ، على أن هذا لا يعني ان المجتمع كان خالياً من المحاسن وما يفتخر به ، فنرى العديد من السنن التي كانت في الجاهلية أقرها الإسلام ٠

منها على سبيل المثال لا الحصر ، السنن التي عمل بها عبد المطلب جد النبي الكريمﷺ وأجراها الله تعالى في الاسلام وهي (تحريم نساء الآباء على الأبناء ، وسقاية الحجيج ، بعد حفر بئر زمزم ، والطواف حول البيت سبعة أشواط ، ودفع دية القتل ومقدارها مائة ناقة ، ودفع الخمس)[٢] ، كما ان الحجاز تشرف بالعديد من أبنائه الأنبياء والرسل وكان ختامهم

---

[١] المحبر ، ص٣٣٨ ٠

[٢] الشيخ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٤ ، ص٣٦٥ ؛ القندوزي ، سليمان بن ابراهيم الحنفي (ت١٢٩٤هـ) ، ينابيع المودة لذوي القربى ، تحقيق سيد علي جمال ، دار الأسوة للطباعة والنشر ، استنبول ١٣٠٢هـ ، ج٢ ، ص٣٤ ٠

(*)هو الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب العبدري القرشي ، طبيب حاذق ،مات مشركاً ، له من الولد النضر ويسمى الرهين ، رهنه ابوه يوم الفجار ، قتله علي بن ابي طالب بأمر النبي يوم بدر بعد ان اسر ، وهو ابن خالته ، رثته ابنته ومدحت المصطفى ﷺفي قصيدة مطلعها:

ياراكبا ان الأثيل مظنة عن صبح خامسة وانت موفق

سيد البشر محمد بن عبد الله(ﷺ)نبي الرحمة والإنسانية ، فهذه هي صورة المجتمع بقضها وقضيضها و خيرها وشرها ٠

ولكي نطلع على الحالة الاجتماعية للمجتمع الحجازي بشكل اكثر تفصيلاً وأكثر عمومية ، لنا عدة روايات سنوردها وفق التسلسل الزمني ، وقد عبرت بشكل دقيق لا يقبل الشك عن طبيعة مجتمع الحجاز الطبقية ، ولم تكن المسافة الزمنية بينها كبيرة ، ولكنها تدل بدقة متناهية عن طبقية المجتمع ومنها :

١- رواية وفادة الحارث بن علقمة بن كلدة القرشي(*)على كسرى انو شروان(**) لكي يتعلم الطب في بلاد فارس ، تقول هذه الرواية ان الحارث طلب الإذن بالدخول على كسرى ، فأذن له ، فلما وقف بين يديه منتصباً ، قال له : " من أنت ؟ قال : أنا الحارث بن كلدة ، قال : وما صناعتك ؟ قال: الطب ، قال : أعربي أنت ؟ قال من صميمها ، قال : فما تصنع العرب في الطب مع جهلها ، وضعف عقولها ، وسوء غذائها ، قال : ان كانت هذه صفاتها ، كانت أحوج الى من يصلح جهلها ، ويقيم عوجها ، ويسوس ابدانها ، ويعدل أمشاجها(***)، فان العاقل يعرف ذلك من نفسه ، ويميز موضع ذاته ، ويحترز من الأدواء كلها ، ويحسن سياسة نفسه ، قال كسرى: فكيف تعرف ما تورده عليها ، ولو عرفت لَم تنتسب الى الجهل ؟

قال الحارث : الطفل يناغي فيداوى ، والحية ترقى فتمادي ، ثم قال : أيها الملك ، العقل من قسمة الله تعالى ، قسمه بين عباده ،كقسمة الرزق بينهم ، فكل من قسمته أصاب وخص بها قوم وزاد ، فمنهم مثر ومعدوم ، وجاهل وعالم ، وعاجز وحازم ، ذلك تقدير العزيز العليم"٠

ولما وصل شعرها للرسولﷺ قال :لو سمعت بهذا قبل ذلك لوهبته لها، وله ولد آخر اسمه النضير قتل شهيداً يوم اليمامة ، ابن حبيب البغدادي ،محمد بن حبيب(ت٢٤٥هـ) ، المنمق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد احمد فاروق ، دار الكتب ، بيروت ١٩٦٣م ، ص١٨٠ ؛ السمعاني ، ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ) ، الأنساب ، تحقيق عبد الله عمر البارودي ، دار الجنان ، بيروت ١٤٠٨هـ ، ج٣ ، ص١١٠ ٠

(**)كسرى انو شروان بن قباذ الأول بن فيروز بن بلاش بن فيروز بن يزدجرد بن هرمز الثالث ، حكم بعد ابيه سنة ٥٢١م ، وكانت فترة حكمه (٤٧) سنة ؛ جرجي زيدان ، العرب قبل الاسلام ، المكتبة الأهلية ، بيروت ،لا .ت، ص٢٠٦ ٠

(***)الأمشاج ، جمع مشج ، وهو اختلاط حمرة ببياض ، وكل لون يسمى مشج ، وأمشاج لا تفرد ؛ الفراهيدي ، مادة (مشج) ٠

فأعجب كسرى من كلامه ثم قال : "فما الذي تحمد من أخلاقها ، ويعجبك من مذاهبها وسجاياها ؟ قال الحارث : أيها الملك ، لها أنفس سخية ، وقلوب جرية ، ولغة فصيحة ، وألسن بليغة ، وانساب صحيحة ، واحساب شريفة يمرق من أفواههم الكلام مروق السهم تبعة الرام ، أعذب من دواء الربيع ، وأليق من سلسبيل المعين ، مطعمو الطعام في الجدب ، وضاربوا الهام في الحرب ، لا يرام عزهم ، ولا يضام جارهم ، ولا يستباح حريمهم ، ولا يذل أكرمهم ، ولا يقرون بفضل الأنام ، إلا للملك الهمام ، الذي لا يقاس به أحد ولا يوازيه سوقة ولا ملك .

ولما سمع محكم كلامه قال لجلسائه: أنيوجدته راجحاً ولقومه مادحاً ولتفضيلهم ناطقاً وبما يورده من لفظه صادقاً ، العاقل من احكمته التجارب ثم أمره بالجلوس"[1] .

ولنناقش ما جاء من صفات بهذه الرواية قيلت للحارث وقالها الحارث وصولاً للحالة الإجتماعية فنلاحظ الآتي :

التفاخر بالأنساب :

وهذه صفة ذم في الشخصية وليست صفة مدح استناداً الى قوله ﷻ :(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[2] ، وقول الرسول ﷺ :(يا أيها الناس ان ربكم واحد ، ألا ليس لعربي فضل على مولى ، ولا لأحمر فضل على أسود الا بالتقوى)، ولو أن هذه الصفة أملتها الحياة البدوية ، إلا انها لا تتفق مع ما جاء به الاسلام [3] .

الجهل : وهي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من حيث الجهل بالله ورسوله واليوم الآخر وشرائع الدين والكبر والتجبر وغير ذلك من الذمائم[4] ، بل الجهل في اغلب العلوم والصنائع ، وهذا يعني ان هذه الصفة كانت معلومة للحواضر المجاورة للحجاز ، والله

---

[1] ابن ابي اصيبعة ، موفق الديم أحمد بن القاسم بن خليفة (ت٦٦٨هـ) ،عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لات ، ج١ ، ص١٦٣ وما بعدها .

[2] سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

[3] ابن المبارك ، ابو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (ت١٨١هـ) ، مسند عبد الله بن المبارك ، تحقيق صبحي البدري ، مكتبة المعارف ، الرياض ١٤٠٧هـ ، ص١٤٧ ؛ الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ) عدة الأصول ، تحقيق محمد رضا الأنصاري ، مطبعة ستارة ، قم١٤١٧هـ ، ج٢ ، ص٤٩٤ ؛ ابن الاثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٣٨٧ .

[4] ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، مادة (جهل) ،ج١ ، ص٣١١ ؛ ابن منظور ، ابو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٥هـ ، مادة (جهل)، ج١١ ، ص١٣ .

تعالى ذكر الجاهلية في أكثر من موضع في كتابه العزيز كقوله ﷻ: (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ)[١] ،وقوله ﷻ :(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ)[٢] ٠

في حين وصف البعض الجاهلية على انها الحمية والغضب ، ولكن هذا لا يتفق مع الواقع بدلالة ما ذكر في الآيات (ظن الجاهلية)و(وحكم الجاهلية) و(الحمية الجاهلية) و(وتبرج الجاهلية)وجميعها لا تعني الغضب والتعصب ،بل تعني الجهل من العلوم وفقدان المعرفة ٠

ضعف العقول : كان المراد من هذه العبارة هو عدم قدرة العقل الحجازي العربي على الإبداع في العلوم والصناعة ، ولعل السبب الآخر هو عدم ملائمة الظروف الإجتماعية ، وتقييد حرية العمل ، اذ ان بعض المهن والحرف هي معيبة في نظر أهل الحجاز ، ونحن في القرن الحادي والعشرين نلاحظ مثل هذه الأفكار ، وكان رد الحارث هو كامل الاعتراف بهذه الصفة من خلال رده "بان الله تعالى قسم العقل بين العباد كالرزق ، فخص بها قوم وزاد ، وحرم قوماً آخرين٠

بل ان ابن خلدون يذهب الى أكثر من ذلك فيقول: ان الملة –العرب– في أولها لم يكن فيها علم وصناعة وذلك لمقتضى أحوال السذاجة والبداوة ، والقوم لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين ، ولا دفعوا اليه ، ولا دعتهم اليه الحاجة[٣]٠

ويكفي القول ان بعض المؤرخين ومنهم البلاذري قال : دخل الاسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً ، وفي الأوس والخزرج في المدينة اثنا عشر رجلاً يعرفون القراءة والكتابة[٤]، بل لعلهم يعدون الكتابة عيباً ، فيقول عيسى بن عمر :(قال لي ذو الرمة : ارفع هذا الحرف ،فقلت له :أتكتب ؟ قال : بيده على فيه ، أي اكتم علي ، فانه عندنا عيب)[٥]،هذا اذا ما علمنا ان قريشاًكانت اعظم قبيلة شاناً وخطراً ونفوذاً بالحجاز كله ، ومع ان التجارة تتطلب مثل هذا ، وكذلك كان الاوس والخزرج في المرتبة الثانية تحضرا ونفوذاً بعد قريش في الحجاز ٠

سوء الغذاء :

---

[١] سورة آل عمران ، الآية ١٥٤ ٠

[٢] سورة المائدة ، الآية ٥٠ ٠

[٣] ابن خلدون ، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي(ت٨٠٨هـ) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبرالمسمى (تاريخ ابن خلدون) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .لا.ت، ج١ ، ص٥٤٣ ٠

[٤] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٣٣ ؛ البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ، مطبعة لجنة البيان العربي ، بيروت ١٣٧٩هـ ، ج٣ ، ص٥٨٠

[٥] الكتاني ، عبد الحي ، التراتيب الادارية ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ج٢ ، ص٢٤٨ ٠

تمتاز أرض الحجاز بالجدب والقحط،اذ كان القحط يسرع اليها، ولعل ذلك من سوء حظ أبنائها، إذ كان الرجل يقتل أولاده خشية إملاق ، ولذا قال ﷻ : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا)[1] ٠

ويروى[2] ان النبي الكريم ﷺكان جالساً في المسجد ، اذ جاءه إعرابي ووقف عليه وقال : ما لنا بعير يربط ، ولا صبي يصبح ، ثم انشأ يقول :

أتيناك يا خير البرية كلها ... لترحمنا مما لقينا من الأزل

أتيناك والعذراء يدمي لبانها ... وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

وألقى بكفيه الفتى استكانة ... من الجوع ضعفاً ما يمر ولا يحل

ولا شئ مما يأكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العامي والعلهز الغسل[*]

وليس لنا إلا إليك فرارنا ... وأين فرار الناس الا الى رسل

سخاء النفس : السخاء من أروع الصفات في النفس البشرية ، بل هو كما وصف احد أبواب البر الثلاث ، وهو قبل طيب الكلام والصبر على الأذى ، لكن سخاء النفس قبل الاسلام كان من اجل التعصب والحمية الجاهلية ، والاستعداد العالي للانتقام والأخذ بالثأر ، ولكن من بني جلدتهم ، وليس من عدو أو غريب أجنبي طامع ٠

يطعمون الطعام في الجدب : فلو استثنينا النفر القليل من الكرماء في الفترة التي سبقت الاسلام، كحاتم الطائي وقصي وبعض أبنائه، فسنرى روايات تدمي القلب من شدة البؤس ٠

فكانت قريش تكثر من أكل السخينة قبل الاسلام أيام الجدب ، و(السخينة) طعام من الدقيق يلقى على الماء فيطبخ ثم يؤكل مع التمر ، وكانت قريش تعّير بهذا الطعام ، حتى سموا بالسخينة[3] ٠

---

[1] سورة الإسراء ، الآية ٣١ ٠

[2] الطبراني ، ابو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب بن مطير الشامي (ت٣٦٠هـ) ، الأحاديث الطوال ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٢م ، ص٧٣ ؛ الطوسي ، عماد الدين ابو جعفر محمد بن علي (ت٥٦٠هـ) ، الثاقب في المناقب ، تحقيق نبيل رضا علوان ، مطبعة الصدر ، قم ١٤١١هـ ، ص٨٩ ٠

[*] العلهز ، هو وبر يخلط بدم الحلّم(القراد) ،كانت تأكله العرب في الجدب ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة(علهز) ٠

[3] ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص٢٠٦ ٠ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٣ ، ص١٥٤ ؛ الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ) ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الإرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٢هـ ، ج٢ ، ص٥٢٦ ٠

وفي أيام الجدب كانوا يأكلون كل شيء ،يروى [١] انه قيل لرجل من بني أسد ، ما طعامكم ؟ قال والله عيش تعلل جاذبه أطيب طعامنا أهنأه وذكر أنواعه منها (البرير) وهو ثمر لشجر الأراك (الشوك) لونه اسود ، يؤكل لقلة الزاد[٢]، ويأكلون الغث[٣] وهو نبات صحراوي له حب أسود ،يخبز ، وخبزه غليظاً ، والهبيد ، وهو حب الحنظل تأخذه الأعراب وهو يابس ، فينقعوه بالماء عدة أيام ، ثم يطبخ فيأكل ، والحسلة ، وهو ولد الضب[٤] والعلهز والفطس والعنكث والذائيين والطرابيث وهي نباتات لا تأكلها إلا الغنم ، والضباب والعراجين[*] .

الكرم وحسن الضيافة : هن من أرقى صفات الإنسان اذا كانت تهدف الى الخير وحب الناس وإطعام الضيوف والمحتاجين الى غير ذلك من حالات الكرم والضيافة ، أما اذا سخرت لغرض شخصي مثل حبا في مكانة او مغنم دنيوي او إبعادا للعار او للمنافسة او لحسن الذكر ، فانها لا تعد بهذا العنوان ، ومصداقاً لهذا الفهم نذكر الرواية[٥] التي تقول : قدم كعب بن الأشرف أحد بني النضير الى مكة فنزل على ابي سفيان ، فأكرمه وقال له (انا نطعم الجزور الكوماء-الناقة الطويلة السنام [٦]، ونسقي اللبن على الماء ، ونطعم ما هبت الشمال)، ولما انتهى قال له : أناشدك أديننا أحب الى الله أم دين محمد وأصحابه ، وأينا أهدا في رأيك وأقرب الى الحق ؟ قال كعب : أنتم أهدى سبيلا ! فأنزل الله تعالى قوله ﷻ :(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً* أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً)[٧] .

وكان زيد الخيل بن مهلهل بن زيد سيد طئ ،اذا أراد ان يكرم و يعطي ، يعد بالعطاء ، لكن بعد ان يشن الغارة ، ويروى ان زيداً شن يوماً غارة على بني نمير بالملح فأصاب منهم

---

[١] ياقوت ، معجم البلدان ، مادة(عنكث) ، ج٢ ، ص١٧٢ .

[٢] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (برير) .

[٣] الفراهيدي ، كتاب العين ، مادة (غث) .

[٤] ياقوت ، معجم البلدان ،(مادة ضرية)ج٣ ، ص٤٥٨ .

[*] العراجين : جمع عرجون ، وهو ضرب من الكمأة قدر شبر أو دون ذلك ،يؤكل إذا كان غضاً رطباً ،الفراهيدي ، العين ، مادة (عرجن) .

[٥] ابن شبة النميري ، ابو زيد عبيد بن ريطة البصري (ت٢٦٢هـ) ، تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، دار الفكر ، بيروت ، ج٢ ، ص٤٥٤ ؛ الطوسي ،تفسير البيان ، ج٨ ، ص١٢٨.

[٦] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كمي) .

[٧] سورة النساء ، الآية ٥١-٥٢ .

مائة بعير فأعطاها لمن طلبه[١] ، مع ان شن الغارة تعني قتل الرجال وسبي النساء والذراري والشيوخ والاستيلاء على المال وهدر الكرامة ،هذه صور الكرم وحسن الضيافة ، فيحق لنا في هذا المقال أن نسمي هذا النوع من بالكرم السلبي لو قورن بقول هذا الشاعر[٢] الذي يصف احد الكرماء :

له نار تشب على يفاع[*] اذا النيران ألبست القناعا
ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

ويروى ان عبد الله بن جدعان كان يجلب القافلة من الشام محملة بالبر والشهد والسمن ، ويجعل منادياً ينادي في كل ليلة على ظهر الكعبة ، ان هلموا الى جفنة ابن جدعان ، وفيه يقول أمية بن ابي الصلت في مرثية له بوفاة عبد الله بن جدعان:

له داع بمكة مشمعل[**] وأخرق فوق كعبتها ينادي
الى ردح من الشيزي ملاء[***] لباب البر يلبك بالشهاد

ويروى عن أم المؤمنين عائشة(رضي الله عنها) انها قالت لرسول الله ﷺ: (يا رسول الله ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال: لا ، انه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)[٤].

ضرب الهام وجرية القلوب : نعم هذه من صفات العرب في الجزيرة كلها ، فلو اطلعنا على أيام العرب وأحصيناها سنجدها كثيرة جداً ، ولا يمكننا ان نحصي من قتل فيها من الشباب

---

[١] الأصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ) ،كتاب الأغاني ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ج١٧ ، ص٢٥٥ .

[٢] هو يزيد بن عبد الله بن الحر بن همام الكلبي ،أديب وشاعر، مات سنة ٢٠٠من الهجرة النبوية ،الزركلي ، خير الدين ، الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠ م ، ج٨ ص١٨٤ .

[*] اليفاع ، هو التل المنيف و كل مرتفع عن الأرض ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (يفع) .

[**] مشمعل :مبادر ومجتهد للقصاع ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (شمعل) .

[***] الردح :جمع ردحة وهي الجفنة الكبيرة ، الشيزي: خشب أسود يستخدم للأمشاط والقصاع، الجوهري ، اسماعيل بن حماد(ت٣٩٣هـ) ، الصحاح في تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت١٤٠٧هـ ،مادة (ردح) ج٢ ، ص٨٨١ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ،مادة(شيز) .

[٤] مسلم القشيري ، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٣٦١هـ) ، صحيح مسلم ، دار الفكر ، بيروت ،لا.ت، ج١ ، ص١٣٦ ؛ ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن كثيرالدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، تحقيق علي شيري ، دار احياء التراث العربي ١٩٨٨م ، ج٢ ، ص٢٧٧ . السيوطي ، الدر المنثور ، ج٥ ، ص٨٩ .

والشيوخ بذنب أو بدونه بيد هؤلاء ضاربي الهام وأصحاب القلوب الجرية ، ولو تمعنا جيداً في أسباب هذه الأيام سنرى ان أغلبها كانت بسبب الغزو والغارة لسبي النساء والسرقة أوبسبب الغدر أوقتل الأسرى ٠

فهذه حرب البسوس كانت بسبب رعي ناقة لبني شيبان في مراعي بني تغلب ، وابطالها جساس وكليب ، واستمرت أربعين سنة ، وتلك داحس والغبراء بين عبس وهوازن بسبب سرقة درع من هوازن ، وكانت قبل البعثة بستين سنة[١] ، وأقربها حرب الفجار بين قريش وكنانة من جهة وهوازن من جهة اخرى ، بسبب عدم الوفاء بدين ، وسميت الفجار لكثرة ما استحله الفريقان من المحارم وهي لم تكن ببعيدة عن تاريخ البعثة النبوية الشريفة وكانت قبل عام الفيل بعشرين عاماً[٢]٠

لا تستباح حريمهم : المرأة (الحرة) عند الطبقة العليا من المجتمع قبل الاسلام كريمة مصانة ، لكنها وبسبب الصراع والغزو والغارات غير مأمونة الجانب ، فكانت المرأة الكريمة ذات الحسب والنسب تسبى وتباع وتشترى وتهدى أحياناً ، وكتب التاريخ والسير مليئة بمثل هذه النساء ، ومنهن أمهات لأعلام في المجتمع العربي والإسلامي ، وكانت العربية الحرة في الجاهلية تسبى وتفدى بعشرة من الإبل ، ثم قضى المصطفى ﷺ بفداء السبية العربية بعشرة من الإبل[٣]، ويروى ان أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) كان عندها سبية من تميم ، فقال لها رسول الله ﷺ: اعتقيها فإنها من ولد اسماعيل[٤] ٠

ويروى ان احد الصحابة اشترى أختا له سبية في الجاهلية ، ولها ابن لا يدري من هو أبوه ، هذا غيض من فيض في كرامة المرأة في الجاهلية[٥] ٠

ويصف احد العرب في الجاهلية سبيته التي أنجب منها سبعة بنين ، بعد ان طلب منه ان يرزأها الى أهلها ، ليذهب عنها السباء ، يقول : ما وفيتك حقك ، ولا شكرت إلا بفضلك ،

---

[١] ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص٦٢٢ ؛ المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦ هـ) ، التنبيه والأشراف ، تعليق دي خويه ،ليدن ١٨٩٤م ، ص١٧٤ ٠

[٢] اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٩٢هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، دار احياء التراث ،لا.ت، ج١ ، ص٢٢٥ ؛ جرجي زيدان ، العرب قبل الاسلام ، ص١٠٨.

[٣] ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ) ، المحلى ، تحقيق احمد محمد شكر ، دار الفكر ، بيروت ١٣٥٢هـ ، ج١ ، ص٣٩ ٠

[٤] البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص١٢٣ ٠

[٥] ابن ابي شيبة ، مصنف ابن ابي شيبة ، ج٧ ، ص٣١٥ ٠

وما أثنيت إلا بطيب حسبك وكريم نسبك[١] ، بهذا الوصف لسبيته تراها من تكون ومن أي كريم ومن أي قبيلة ؟.

لا يذل كريمهم ولا يضام جارهم: يراد من هذين القولين المروءة والشجاعة فالعربي يموت دفاعاً عن الشرف والجار وكانوا يستهينون بأنفسهم في سبيل الحياة وروح الكفاح ، ويحب العربي الموت في ساحات القتال وتحت ظلال السيوف ، وفي ذلك يقول السموأل بن عادياء[*]:

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الظباة نفوسنا وليت على غير الظباة تسيل[**]

الا ان الشجاعة والقتال لم تكون بعيدة عن ديارهم وحماهم أو حمى الأخ وابن العم وخصوصاً في البوادي القفار وهي جزء من حياة البدوي ، ولم تكن واضحة في الحضر ، فعلى رأي ابن خلدون[٢] الذي يقول فيه: ان عرب البادية أكثر شجاعة من أهل المدن لإنغماس هؤلاء في النعيم والترف ، واعتمادهم على الوالي في الدفاع عن أموالهم وأنفسهم[٣] .

لا يقرون بالفضل للأنام : فهذا صحيح والحياة كما وصفت فيما تقدم ، بل انه أدان نفسه بشكل كبير في هذا القول ، اذ يقول :(لا نقر إلا للملك الهمام ، الذي لا يقاس به أحد من السوقة والملك)، اذ من المعلوم ان الحارث نفسه بقي على شركه بعد ظهور الاسلام ،ولو ان البعض يقول انه نصراني ، ولكن هذا غير صحيح ، كون أبنائه اشتركوا في بدر ضد

---

[١] ابن طيفور بلاغات النساء ، ص٨٦-٨٧ .

[*] هو السموؤل بن عادباء بن حيا بن رفاعة بن الحارث بن كعب الغساني ، كان صاحب تيماء ، شاعر كبير ، ويضرب به المثل في الوفاء وعد من أوفياء العرب مع الحارث بن ظالم المري وعمير بن سلمى الحنفي ، المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص٢٠٩ ؛ ابن ماكولا ، سعد الملك علي بن هبة الله ابن علي بن جعفر (ت٤٧٥هـ) ، الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب ، تحقيق نايف العباس ، دار الكتب الاسلامية ، القاهرة ،لا.ت، ج٧ ، ص٩٠ .

[**] الظباة : جمع ضب وهو حد السيف ، الفراهيدي ، كتاب العين ، مادة (ظبة).

[٢] تاريخ ابن خلدون ، ج١ ، ص١٢٥ .

المسلمين وقتل النبيﷺ ابنه النضير، بل انه وعائلته كانوا من اشد الناس على النبي الكريم ﷺ والمسلمين[1] .

كانت في هذه الرواية صورة عن الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة هناك إذْ كان الناس يعيشون حياة شقاء وبلاء ، لكنالحارث ذكر العكس تماماً حباً واعتزازاً بالفخر والكبر .

و مصداقية هذا الحديث خطاب جعفر بن ابي طالبعليه السلام أمام ملك الحبشة ،ووصفه مجتمعه ، وهو على النقيض تماماً من الرواية السابقة ، بل انه وصف مجتمعه بشكل دقيق ، عندما أراد عمرو بن العاص السهمي رد المهاجرين والإساءة إليهم.

فيقول مخاطباً النجاشي:" أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، وكنا على ذلك حتى بعث الله تعالى إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله تعالى ،لنوحده ونعبده ونخلع ما كانت تعبد آباؤنا من دونه الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، نهانا عن الفحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ..."[2] .

وهذه رواية أخرى لعمرو بن العاص السهمي في وقعة الإسكندرية ، يقول فيها : "خرج جيش من المسلمين وأنا أميرهم فنزلنا الإسكندرية ، فقال صاحبها : اخرجوا لي رجلاً منكم أكلمه ويكلمني ، فقلت لا يخرج له غيري ، فخرجت ومعي ترجمان ومعه ترجمان ، حتى وضع له منبران ، فقال : من أنتم ؟ قلت :نحن العرب ، نحن أهل الشوك والقرظ(*)، نحن أهل بيت الله ، كنا أضيق الناس أرضاً ، وأشده عيشاً ، نأكل الميتة ، ويغير بعضنا على البعض ، كنا بشر عيش عاش به الناس"[3].

---

[1] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٣٧٥ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص١٨٠ ، السمعاني ، الأنساب ، ج٣ ، ص١١٠ .

[2] ابن هشام ، ابو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري(ت٢١٣هـ) السيرة النبوية ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة محمد عبد صبيح وأولاده ، القاهرة ذ٣٨٣هـ ، ج١ ، ص٢٣٤ ؛ المحب الطبري ، احمد بن عبد الله (٦٩٤هـ) ، ذخائر العقبى في مناقب القربى ، مكتبة القدسي ،جمهورية مصر ، القاهرة ١٣٥٦هـ ، ص٢١٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٩٢ .

(*)القرظ: ورق يستخدم لدباغة الآدم ، يأكلونه في الجدب ، الفراهيدي ، العين ، مادة (قرظ) .

[3] ابن حبان ، ابو حاتم محمد بن حبان بن احمد البستي (ت٣٥٤هـ) ، صحيح ابن حبان ، تحقيق شعيب الارناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٩٢م ، ج١٤ ، ص٥٢٢ ؛ الهيثمي ، ابو الحسن نور الدين علي بن ابي بكر بن سليمان المصري القاهري (ت٨٠٧هـ) ،مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتب العلمية ، بيروت١٩٨٨م ، ج٨ ، ص٢٣٧ .

وبالمفردات نفسها دار حوار طويل بين المغيرة بن شعبة وبين كسرى أنوشروان في القادسية ، وزاد عليه ، بقوله :" كان أفضلنا في أنفسنا الذي يقتل ابن عمه ويأخذ ماله فيأكله ، وكنا نأكل الميتتة والدم والعظام .. "[1] .

وبعد ان بينت هذه الروايات والتي لا تتطلب الشرح والتبيان والتبسيط عن حالة المجتمع الجاهلي، لا بد من الإشارة الى وأد البنات ، ويكفينا بيت أبي الصلت عبد الله بن ربيعة بن عوف بن ثقيف([2]) .

وما وأدنا حذار الهزل من ولدٍ فيها وقد وأدت أحياء عدنانا

وفي تبرج الجاهلية ،من المفيد ان نشير الى روايتين تفصلان هذه العادة الذميمة والمحرمة في المجتمع الحجازي .

ويروي العديد من المفسرين ،" ان أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)كانت اذا قرأت آية التبرج تبكي حتى تبل خمارها " ، وقيل لأم المؤمنين سودة بنت زمعة(رضي الله عنها) ، " لماذا لا تحجين وتعتمرين كما تفعل أخواتك ؟ فقال: لقد حججت واعتمرت ، وأمرني الله ان أقر في بيتي " ، فما خرجت من غرفتها حتى أخرجت جنازتها[3] .

الحياة السياسية في الحجاز قبيل الاسلام

من أجل بيان كيفية تكوين المجتمع القبلي الحجازي وإدارته السياسية وخصوصا مجتمع مكة ، كونه مركزاً للسلطة العليا وبه تسود أو تؤثر في أغلب مناطق الحجاز ، لا بد من سرد تاريخي عاجل لسلسلة الأحداث والشخصيات التي كان لها الشأن في أمور الإدارة ، وفي هذا لا يوجد فاصل زمني واضح نبتديء فيه ، فيجوز لنا أن نبدأ بما زعمه الاخباريون من ان أقدم

---

[1] الطبري ،محمد بن جرير(ت٣١٠هـ) ، تاريخ الأمم والملوك، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٧٩م ، ج٣ ، ص٧٧ ؛ ابن حبان ، ، ج٢ ، ص٢٠٨ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٢٣٧ .

[2] ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٦١ .

[3] الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن النعمان بن سعيد بن جبير (ت٤١٢هـ) ، الجمل ، المكتبة الحيدرية ، النجف ،لا.ت، ص١٢٧ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٤ ، ص١٨٠ -١٨١ ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد بن سابق الخضيري (ت٩١١هـ) ، الدر المنثور (وبهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس) ، دار المعرفة للطباعة ، جدة ١٣٦٥هـ ، ج٥ ، ص١٩٧ .

إدارة للحكم في الحجاز كانت للعماليق ، وعليهم السميدع بن هوبر بن لاوي[١]، ثم ظهرت عليهم قبيلة جرهم القحطانية بزعامة المضاض بن عمرو الجرهمي ، ونفوهم الى يثرب ، ثم خلفه ابنه الحارث بن المضاض الجرهمي ، وهو والد (الحنفاء بنت الحارث الجرهمية) زوجة اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام[٢] وفي هذا يقول أخوها عمرو بن الحارث:

وصاهرنا من أكرم الناس والداً   فأبناؤه منا ونحن الأصاهر

وصولاً الى الحارث بن مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي ، آخر من ملك أمرهم وأمر البيت والكعبة ، ولما طغت جرهم أهلكوا بسب ما تمادوا به من الإعتداء على البيت وحرمته ، وأكثروا الزنا في البيت الحرام ، وسرقوا ما به من ذهب وجوهر ٠

ويروى ان (أساف ونائلة) هما من جرهم وجعلهما الله أصناماً ، وسلط الله عليهما الرعاف[*] والنمل فاهلكوا ، ومن بقي منهم آثر اللجوء الى القبائل والبطون الأخرى[٣] بظهور قوة جديدة هي قوة عدنان بن أدد وهو(خزاعة) ، ومن بعده ابنه معد ، وهو أول من كسى الكعبة ، وهو أشرف ولد اسماعيل ، وأخواله جرهم ، وبهذا يقول شاعرهم عمرو بن الحارث الغبشاني:

ونحن ولينا البيت من بعد جرهم   لنعمره من كل باغ وملحد

ثم كان نزار وهو السيد الكبير ، ولما حضرته الوفاة وزع ميراثه على أولاده الأربعة ،مضر ، وأياد ، وربيعة ، وأنمار ، فاختلفوا بالميراث ولجأوا الى حكم الأفعى بن الأفعى الجرهمي[*] ٠

فنزل أياد اليمامة ثم الحيرة ثم انقرة في ارض الروم ومن أولاده بجيلة وخثعم ، وليس له من الولد غيرهم[٤]٠

---

[١] البلاذري ، انساب الأشراف ، ص٥٤٦ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٢٢ ٠ السمعاني ، الأنساب ، ج٢ ، ص٢٣٣ ؛ ج٢ ، ص٨٩ ٠

[٢] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٧٥ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ٣٧ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص١٧٣ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٥٩ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٣٣٣ ٠

[*] الرعاف : هو خروج الدم من الأنف بسبب مرض مهلك، ويروى ان الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بويع في عام أصيب به الناس بالرعاف وسمي عام الرعاف، سنة ٢٤هـ ،الفراهيدي ، العين ، مادة (رعف) ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٣ ، ص٣٠٤ ٠

[٣] الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١ ، ص٣٨ ٠ الشيخ الكليني ، الكافي ، ج٤ ، ص٢١١ ٠ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٥ ، ص١٧١ ٠

[*] هو الأفعى بن الأفعى بن الحصين بن غنم بن رهم بن الحارث الجرهمي ، من كبار حكماء اليمن ، كان بنجران من اليمن ، من ولده السيد والعاقب اللذان أرادا مباهلة النبي الكريم ﷺ ٠ابن حبيب البغدادي ، المحبر ص١٣٣ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٣٣ ٠

وانتشر أولاد ربيعة في البلاد جميعها خاصة في شرق شبه الجزيرة العربية ، في بطن الفرات وبطن عرق واليمامة ، وأولاده أسد وضبيعة وأكلب ،وكان لهم أيام معروفة آخرها يوم ذي قار [1] .

أما مضر ، فهو سيد ولد أبيه ، كان كريماً حكيماً ، وقد سجلت كتب التاريخ الكثير من وصاياه ونصائحه ، ومنها وصيته لولده التي جرت مجرى الحِكْم والأفكار السياسية فيقول: "من يزرع شراً يحصد ندامة ، وخير الخير أعجله ، فاحملوا أنفسكم على مكروهها فيما أصلحكم ، وأصرفوا عن هواها فيما أفسدكم ، فليس بين العلاج والفساد إلا صبر ووقاية "[2] ، ثم ولد مضر ، الياس ، و عيلان ،وجاء من عيلان قيس ، وكانت قبائل قيس ،فهم ، وعدوان ، ومحارب وباهلة ، وفزارة ، وسليم ، وعامر ، وهوازن ، وثقيف ، وكلاب ، وكانت الحكومة في قيس وانتقلت الى عدوان.

اما الياس فكان صاحب فضل ، وهو أول من أنكر على من غير دين ابراهيم الخليل عليه السلام ، حتى رضوا عنه ،ثم أعاد سنن إبراهيم ، فأهدى الى البيت ، ورفع الركن ، فعظمته العرب ، وكان للياس من الولد ، مدركة وطابخة ، وقمعة وأمهم خندف بنت عدوان ابن قضاعة، مات الياس في يوم خميس ، وهذا واضح من نعي زوجته خندف فهي تقول[3]:

اذا مؤنس لاحت خراطيم شمسه بكت به حتى ترى الشمس تغرب

وكانت العرب قبل الاسلام تسمي الخميس مؤنس ، والجمعة عروبة ، والسبت شيار ، والأحد الأول ، والإثنين أهون ، والثلاثاء جبار ، والأربعاء ديار ، وكانوا يسمون أيام الشهر عشرة

---

[4] ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص٢٩ .

[1] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٤٨ ؛اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ص٢٢٥ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص١٥٩ .

[2] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ٢٢٦ ؛ الصالحي الشامي ، شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الشامي (ت ٩٤٢هـ) ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق عادل احمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٤هـ ، ج١ ، ص٢١٩ .

[3] الاسترباذي ، وفي الدين محمد بن الحسن الاسترباذي النحوي (ت٦٨٦هـ) ، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٥هـ ، ج٤ ، ص٣٠٥ .

أسماء ، لكل ثلاثة أيام أسم ، فأول ثلاث ليال للهلال تسمى الغرر ، ثم النفل ، ثم التسع ، ثم العشر ، ثم البيض ، ثم الظلم ، ثم الخنس ، ثم الحنادس ، ثم المحاق ، ثم السوار [١] ٠

ثم ولد طابخة تميم ، والرباب ، وضبة ، وخزيمة ، امتلأت منهم ارض العرب ٠

وولد مدركة ،خزيمة وكنانة ، وأسد ، والهون ، فانتشر ولد أسد في اليمن ،وانتشر الباقي في وسط جزيرة العرب ٠

وولد كنانة النضر ، وفهر، وقيل للنضر انه أول من سمي قريش ، لهمته وارتفاع تقرشه ، وقيل لتجارته ، وقيل لدابة في البحر ، ومن لم يكن من أولاد النضر لم يكن قرشياً ، وولد كنانة مالك ، ويخلد ، والصلت ، ولم يعقب يخلد ، وصار الصلت في خزاعة[٢] ٠

وقيل فهر هو من سمي قريشاً ، وكان صاحب فضل في حياة أبيه ، وقام مقامه بعد وفاته ، وولد لفهر غالب ، والحارث ، ومحارب ، وجندلة ، فمن ولد الحارث أبا عبيدة عامر ابن الجراح ، ومن ولد محارب ، الضحاك بن قيس ، وكان غالب أحسنهم وأظهرهم مجداً وحكمة[٣] ٠

وأوصى فهر قبل وفاته ولده غالب قائلاً : " أي بني ! ان في الحذر انغلاق النفس ، وانما الجزع قبل المصائب ، فإذا وقعت المصيبة برد حرها ، وانما القلق في غليانها ، واذا فاتت برد حر مصيبتك ، بما ترى من وقع المنية أمامك وخلفك وعن يمينك وعن شمالك ، ما ترى من آثارها في محق الحياة ، ثم اختصر على قليلك وان قلت منفعته ، فقليل ما بيدك أغنى لك بكثير مما أخلق وجهك ان صار إليك "[٤] ٠

ولد غالب ، لؤي ،وتيم ، والادرم ، وتغلب ، ووهب ، وكثير ، وحراق ، كان لؤي أشرفهم في الفضل ، وكان للؤي من الولد كعب ، وعامة ، وسامة ، وخزيمة ، وعوف ، والحارث ، وجشم ، وسعد ، وكان كعب من أعظم وأشرف ولد لؤي ، كانت العرب تسميه عروبة[٥]، كان

---

[١] الطبري ، تفسير الطبري ، ج٨ ، ص٢٩٧ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٣٦٨ ٠ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٥٦ ، ص٥١ ؛ الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٥هـ) ، نيل الاوطار في أخبار سيد الأخبار ، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٣م ، ج٣ ، ص٢٧٣ ٠

[٢] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٠ ؛ابن حبيب البغدادي ،المنمق، ص١٦٦ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج١٠ ، ص٥ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ج١ ، ص٢٤ ٠

[٣] ابن خياط ، طبقات خليفة بن خياط ، ص٢٦ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص ٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٢ ٠

[٤] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٣٣ ٠

[٥] الشافعي ، ابو عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ) ، كتاب الأم ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٤٠٠هـ ، ج١ ، ص٢١٧ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٣٦ ٠

خطيباً بارعاً ، وله من الولد مرة ، وهصيص ، وعدي ، فعدي هم رهط عمر بن الخطاب ﷺ، ومن ولد هصيص سهم وجمح ، وكان مرة سيدهم ، وكان له من الولد كلاب ، ويقظة ، وتيم رهط ابي بكر الصديق ﷺ٠

أما كلاب فكان صاحب الشرف وجلالة القدر ، واجتمع له شرف الآباء والأجداد ، وكان لكلاب من الولد قصي وهو(زيد) ، وزهرة ٠

ولما مات كلاب ،حملت زوجته فاطمة بنت سعد بن سيل قصياً الى الشام بعد ان تزوجت ربيعة بن حرام العذري ، ولما شب قصي بين أخواله ، قال له رجل من بني عذرة ألحق بقومك ! فقال له : من هم قومي ؟ قال : سل أمك ، فسألها فقالت :أنت أكرم منه نفساً وولداً ، ونسباً ، وأنت ابن كلاب بن مرة ، ثم عاد قصي الى مكة ، وكان البيت لصوفة بن تميم الخزاعي ، فلما راى قصي ذلك جمع قومه من بني فهر بن مالك ، وحضر موسم الحج ومنع بين صوفة بن تميم والإجازة ، وقامت معه خزاعة وبنو بكر ، ولما علمت خزاعة ان قصياً سيصنع بهم كما صنع بصوفة ، كونه محقاً وطموحاً ، حاربوه ، فأرسل الى أخيه من أمه في الشام دراج بن ربيعة العذري ، فأتاه بقضاعة فاقتتلوا قتالاً شديداً وكانت الحرب سجالاً ، حتى توصل الطرفان الى الصلح ، والأحتكام ، فأحتكم بينهم يعمر بن عوف بن كعب بن الليث بن بكر بن كنانة[1] ، فحكم لقصي وتسلم أمر البيت ، وان كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر موضوع يشدخ تحت قدميه ، ولهذا سمي يعمر (الشداخ) ، وكل دم أصابته خزاعة وبكر فيه الدية ، وقيل في موقف أخيه دراج المثل (وافى دراج)[2] ٠

وهناك رواية غاية في الأهمية ، يرويها ابن قتيبة[3] تؤكد العلاقات السياسية بين مجتمع الحجاز وقيصر بيزنطة في هذه الحادثة ،وهي ان قيصر ساعد قصياً من خلال أمراء غسان وبني عذرة ، فيقول : (لما صار قصي الى مكة ، وحارب خزاعة ومن معها، أعانه قيصر عليها ، حتى صارت اليه ولاية البيت ، ولولده من بعده ، فجمع قريش ٠٠) ،هذا يعني انه كانت لقصي علاقات مع الروم وغسان من خلال أخواله ، وقد انعكس هذا على علاقات الحجاز مع الأحباش في اليمن ، كون الأحباش تابعين عقائدياً وسياسياً للروم ،ولعل هذا من إرهاصات خروج عبد المطلب لإبرهة الحبشي صاحب الفيل حينما أراد هدم الكعبة٠

---

[1] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٨١ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٦٩ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١٣٣ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٢١٦ ٠

[2] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ن ج١ ، ٢٣٨ ٠

[3] المعارف ، ص٢٨٩ ٠

والى جانب هذه العلاقة الإيجابية بين عرب الحجاز والروم ،وهناك علاقة سلبية بينهما، تمثلت في الحرب بين قضاعة والروم ، فيروى[1] ان سليح بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، كان بالشام مع بني غسان ، وكانوايؤدون الأتاوة للروم ، ويوماً أرسل الروم عاملاً لهم يدعى (سنيط بن عوف الضجعمي) ليقبض الأتاوة من سليح ، فأجابه شخص من قضاعة يدعى (جذع بن سنان)[2]، بأن يأخذ سيفه كرهينة،على أساس الكفالة حتى يتمكنوا من جمع الأتاوة ، فأجابه سنيط :بان (خذ السيف واجعله كذا وكذا)[3]، فما كان من جذع الا ان ضربه واحتز رأسه ، فلما وصل الخبر للقيصر ، أرسل جيشاً تعداده ألف فارس ، ودارت بين الطرفين معركة بين بصرى والمحفف بين البرية والريف ، وكانت الغلبة لسليح ،فقتلوهم وغنموا سلاحهم ، وهاجروا من الشام الى يثرب ، وبهذا يقول الشاعر :

ألم تبلغك والأنباء تنمي بظهر الغيب ما لاقا سنيط
تحلق اذ سما جذع اليه وجذع في أرومته وسيط
بضربة جامد كشف غطاء تدر عروقه قان عبيط[4]

ولعل بعض هذه الأحداث هي التي تعني العلاقات الخارجية بين الحجاز والحواضر الرئيسة المجاورة في تلك الحقبة الزمنية البعيدة نسبياً ٠

أما قصي ، فقد مشت اليه أشراف كنانة بشأن البيت ، وقالوا له : "أنت هذا عظيم عند العرب ، لو تركناك ما تركتك العرب ، فقال والله ما خرجت منه "، وابتنى له دارا سميت (دار الندوة) لتكون مقراً للملأ ،وجمع قبائل قريش فأمر لهم بأبطح مكة ليسكنوها ، وقسمها أرباعاً ، بعد ما كانوا يسكنون رؤوس الجبال والشعاب ، ولهذا سمي (مجمعاً) وأصبحت مفاتيح الكعبة عند قصي ، فأعاد بناء البيت ووسعه وجعل طول جداره ثمانية عشر ذراعاً بعد ان كانت سبعة أذرع وسقفها بخشب الدوم وجريد النخيل ، وحفر بئراً وتولى حكم البلاد ، وكانت رأيته يتبع كالدين[5] ٠

---

[1] ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٢٥٠ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٢٤٨ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١ ، ص٤٨٤ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٦١ ، ص٤٦٢ ٠

[2] ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٣٧١ ؛ اليعقوبي تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٠٧ ٠

[3] ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص٢٨٩-٢٩٠ ٠

[4] ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٦١ ، ص٤٦٣ ٠

[5] ابن الكلبي ، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ) ، الأصنام ، تحقيق أحمد زكي باشا ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩١٤م ، ص١١ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٧١ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص٢٩ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١٨ ٠

فولد قصي عبد مناف وهو (المغيرة)، فكانت له الرئاسة والسقاية ، وكان يدعى القمر ، وعبد الدار ، فكانت له دار الندوة ، وعبد العزى وكانت له الرفادة ، وعبد قصي ،أعطاه حافتي الوادي ٠

كان قصي حكيماً خطيباً ،وكان يقول لولده مرشداً : "من عظم لئيماً شاركه لؤمه ، ومن استحسن مستقبحاً شاركه فيه ، ومن لم تصلحه كرامتكم ،فداووه بهوانه ، فالدواء يحسم الداء"[1] ٠

فلما تقلد عبد مناف الرئاسة ، وكبر شأنه ، جاءته خزاعة ، وبنو الحارث بن عبد مناة وهو سيد الأحابيش في كنانة ، يسألونه الحلف ، ليعزوا به وعقدوا حلف الأحابيش[2] ، وأقيم التحالف بان يقوم رجل من كل طرف ويضع يده على الركن فيقول :(بالله القاتل ، وحرمة هذا البيت ، والمقام ، والركن ، والشهر الحرام ، على النصر على الخلق جميعاً ، حيث يرث الله الأرض ومن عليها ، وعلى التعاقد والتعاون على كل من كادهم من الناس جميعاً ، وما أقام حراء وثبير[3]، وما طلعت عليه الشمس من مشرقها الى يوم القيامة)[4] ، وولد عبد مناف ، هاشم ، عبد شمس والمطلب ، ونوفل ، وأبا عمرو ٠

ثم تقلد الرئاسة ولده هاشم بن عبد مناف ، واسمه (عمرو) ، ويسمى (عمرو العلى) ، سمي هاشماً لأنه هشم الخبز وصب عليه المرق واللحم ، في سنة شديدة القحط نالت مكة ، وقال فيه ابن الزبعرى ، وهو عبد الله بن قيس السهمي[1] :

عمرو العلى هشم الثريد لقومه	ورجال مكة مسنتون عجاف
كانت اليه الرحلتان كلاهما	سفر الشتاء ورحلة الأصياف

وكان هاشم صاحب السيادة والرفادة والسقاية ، وكان اذا حضر موسم الحج قام خطيباً قائلاً : يا معشر قريش ،إنكم جيران الله ، وأهل بيته الحرام ، انه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون

---

[1] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ . ص٢٣٨ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، ج١ ، ص٢٧٦ ٠

[2] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٢٧ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٢٣٩ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٧٦ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٢٣١ ٠

[٤] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٣٨٠

[٥] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٧٦ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج١ ، ص٥ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص٩٨ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٧ ، ص٦٤ ٠

[٥] ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١٦٤ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ٢٤٤ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١٢ ٠

حرمة بيته ، فهم أضياف الله ، وأحق بالضيف بإكرامه ضيفه ، وقد خيركم الله بذلك ، وأكرمكم به ۰۰ فانهم يأتون شعثاً غبراً من كل بلد على ضوامر القداح ، وقد اعلوا وتفلوا واقملوا وارملوا فاقروهم وأغنوهم[١] ، وكان لهاشم من الولد عبد المطلب ، ونضلة ، وأسد ، وأبا صيفي ۰

وقام بالأمر بعد هاشم أخيه المطلب ، وكان ولده عبد المطلب بن هاشم قد عاش مع أمه في تهامة بعد وفاة أبيه ، ولما شب وكبر ، جاء به عمه المطلب الى مكة ، وكان ينيبه في السفر ، ولما سافر الى (ردمان) في اليمن ، التي مات فيها تسلم عبد المطلب واسمه (شيبة) قيادة مكة ،بعد ان أقرت له قريش بالشرف التام ، قام بإعادة حفر زمزم فوجد فيها مالاً كثيرا من ذهب وفضة ، وكان قد استخار بأحقية امتلاك هذا الكنز ، وفيه روايات كثيرة ، وكان يقول :

يا رب أنت الأحد الفرد الصمد إن شئت ألهمت الصواب والرشد
وزدت في المال وأكثرت الولد إنَي مولاك على رغم معد[٢]

وقام بعدها بكساء باب الكعبة بالذهب والفضة ، وهو أول من حلاها، إلا ان الخلاف دب بين الأخوة مما جعل بنو عبد الدار ان يتحالفوا مع سهم ضد بني عبد مناف ، فقامت أم حكيم بنت عبد المطلب فأخرجت طيباً بجفنه ، ثم وضعتها على حجر فتطيب بنو عبد المطلب ، وبنو زهرة ، وبنو أسد ، وبنو تيم ، وبنو الحارث بن فهر ، وسمي (حلف المطيبين) ۰

ولما سمع بنو عبد الدار وبنو سهم بذلك الحلف ، ذبحوا بقرة ، وجمعوا دمها في جفنة ، وقالوا: من أدخل يده في دمها (يعني الجفنة) ولعق منه ، فهو منا ، فأدخلت بنو سهم ، وبنو عبد الدار ، وبنو جمح ، وبنو عدي ، وبنو مخزوم ، أيديها ولعقت من الدم ، وسموا حلفهم (حلف لعقة الدم)[٣]۰

وكان لعبد المطلب من الولد عشرة ، هم الحارث ، والزبير ، وأبو طالب(عبد مناف) ، وعبد الله ، والمقوم ، والعباس ، وحمزة ، وضرار ، وعبد العزى (ابو لهب) ، والغيداق (حجل) ۰

---

[١]) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٧٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٤٢ ؛ المقريزي ، النزاع والتخاصم ، ص٤٨ ۰

[٢] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٤٧ ؛ ابن شهر آشوب ، ابو جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت٥٨٨هـ) ، مناقب آل أبي طالب ،المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٧٦هـ ، ج١ ، ص٢٢ ؛ المجلسي ، محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود الأصفهاني(ت١١١١هـ) ، بحار الأنوار ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ١٩٨٢م ، ج١٥ ، ص١١٢ ۰

[٣] ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١٦٦ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١ ، ص٤١ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٧٥ ۰

وكان حكم مدن الحجاز كما ذكر يقوم على قوة القبائل المتنفذة ،وعلى كفاءة الزعماء ، من خلال تكوين فكر مشترك للسيطرة على الأوضاع ، وحسم الخصومات ،وكان التأثير في الشؤون العامة يعتمد على أمرين هما القبيلة ، والصفات الشخصية ، فسلطة القبيلة تعتمد على ازدهارها ، أما الصفة الشخصية والتي تعتمد على الرأي في إقامة العلاقات مع القبائل الأخرى ، وممثلي القبائل خارج الحجاز ، والقدرة على إقناع القبائل في الإنضواء تحت قيادتها ، ولهذا نرى ان سيطرة ابي سفيان بن حرب على سياسة مكة قبل الاسلام لم تكن إلا نتيجة لعمله التجاري وازدهاره ، وازدهار قبائل عبد شمس وأمية ، وما يتمتع به من صفات ، والسبب نفسه كان وراء احتلال الوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام ، مكانة كبيرة في الشؤون السياسية والإدارية في مكة والطائف ويثرب٠

وهذا لا يعني ان المال والتجارة هما أساس العمل السياسي والإداري حسب ، بل نجد للمكانة الاجتماعية والنسب والنبل والصفات الحميدة كذلك لها الأثر نفسه رغم قلة المال ، ومصداق ذلك ما ظهر في مكة من حلف جديد بسبب دَين لرجل من اليمن على العاص بن وائل السهمي ، الذي امتنع عن تسديدة ، الأمر الذي دعا أبو طالب وأخيه الزبير بن عبد المطلب في دار عبد الله بن جدعان كل من بني زهرة ،وبني سعد ، وبني تيم والحارث بن فهر ،أي حلف المطيبين ، ليعقدوا حلفاً سموه (حلف الفضول)[١] ، وفيه يقول الزبير بن عبد المطلب :

حلفت لنعقدن حلفاً علينا وان كنا جميعاً أهل دار

نسميه الفضول اذا عقدنا يعز به الغريب لدى الجوار[٢]

والأحلاف التي عقدت في مكة وغيرها من المدن لا تخص المدينة ذاتها، ولم تكن لوقت محدد ، ولكنها تعم كل الحجاز وحتى خارجها ، ولا تبلى إلا بالإتفاق أو بتأسيس حلف آخر ، ومصداق هذا أن الإمام الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام أراد الرجوع والإحتكام الى هذا الحلف عند اختلافه مع حاكم المدينة لمعاوية بن ابي سفيان ، الوليد بن عتبة بن ابي سفيان ، انضمت اليه بنو هاشم وبنو تيم وبنو زهرة وبنو أسد ، وبنو الليث ، وبنو جعونة ، منهم عبد الله

---

[١] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٣٨ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ص١١ ٠ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٥ ٠

[٢] ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١٦٧ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص١٧٩ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج١٣ ، ص٢٩٢ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٣ ، ص٢٦٣ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٣ ٠

بن الزبير بن العوام والمسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عثمان ، وتراجع الوليد أمام هذا التهديد باعادة الحلف القديم[١] ٠

وكان أبو طالب هو أرفعهم وأشرفهم وأعزهم ، رغم قلة ماله ، وكان يسمى سيد مكة ، وسيد البطحاء ، وكانت قريش تسميه الشيخ ، وروى عنه قوله: " نحن الحكام على الناس" ، يعني هو ، وآبائه وأجداده ، وقبيلته ٠

فيروى انه لما أراد ان يخطب أم المؤمنين خديجة بنت خويلد(رضي الله عنها) لرسول الله ﷺ وقف خطيباً وقال:

" الحمد لله رب هذا البيت ، الذي جعلنا من زرع ابراهيم ، وذرية اسماعيل ، وأنزلنا حرماً آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس "[٢] ٠

وهناك رواية مهمة جداً مفادها ان خطباء النبي ﷺ وصفوا بحضرته أهل الحجاز بعبارة هي أقوى من عبارة "جعلنا الحكام على الناس " ، وقالوا : " جعلنا الله ملوكا " ٠

فحين وفد بنو تميم على رسول الله ﷺودخلوا المسجد ، نادوا رسول الله ﷺ "أن اخرج علينا يا محمد !" فآذى ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج ، فقالوا: يا محمد جئناك نفاخرك ، فأْأذن لخطيبنا ،فأذن له ، وما ان انتهى ، قال النبي ﷺ :" لثابت بن قيس بن الشماس بن الحارث الخزرجي ، قم فأجب الرجل على خطبته ، فقال : الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شئ قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته ان جعلنا ملوكاً ، واصطفى من خير خلقه رسولا٠٠"[٣] ٠

ثم أنشد الزبرقان بن بدر[*] قائلاً :

---

[١] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٨٧ ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، ج٨ ، ص١٠٨ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٠ ، ص١٦٩ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٦٣ ٠

[٢] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٠ ٠الشيخ الكليني ، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت٣٢٩هـ) ، الروض من الكافي ، تحقيق علي اكبر غفاري ، دار الكتب الاسلامية ، طهران ١٣٨٩هـ ، ج٥ ، ص٢٧٤ ؛ الباقلاني ، ابو بكر محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ) ، إعجاز القرآن ، تحقيق احمد الصقر ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٤م ، ص١٥٣ ٠

[٣] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٤ ، ص٩٨٨ ؛ ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج٢ ، ص٥٢٨ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٣٧٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٥ ، ص٥١ ٠

[*] هو الصحابي بهدلة وقيل حصين بن بشر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم ، كان صاحب رئاسة في قومه ، كان شاعراً جميلاً يسمى (قمر نجد) ، أسلم مع وفد تميم ، نزل بادية البصرةٌ ، قتل أخوه جواد بن بشر مع الخوارج بالنهروان ٠(ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٣٧ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ج١ ، ص٤٣٠ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٤٧١) ٠

نحن الكرام فلا حي يعادلنا منا الملوك وفينا تقسم الربع[1]

ويبدو ان الأحلاف التي أوردناها تغيرت في بداية الدعوة الإسلامية ، بل انقسم المجتمع الحجازي الى ثلاثة تجمعات ، تشبه الأحلاف وهي :

التحالف الأول : ضم بنو هاشم وبنو المطلب ، وبنو زهرة ، وبنو تيم ، وبنو بنو الحارث بن فهر ، وبنو عدي وهو حلف الفضول نفسه بعد ان خرج منه بنو أسد وأنضم اليه بنو عدي،لعل دخول بني عدي لهذا الحلف له صله بإسلام عمر بن الخطاب ﷺ، وحالة الخلاف بين بني عدي وبني عبد شمس [2] .

التحالف الثاني :ضم بني عبد شمس ، وبني نوفل ، وبني أسد ، وبني عامر .

التحالف الثالث : ضم بني مخزوم ، وبني جمح ، وبني عبد الدار ، وان إفتراق هذا التحالف له علاقة بالرئاسة والسلطة .

وان هناك تحالفاً صار بين التحالفين الثاني والثالث ، يوحي انه كان بسبب تجاري ، و يتضح هذا من مشاركتهما في معركة بدر ضد المسلمين ، على الرغم من اشتراك بعض بني هاشم فيها ضد المسلمين ، وكان بسبب الضغط والإكراه ، لكنهم انسحبوا منها ، وقال بعض قريش : انكم بني هاشم خرجتم معنا وهواكم مع محمد. وهذا واضح من انسحاب طالب بن أبي طالب من أرض المعركة ورجزه فيها قائلاً :

يا رب اما يغزون بطالب في مقنب من هذه المقانب[*]

في مقنب المغالب المحارب وليكن المسلوب غير السالب

والراجع المغلوب غير الغالب

فلما انهزم المشركون لم يعثر على طالب بين الأسرى ، ولا بين القتلى ، ولم يرجع الى مكة ، ولا يدرى ما حاله ، ولم يكن له عقب، ولم يعرف له قرار الى يومنا هذا[3]، وكان العباس بن

---

[1] ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج٢ ، ص٥٢٦ ؛ ابن عبد البر ، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري (ت ٤٦٣هـ) ، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٢هـ ، ج١ ، ص٣٤٤ ؛ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٤٠ ، ص٢٦٢ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص١٩٥ .

[2] الأزرقي ، تاريخ مكة ، ج١ ، ص٤٧٢ .

[*] المقنب الجماعة من الخيل ، وهي دون المائة ، والمراد هنا أن طالب كان صاحب جيش وليس صاحب أمر ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة(القنيب) .

عبد المطلب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وعقيل بن ابي طالب بين الاسرى، ولو ان صاحب المغازي (الواقدي) لم يذكر العباس من بين الأسرى،وبعضهم ذكر انه كان عيناً للمسلمين بين المشركين[١].

ثم ان الذين قضوا على المقاطعة في الشِعب كانوا من التحالف الثاني من بني عامر ، وبني أسد ، وبني نوفل ، والذين لم يهاجروا الى الحبشة كانوا من التحالف الأول من بني هاشم ، وبني المطلب ، وبني تيم ، وبني عدي ، هذا التقسيم والتحالف كان لسبب تجاري في أول الامر ولكنه أصبح فيما بعد لأسباب قبلية سياسية ٠

في هذا الإستعراض المختصر للواقع السياسي ، والتوزيع القبلي ، الذي تمخض عن أحلاف ، فكان له الأثر الرئيس في إدارة السياسة والصراع في مكة ومن خلالها الحجاز باجمعة ، وربما أبعد من ذلك ، ولابد لنا من الإشارة الى ان النظام الإداري في مجتمع الطائف كان أشبه بالمعزول ، ولعل مرد ذلك أن الطائف لم تكن مركزا روحياً ، وبعض قبائله مهاجرة منها ثقيف ،وبعض مضر ، وحمير وهم أزد السراة ، وقوم من قريش هم بنو كنانة ، وكانت ثقيف على علاقة اجتماعية وطيدة مع قريش ، حتى إنهم كانوا لا يفرقون بينهم ، فقيل (قرشي وختناه ثقيفيان ، أو ثقفي وختناه قرشيان) [٢] ، وفي هذا القول رواية طريفة تدل على خصوصية عزلتهم ، وقلة علومهم ، وعدم نضج فكرهم العقائدي٠

فيروى ان أحد الأشخاص كان مستتراً بأستار الكعبة ، فجاء ثلاثة أنفار ، كثير شحم بطنهم ، قليل فقه قلوبهم ، هما قرشي وختناه ثقيفيان أو ثقفي وختناه قرشيان ، فتكلموا بكلام لم أفهمه ، فقال بعضهم : أترون الله سمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر : اذا رفعنا صوتنا سمع ، واذا لم نرفع لم يسمع ، فقال الآخر : "ان سمع شيئاً منه سمع كله "، هذا يعني انهم لم يعرفوا الله حق معرفته ، أو لعلهم يجسمونه ٠

ولم يكن لقبائل الطائف الأثر نفسه ولا في مجال العلاقات ، كقبائل قريش في القبائل الأخرى في شبه الجزيرة العربية أو خارجها ، ثم ان الطائف كانت مسورة أو معزولة نوعا ما ٠

---

[٣] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٢١ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص٤٥١ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ص٤٠ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٣ ، ص١٦٥ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٩ ، ص٢٩٤ ٠

[١] الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ) ، كتاب المغازي للواقدي ، تحقيق ماردسن جونس ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٦٦م ، ج١ ، ص٣٨ ٠

[٢] الإمام احمد بن حنبل ، احمد بن محمد بن احمد الشيباني الوائلي (ت٢٤١هـ) ، مسند احمد ، دار صادر ، بيروت ١٩٨٨م ، ج١ ، ص٤٤٣ ؛ الترمذي ،سنن الترمذي ، ج٥ ، ص٥٣ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢٤ ، ص١٣٦ ؛ ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج٧ ، ص٥٩ ٠

ويروى ان نساء الطائف كن يلبّنَ اللبن والرجال يبنون السور ، وجعلوا له بابين ، أحدهما لبني يسار ، والآخر لبني عوف ، وكان أهل الطائف يمنعون الآخرين من دخولها حتى ضرب بهم المثل ، وفيهم يقول ابو طالب بن عبد المطلب :

منعنا أرضنا من كل حي كما منعت بطائفها ثقيف[1]

وكان لقريش علاقات تجارية فضلاً عن علاقاتها الاجتماعية ، فكان كثير من قريش يمتلكون بالطائف مزارع وبساتين ، فكان العباس بن عبد المطلب(رض) له بستان فيها ،ينقل منه الزبيب الى مكة لتحلية الماء للحجيج ، وأبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية و العاص بن وائل السهمي لهما بساتين ، وكان لعمر بن الخطاب(رض) أرض وأملاك[2]، وسكن الطائف قوم من الروم منهم عبيد الرومي ، وبعض النصارى منهم عداس وكان من أهل نينوى[3] ، وهذا التملك والسكن للغرباء في الطائف دليل على هدوء الأوضاع السياسية فيها ومرتبط بالحالة السياسية في مكة .

أما يثرب فمنذ سكانها الأوائل العماليق ، وهجرة اليهود اليها وامساكهم بزمام الأمور الإقتصادية والسياسة ، وخلافهم السياسي الأول مع الروم ، ثم هجرة الأوس والخزرج وبعض قبائل العرب وبطونهما ، فكانت الأوضاع فيها غير مستقرة ، بسبب استحواذ اليهود على كافة شؤون المدينة ، وفرضهم السيطرة على العرب وبقايا العماليق ، ثم أتم بينهم من حلف بعدم الاعتداء على بعضهم البعض ، حتى تدخل الروم عن طريق الغساسنة[4]،ولما تمكن الأوس والخزرج من الأمور في يثرب وأستقر الحال وحسنت التجارة ، أحس اليهود بالخسارة تلو الأخرى ، فأولها خسارتهم في اليمن في زمن الدولة الحميرية الثانية ، وسيطرة الأحباش وقتل اليهود هناك والثانية على يد الروم بمساعدتهم الغساسنة، ولو ان الإحداث تشير الى ان

---

[1] ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (الطائف) ، ج٤ ، ص١١ ؛الزبيدي ، محمد بن مرتضى (ت١٢٠٥هـ) ، تاج العروس في جواهر النفوس ، دار الحياة ، بيروت ،لا.ت ، مادة (طائف) ؛ الأحمدي الميانجي ، علي بن الحسين بن علي الأحمدي ،مكاتيب الرسول(ص) ، مؤسسة دار الحديث ، طهران ١٤١٩هـ ، ج٢ ، ص٥٩ .

[2] الأزرقي ، تاريخ مكة ، ج٢ ، ص٦٥ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٦٥ ؛ أنساب الأشراف ، ص٥٧ ؛ .

[3] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٦٢ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٦ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٨١ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص١٧٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٢٠ .

[4] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٢٨١ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١١٢ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص١٩٧ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٣ ، ص٢٨٤ ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١٢٧ ،١٣٤ .

الخسارتين اللتين حلتا باليهود كانتا من خلال الروم وسلطانهم الروحي على الأحباش في الأولى ، وتكليفهم الغساسنة في الثانية ٠

بعد ان استقر الوضع للأوس والخزرج اتفقت كلمتهم لحين من الزمن ، لكنها ساءت الأحوال بين الأخوين ، وانتهى الامر بينهم بحروب كثيرة امتدت حتى قبيل الهجرة النبوية ، أولها حرب سمير ، ثم يوم السرارة ، ثم يوم الديك ، ويوم فارغ ، ويوم الفجار الأول والثاني ، وكان آخرها يوم بعاث، الذي كان قبل الهجرة بخمس سنوات[1] ٠

وفي خضم هذه الحروب بين الأوس والخزرج أقام كل منهما علاقة بقسم من اليهود ، فكان بنو قريظة وبنو النضير مع الأوس ، والباقون مع الخزرج ، ولم تكن نصرة اليهود للأوس والخزرج حباً بهم ، أو شعوراً منهم بنصرة الحق أو المظلوم أو صاحب الحق ، وانما واقع الأحداث يشير الى إنهم كانوا يهدفون الى إضعاف الطرفين لينفردوا بالسلطة مرة أخرى ، وكانت الغلبة في جميعها للخزرج على الأوس ، إلا يوم بعاث الذي انتهى بهزيمة الخزرج[2] ٠

ويرجع أصل أسباب جميع هذه الأيام بين حيي العرب بيثرب ، الى عوامل اقتصادية وسياسية ٠

فالأسباب الاقتصادية تعود الى ان رئيس الخزرج عمرو بن النعمان البياضي كان يريد ان ينزل قومه في منازل بني النضير وبني قريظة ، حيث كانت أكثر مياهاً وأكرم نخلاً من منازل الأوس ٠

وفي حين ان الأسباب السياسية ، مردها الى انتصار العرب على اليهود ، على يد مالك بن العجلان الخزرجي ، و أصبحت المسألة في نظر الأوس والخزرج تنافساً سياسياً على الرئاسة في يثرب ، إذ لم يقبل الأوس ان يتباهى عليهم الخزرج ، ويصبح لهم الجاه والعزة والشرف في يثرب ٠

ومهما يكن من أمر فقد استمر النزاع ،ولم يسيطر طرف على آخر ، ويصبح هو السيد الأعلى ، وظهر دور اليهود بشكل واضح في تفتيت وحدتهم ليكونوا ضعفاء أمامهم ، إذْ تكبدوا خسائر كبيرة في الرجال والأموال والأملاك ، ولكن في نهاية المطاف اتفق الطرفان على تحقيق السلام في يثرب ، وفكروا في تولية كلٍ منهم أميراً وسيداً على قومه ، وان يكونا متعاونين ، إذْ كان سيد الخزرج عبد الله بن أبي سلول العوفي ، وكان سيد الأوس أبو عامر عبد عمر بن صيفي بن النعمان الضباعي ، وقد شقي هذان السيدان بشرفهما بظهور الاسلام ، فكان الخزرج

---

[1] المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص١٧٧ ؛ الذهبي ن سير أعلام النبلاء ، ج١ ، ص٢٤١ ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص٢١٥ ؛ الأحمدي الميانجي ، مكاتيب الرسول ﷺ، ج٣ ، ص٥٠ ٠

[2] الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٨٥ ؛ الطبرسي ، تفسير جوامع الجامع ، ج٢ ، ص٢٧٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص٤١٨ ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١٥٤ ٠

قد نظموا الخرز ليتوجوا ابن سلول ليملكوه ، إلا إنهم انصرفوا عنه ودخلوا الاسلام وتركوه وسلبه الله تعالى ملكه ، ولما رأى ذلك دخل الاسلام مكرهاً لكنه كان مصراً على نفاقه وضغائنه ، وأفكه ، حتى سمي (رأس المنافقين)[1] ، أما صاحبه أبو عامر بن عبد عمر الضباعي ، فأبى إلا الكفر وفراق قومه الذين اجتمعوا على الاسلام ، وكان يسمى الراهب ، وهو من تكلم بالحنيفية ، فجاء الى مكة ببضعة عشر رجلاً مفارقاً الاسلام وقومه ، ولما فتح رسول الله ﷺ مكة ، هرب الى الطائف ، قال عنه رسول الله ﷺ ، لا تسموه الراهب ، بل سموه الفاسق ، ولما اسلم أهل الطائف لحق بالشام ،فمات فيها وحيداً طريداً غريباً ، وسلم هرقل ميراثه الى كنانة بن عبد ياليل الثقفي ، أما ابنه حنظلة فانعم الله عليه بالإسلام ، استشهد بأحد وعُرف "بغسيل الملائكة"[2].

ومن خلال نظرة بسيطة على الواقع السياسي بحواضر الحجاز ، نجد الفرق كبيراً بين كل منهما ، فنرى في مكة أن للجاه والشرف أثر كبير في السيادة والقيادة ، بينما في يثرب العامل الاقتصادي هو العامل الرئيس في تحديد الرئاسة ، أما في الطائف فهو خليط من الاثنين ، إلا ان اللاعب الكبير في الأحداث ، هم الملأ أصحاب الحل والعقد في عموم المنطقة

الحياة الدينية في الحجاز قبيل الاسلام

كانت الجزيرة العربية ومنها الحجاز وبسبب الموقع الجغرافي عرفت بشكل أوبآخر الأديان والعقائد جميعها التي كانت موجودة قبل الإسلام ، فقد عرفت اليهودية في يثرب وما حولها من مستعمرات اليهود شمال الحجاز ، وعرفت المسيحية في نجران والحيرة وغسان واليمن وتخوم الحبشة، ، وكما عرفت الصابئة ، وسمعت عن المجوسية من فارس بحكم اتصال إمارة المناذرة بالفرس ، واعتنقها بعض أهل البحرين .

وقد تلاقت هذه الديانات الوافدة ووثنية أهل الحجاز مع البقية الباقية من دين ابراهيم عليه السلام التي قاومت الضياع قروناً ، فتمثلت في قلة من الحنفاء رفضوا عبادة الأوثان في أخريات حياة الجاهلية .

---

[1] مسلم ، صحيح مسلم ، ج٨ ، ص١١٤ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص١٥٥ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج٢ ، ص٥٧٧ ؛ الطبرسي ، تفسير جوامع الجامع ، ج٢ ، ص٢٧٤ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٥ ، ص١٥٠ .

[2] اليعقوبي ، كتاب البلدان ، ص٣١٣ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢٩٢ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٥٩ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٣ ، ص٣٦٦ .

إلا ان أهل الحجاز توزعوا بين الديانات الأربعة (الوثنية واليهودية والمسيحية والحنيفية) بعد ان أدخلوا عليها الكثير من البدع والشوائب لأغراض التعصب ،بعد ان ساعدت العزلة الصحراوية وقسوة المناخ في صد الغزاة ومنعت باقي الديانات والمعتقدات من الدخول اليه .

لذلك استقرت عبادة الأصنام والأوثان (الديانة الوثنية) في مكة وبهذا يقول ابن الكلبي[١]: "استهترت العرب في عبادة الأصنام فمنهم من إتخذ بيتاً ، ومنهم من إتخذ صنماً ، ومنهم من لم يتخذ بيتاً أو صنماً ، وإتخذ حجراً من الحرم ، أو مما استحسن ، ثم طاف به كطوافه في البيت ، فكان الرجل اذا سافر ونزل منزلاً أخذ أربعة من أحجار فنظر الى أحسنها فإتخذه رباً وجعل الثلاثة الأخرى أثافي لقدره " ،او لعله يجد أحسن منه قبل ان يرتحل فيتركه ويأخذ غيره إذا نزل منزلاً سواه[٢] .

وكانوا يذبحون لها وينحرون عندها ، ويتقربون بذلك اليها ، ويقدسون دماء ذبائحهم وقرابينهم لهياكلهم وأصنامهم وأوثانهم ، وينصبون لديها أحجاراً من النصب للأنصاب ، ويصبون عليها دماء ذبائحهم التي يتقربون بها الى آلهتهم ، فالأنصاب والأزلام كانت لوازم الاوثان والاصنام ، وبها قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣] .

ومن نذورهم التي يتقربون بها والتي هي شبه إلزامية تذبح أو تترك للوثن أو الصنم هي :

العتيرة أو الرجيبية :

وهي أشبه بالنذر الواجب على الذبائح،فمثلاً تذبح شاة من كل عشرة،وان يقول صاحب الإبل :اذا بلغت ابلي المائة عترت منها واحدة ، ويكون ذبحا في الأيام العشرة الأولى من شهر رجب ، وهذه سنة جاهلية سنها ابن شوحا وهو سعد رجب بن قموال ، سنت زمن النبي سليمان بن داود عليه السلام ، واستمرت حتى ظهور الاسلام[٤].

الفرع :

وهو هدي من أول نتاج حيواناتهم (ابل ، بقر ، غنم ..الخ) تذبح للوثن والصنم.

السائبة :

---

[١] ابن الكلبي ، ص٣٣ .

[٢] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٢١٧ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٨٢ .

[٣] سورة المائدة ، الآية ٩٠ .

[٤] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ج٢ ، ص٣٠ ؛ الشيخ الكليني ، ج٨ ، ص٢٨ .

وهي ناقة لا تذبح ، بل يحرم ذبحها ، وتترك تهيم ، ولا تُمنع من ماء وطعام[١] .

البحـيرة: وهي ابنة السائبة ، تأتي بعد عشرة إناث ، وهي لا تحلب ولا تركب ولا يجز وبرها ومحرمة على النساء دون الرجال[٢] .

الحـام :وهو الفحل من الإبل الذي ينتج من صلبه عشرة أبطن ، فيترك لايذبح ولا يحّمل أو يركب[٣] .

الوصـيلة : وهي اذا وضعت الشاة سبعة أبطن عمدوا الى ذبح السابع ، اذا كان ذكراً ، أما الأنثى فتترك ،واذا كان ذكراً وأنثى ، فقيل وصلت أخاها ، فلا يذبحان ، وتطعم للرجال دون النساء ، وبهذا كان قوله ﷻ :(وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حِكِيمٌ عَليمٌ) [٤]

ويروى ان السائبة والوصيلة والحام هي من سنن سيد خزاعة عمرو بن لحي وهو الذي قدم بهبل ومناة من الشام ، وغير دين ابراهيم ﷺ ، وهو أول من لعب النرد[٥]، واستمر المشركون في قريش يؤدونها حتى جاء الاسلام وحرمها الله ﷻ بقوله : (مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ)[٦]

---

[١] الشافعي ، كتاب الأم ، ج٤ ، ص٥٤ ؛ الطوسي ، محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ) ، الغيبة ، تحقيق علي احمد ناصح ، المطبعة الحيدرية النجف ١٤١١هـ ، ص١٢٥ .

[٢] مسلم ، صحيح مسلم، ج٨ ، ص١٥٥ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٤ ، ص٣٢ . المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٩ ، ص٨٣ .

[٣] الطبري ، تفسير الطبري ، ج٧ ، ص١٣٤ ؛ القطب الراوندي ،قطب الدين ابي الحسن سعيد بن هبة الله (ت٥٧٣هـ) ، فقه القرآن ، تحقيق محمد الحسني ، مطبعة الولاية ، قم ١٤٠٥هـ ، ج٢ ، ص٢٩٢ ؛ ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج٢ ، ص٣٢٩ .

[٤] سورة الأنعام ، الآية ١٣٩ .

[٥] ابن حبيب البغدادي ، المنمق في أخبار قريش ، ص٣٢٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٢٩ ؛ الخطيب البغدادي ، ابو بكر علي بن احمد (ت٤٦٣هـ) ، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٧هـ ، ج٥ ، ص٣٨٣ .

[٦]سورة المائدة ، الآية ١٠٣ .

(*)٠سطيح الذئبي ، هو ربيعة بن عدي بن مسعود بن مازن بن ذئب ، كاهن بني ذئب، واحد الحكام العرب ، وفيه قال الشاعر :

اليك حيناً يا سطيح نعمد   يقودنا جمعاً اليك الفدفد

ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١٠٤ .

كان لهذه الأصنام والأوثان سدنة وحجاب ، وبجانبهم كهان يدعون انه سخر لهم طائف من الجن يسترق لهم السمع ، فيتعرفون منه على ما كتب الله للناس في ألواحهم ، ومن هؤلاء الكهان سطيح الذئبي(*) ، وشق الانماري(**) [1] ، وسواد بن قارب الدوسي(***)، وعزى سلمه العذري(****) ،" وكان يقال لسطيح : من أين لك هذا العلم ؟

قال:من صاحبي من الجن كان استمع أخبار السماء حين كلم الله موسى في طور سيناء"[2].

وكان للنساء دورهن في الكهانة ، فمنهن ،كاهنة ذي الخلصة ، والكاهنة السعدية ،من سعد بن هذيل، والكاهنة الشعثاء ، والكاهنة الزرقاء بنت زهير ، والكاهنة الغيطلة ، والكاهنة طريفة بنت الخير الحميرية امرأة عمرو بن عامر ، والكاهنة الخثعمية ، وهي فاطمة بنت مر الخثعمية وغيرهن وفي قريش منهن كثير[3]، وكان يلحق بهن بعض النساء البغايا يسمون كاهنات الزنى[4].

وهذا يعني انهم كانوا يؤمنون بالجن ويخافونهم ويعبدونهم ، ويجعلون بينهم وبين الله نسباً ، على الرغم من انها كانت عندهم من مظاهر الشر ،ويجعلون الملائكة بنات الله وهن من مظاهر الخير والرحمة ،كما في قوله ﷻ (وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ

(**) شق الأنماري : هو شق بن مصعب بن يشكر بن دهم بن أفرك بن بدير بن قسر القسري ، خليفة ابن خياط ، طبقات خليفة بن خياط ، ص١٦٩ .

(***) سواد بن قارب السدوسي ، كان كاهناً وشاعراً ، ويأتيه آت من الجن ، وهو الذي أخبر بنبوة الرسول محمد ﷺ، ثم أسلم ، توفي في عام ٢٠هـ في البصرة ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٤ ، ص٢٠٣ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص١٨١ .

(****)هو عزى سلمة العذري ، وعزى أسم شيطانه ، وهو من كبار كهان الحجاز ، ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص١٠٣ .

[1] أخبار الزمان وما أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ،المنسوب للمسعودي، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٦م ، ص١١٨ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ج٢ ، ص١٩ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٣٣ ، ص١٦٩ .

[2] الأصفهاني ، الأغاني ، ج٩و١٥ ،ص٧٠ و ٨٤ ؛ الشريف المرتضى ، ابو القاسم علي بن طاهر بن احمد الحسيني (ت ٤٣٦هـ) ، الأمالي ، تحقيق احمد عبد الأمين الشنقيطي ، مطبعة النجفي ، قم ١٤٠٢هـ ، ج٣،ص٣٥ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص١٠٠ ؛ الآلوسي ، بلوغ الإرب ، ج٣ ، ص٢٩٩ .

[3] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٨٤ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٦ ؛ أخبار الزمان ، المنسوب للمسعودي ، ص١٣٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص١٩٦ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٢٤٠ .

[4] ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١٨٥ .

عِلْمٍ)[١] ، ولعل هذا الفهم من الثنوية الذي تسرب اليهم من ثنوية المجوس ، والتي انتقلت بحكم الجوار ٠

كانت عبادتهم لهذه الأوثان والأصنام والجن والأرواح ،لغرض الشفاعة والتقرب الى الله درجات لأغراض دنيوية ،حتى وصفهم الله ﷻ بقوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)[٢] ، وإنهم لا يرجون منها النجاة من النار وعذاب الآخرة ، كونهم لا يؤمنون بالبعث والنشور[٣] ، وعنهم يقول الله ﷻ :(وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)[٤] ٠

بل إنهم حتى بعد ان بعث نبي الرحمة ﷺ ،وابلغهم بالبعث والنشور والحياة الثانية ، وهؤلاء كانوا الدهماء من الناس ،إلا شرذمة منهم ، وهم الذين أخبر عنهم في التنزيل الحكيم[٥] أنكروا ذلك وسفهوه ، فقال أحدهم :

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو

وقال الشاعر الأسود بن يعفر(*) بأهل القليب :

فماذا بالقليب قليب بدر من الشيزي تكلل كل هام
أيوعدنا ابن كبشة ان سنحيى وكيف حياة أصداء وهام
أيعجز ان يرد الموت عني وينشرني اذا بليت عظامي
ألا من مبلغ الرحمن عني بأني تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي وقل لله يمنعني طعامي

أما كيفية حجهم الى الكعبة والتي بقي فيهم منها بعض السنن مثل ، تعظيم البيت ، والطواف، والوقوف على عرفة والمزدلفة ، والهدي، مزجت بالبدع الجاهلية والشعوذة وما ليس منه ، منها أشهر الحج المعلومات (الحرم) – رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم–، فكانت فرصة للبعيدين عن الكعبة للوصول اليها وتقديم نذورهم ،ويتجرون معهم ،ويقيمون في أسواقهم ، فقد كانوا يلبون للحج ،وكان دعائها الآتي:

---

[١] سورة الأنعام ، الآية ١٠٠ ٠

[٢] سورة الزمر ، الآية ٣ ٠

[٣] الطبري ، تفسير الطبري ، ج١١ ، ص١٤٩ ؛ الطوسي ، البيان في تفسير القرآن ، ج٤ ، ٨٧ ؛ الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، قم،لا.ت، ج١، ص٢٦ ٠

[٤] سورة الأنعام ، الآية ٢٩ ٠

[٥] الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد (ت٥٤٨هـ) ، الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلان ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٤هـ ، ج٢ ، ص٢٣٦-٢٣٧ ٠

كانت قريش تقول في تلبيتها: " لبيك اللهم لبيك ! لا شريك لك إلا شريك هو لك ، تملكه ما ملك " ، ويدخلون ومعهم أصنامهم ، ويجعلونها بيد كبيرهم[١] ،وكانت تلبيتهم لـ(ود) : " لبيك اللهم لبيك ! لبيك معذرة إليك " ، ويلبون لـ(اللات) : " لبيك اللهم لبيك ، كفى ببيتنا بنيه ، ليس لمهجور ولا بلية ، لكنه في تربة زكية ، أربابها من صالح البرية "[٢].

وتلبية كنانة تقول :" لبيك اللهم لبيك !اليوم يوم التعريف ، يوم الدعاء والوقوف " ، تلبية بني أسد :" لبيك اللهم لبيك ! يا رب أقبلت بنو أسد أهل التواني والوفاء والجلد إليك " ،تلبية جذام :" لبيك عن جذام ، ذي النهى والأحلام " ، تلبية بني تميم : " لبيك اللهم لبيك ! لبيك لبيك عن تميم قد تراها قد أخلقت أثوابها وأثواب من وراءها ،وأخلصت لربها دعاءها " ، تلبية بني قيس عيلان : " لبيك اللهم لبيك ! لبيك أنت الرحمن ، أتتك قيس عيلان ،راجلها والركبان " ، تلبية ثقيف : " لبيك اللهم ! ان ثقيفاً قد أتوك ، واخلفوا المال، وقد رجوك "، تلبية هذيل : " لبيك عن هذيل اذا أدلجوا بليل في إبل وخيل " ، تلبية ربيعة : " لبيك ربنا لبيك لبيك ! أنا قصدنا إليك"، وبعضهم يقول : " لبيك عن ربيعة ،سامعة لربها مطيعة "، تلبية حمير وهمدان: " لبيك عن حمير وهمدان ، والحليفين من حاشد والهان " ، وتلبية الأشعريين وعك : " نحج للرحمن بيتا عجبا ، مستترا "، تلبية الأزد : "لبيك رب الأرباب ! تعلم فصل الخطاب، لملك كل مثاب "، تلبية مذحج : " لبيك رب الشعرى ، ورب اللات والعزى "، وتلبية كندة وحضر موت :" لبيك لا شريك لك ! تملكه ،أو تهلكه ، أنت حكيم فاتركه "، وتلبية غسان : " لبيك رب غسان ،راجلها والفرسان "، وتلبية بجيلة :" لبيك عن بجيلة في بارق ومخيلة "، وتلبية قضاعة : " لبيك عن قضاعة ، لربها دفاعة ، سمعاً له وطاعة"[٣] ،أما هوازن فكان صنمها الكبير (جهار) ،

---

[*]هو ابو نهشل الأسود بن يعفر بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم الدارمي التميمي ، من فحول شعراء الجاهلية كان ضريراً ومن سادات تميم في العراق ، كان فصيحاً جواداً ، وكان نديم ملك الحيرة النعمان بن المنذر ؛ابن مزاحم المنقري ، ابو الفضل نصر بن مزاحم بن سيار التميمي الكوفي (ت٢١٢هـ) ، كتاب التوابين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٣٨٢هـ ، ص١٤٢ .

[١]ابن الكلبي ، الأصنام ، ص٧ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٣١١ ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢٣٨ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٣ ، ص١٨١ .

[٢] ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٣١٢ .

[٣] ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٣١٢-٣١٤ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٥٥ -٢٥٦ ؛ السويدي ، ابو الفوز محمد أمين بن علي بن محمد سعيد البغدادي (ت١٢٤٦هـ) ، سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب ، المطبعة العلوية ، بغداد ١٣٥٤هـ ، ص٤٣-٥٥ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٣و٧ ، ص١٧ و١٩٨ ؛ الآلوسي ، بلوغ الإرب ، ج١ ، ص١٤٤ .

سدنته من آل عوف بن النضر ، وتلبيتهم له : " لبيك اللهم لبيك ، لبيك إجعل ذنوبنا جبار ، واهدنا لأوضح المنار ، ومتعنا وملنا بجهار "[١] .

مع العلم انه كان في الجزيرة العربية أكثر من كعبة أو بيت للعبادة يحج الها الناس ، وهي بيوت لأصنامهم يعبدونها فيها ويحجون اليها ، وهذا لا يعني ان لجميع الأصنام بيوتاً ، بل لقسم منها وهي :

ود : هو صنم لبني كلب بن وبرة ، وقضاعة ، في دومة الجندل ، بجرش .

نسر : كان لحمير ،لآل ذي الكلاع ، منصوب في صنعاء .

سواع : هو لكنانة ، منصوب برهاط ،ويروى ان ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر هي أسماء لأشخاص صالحين من قوم إدريس ﷺ ونوح ﷺ إتخذ الناس لهم صوراً ليقتدوا بهم ، فلما ذهب علمهم زين لهم الشيطان صورهم فقاموا بتعظيمها والتقرب اليها[٢] .

العزى : لقريش وجميع كنانة ، وهو بنخلة .

ذو الخلصة : وهي لبجيلة وخثعم ، وتسمى الكعبة اليمانية .

الفلس: وهي لطئ ، لآل حاتم الطائي ،كان لها بيت في جبل آجا بنجد ، خربه علي بن ابي طالب ﷺ، وغنم كثيراً من الأسلحة والذراري[٣].

ذو كعبات : وهي لربيعة وأياد ، وهي في أرض العراق.

سنداد : وهي لأياد في أسفل الكوفة .

الخورنق والسدير وبارق : وهي القصور المعروفة لملوك الحيرة ،وكانت ايضاً بيوت للأصنام ، هدمت جميعها لما جاء الاسلام ، ولم يبق للكعبة ما يضاهيها، وبها يقول الشاعر الأسود بن يعفر:

أهل الخورنق والسدير وبارق والبيت ذو الكعبات في سنداد
عفت الديار على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد[١]

---

[١] ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٣١٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ،مادة(جهار) ، ج٢ ، ص١٩٢ ؛ كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٨٨هـ ، ج٢ ، ص١٢٣٢ .

[٢] ابن الكلبي ، الأصنام ، ص٣٨ –٤٨ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص٣٢٧ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١ ، ص١٢٣ ؛ أخبار الزمان ، المنسوب للمسعودي، ص٧٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١ ، ص٣٤ .

[٣] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٢ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٣١٦ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٢٤١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (الفلس) ، ج٤ ، ص٢٧٣ .

رضاء : وهي بيت لربيعة بن كعب التميمي ،ويروى انها كانت بيت النبي ابراهيم عليه السلام ، يقول الشاعر المستوغر بن ربيعة التميمي فيها حين هدمها بالاسلام :

ولقد شددت على رضاء بشدة فتركتها قفراً بقاع اسحما[٢]

اللات : وهي لثقيف ، في الطائف ٠

مناة : وهي للأوس والخزرج، وهي بفدك ٠

ذو الكفين : وهي لدوس ، وكان لها بيت كبير ، هدمها وأحرقها في الاسلام الصحابي عمرو ابن حممة الدوسي(*) ، وقال فيها :

يا ذا الكفين لست من تلادك ميلادنا أكبر من ميلادك

أنا حشوت النار في فؤادك[٣]

رئام : وهو للأزد، في اليمن بصنعاء، وهو بيت كبير ، يعظمونه وينحرون له ، وهو كعبتهم[٤] ٠

شمس : صنم لبني عذرة ٠

ويذكر الطبري[٥] وغيره من المؤرخين ، ان قوم النبي هود عليه السلام في اليمامة كانوا يعبدون أصناماً هي (صدا وصمودا و هبا) وهي أسماء لرجال صالحين ماتوا فُعبدوا ، وكانت لها بيوت ، درست بعد حين ، وبها يقول الشاعر يزيد مفرغ الحميري(*) :

أو بومة تدعو صدا بين المشقر واليمامة

---

[١] ابن الكلبي ، الأصنام ،ص٣٧ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٥٧ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٢٦ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (سنداد) ،ج٣ ، ص٣٦٦ ٠

[٢] البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٣٥٢ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١ ، ص٤٩٩ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (رضاء) ، ج٣ ، ص٥٠ ٠

(*) هو عمرو بن حممة بن الحارث بن رفاعة بن سعد بن ثعلبة بن لؤي بن عامر بن غنم ابن دهمان بن منهب بن دوس ، من حكماء اليمن ، ومن المعدودين بالجمال والحسن ، مات باصبهان بخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٥٤ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٥٨ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٥٣ ٠

[٣] ابن الكلبي ، الأصنام ، ص٣٧ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٢٤ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٢١٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٥٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٢٤٣ ٠

[٤] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٥٥ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١ ، ص٥٣٢ ؛ البكري ، معجم ما استعجم ،مادة (قصر يشع) ، ج٤ ، ص١٣٩٦ ٠

[٥] تاريخ الطبري ، ج١ ، ص١٥٠ ؛ السيد المرتضى ، الأمالي ، ج٢ ، ص٩٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١ ، ص١٣٨ ٠

والريح تبكي شجوها　　　البرق يلمع في القمامة[1]

هذا فيما له علاقة بالديانة الوثنية في الحجاز ، أما الديانة الأخرى فيه فهي الديانة اليهودية ،فقد دخلت هذه الديانة الى الحجاز على شكل جماعات متعاقبة من شمال الحجاز (بلاد الشام) ، واستقرت في الواحات الخصبة فيه ، مثل يثرب وخيبر وفدك ووادي القرى وتيماء .

ويروى ان اليهود نزلوا يثرب أول مرة بعهد النبي موسى بن عمران ﷺ إذْ بعث منهم الى عماليق يثرب فقاتلوهم حتى قتلوهم ، وأصابوا ابن ملكهم ، وأخذوه الى النبي موسى ﷺ ،والذي كان قد توفي قبل عودتهم ،فلم يسمح لهم بالإقامة بالشام فرجعوا الى الحجاز وسكنوا أرضهم يثرب[2] ، وهذه الرواية صعبة التأكد منها ، ثم اذا كانوا من اليهود وأرسلهم نبيهم ، وعادوا منتصرين الى قومهم ولم يسمح لهم بالإقامة في أرضهم .

ويروى ان بني قريظة وبني النضير هم أولاد الكوهن بن النبي هارون ﷺ ، وكانوا أهل بغي وعدوان[3] وهم من السابقين في سكن يثرب ، ولكن بني قريضة يزعمون ان الروم لما ظهروا في الشام قتلوا من بني إسرائيل خلقاً كثيراً ، فخرج بنو قريضة وبنو النضير وبني

---

(1) السيد المرتضى ، الامالي ، ج٢ ، ص٩٧ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٦٥ ،ص١٩ .

(*) هو يزيد بن ربيعة المفرغ الحميري ، سمي المفرغ لأنه راهن على شرب سقاء من اللبن فشربه ، فسمي مفرغ، كان من فحول الشعراء ، وهو القائل :

أنا أمرؤ حميري حين تنسبني　　　جدي رعين وأخوالي ذوو يزن

وكان على خلاف شديد مع الدولة الأموية ، ويروى انه هجا عبيد الله بن زياد ، فشكاه عبيد الله الى معاوية وطلب قتله ، لكنه منعه من ذلك ، وقال له أدبه ، فسقاه المسهل ، واركبه على حمار وربطه ، وطاف به في الأسواق ، ويزيد جد الشاعر العباسي الكبير اسماعيل بن محمد بن يزيد المعروف بالسيد الحميري نظير ابي العتاهية ، ابو الفرج الأصفهاني ،؛ الأغاني ، ج١٧ ، ص٥١ ، الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٥ ، ص٣١٥ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص٥٢٣ .

(2) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١٠٩ .

(3) قطب الدين الراوندي ، ابو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن (ت٥٧٣هـ) ، الخرايج والحوايج ، المطبعة العلمية ، قم ١٤٠٩هـ ، ج١ ، ص١١٤ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٢٨٧ ؛ المجلسي أ بحار الأنوار ، ج١٥ ، ص٢١٤ .

(*)بنو هدل : هم أبناء عم بنو قريظة والنضير ، وهم سادتهم ، اسلموا جميعاً وكان سيدهم ابن الهيبان ، قيل لإبن الهيبان يوماً : " لماذا قدمت يثرب ؟ قال : كي أتلمس خبر النبي الجديد " (ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧١٩ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٤٨ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٨٢-٨٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٣٧٩)

هدل(*) هاربين من الشام يريدون الحجاز ، ليسكنوا مع من سبقهم من اليهود بحدود عام ١٣٢م في عهد الملك الروماني هوريان[١]، وتمكنوا من تهويد بعض أهل يثرب من الأوس والخزرج ،

ثم تجاوزت اليهودية بلاد الحجاز لتصل الى اليمن في زمن تبع الأصغر(**)،إذْ قام بالهجوم على يثرب وقتل من يهودها ثلاثمائة وخمسين رجلاً ، ثم وصل مكة وأراد خرابها ، حتى انبرى له حبر منهم وهو ابن مائة وخمسين سنة ، وقال له: " أيها الملك مثلك لا يقبل قول الزور ، ولا يقتل على الغضب ، وانك لا تستطيع تخريب هذه القرية (مكة) ، لأنه يخرج منها من ولد اسماعيل ويظهر في هذه البنية "، فذهب من يثرب الى مكة وكسى الكعبة وأطعم الناس ، ثم حمل أثنين من أحبارهم الى اليمن ونشروا الديانة اليهودية فيها وفي اليمامة والبحرين وكانت اليهودية في بني الحرث بن كعب وحمير وبني كنانة وكندة ٠

ولما كان السيل العرم ، نزلت يثرب قبائل الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ، وأمهم قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد ، لذلك سمي الأوس والخزرج بنو قيلة[٢] ، وكان كبير اليهود في يثرب اسمه (الفيطوان)وقيل(الفطيون) ، وهو رجل مستبد يعتدي على نساء الأوس والخزرج ، وقيل انه لا تتزوج بنت منهم إلا وان تدخل عليه قبل زواجها ، حتى جاءت إحدى بنات الخزرج قبل ان تدخل عليه كشفت ساقها في المجلس وكان أخوها جالساً يدعى مالك بن العجلان بن زيد السالمي الخزرجي ، فقال لها القوم جئت بسوء لقومك بهذا العمل ، فقالت : بل جئت لرجل غير زوجي ، فانتفض أخوها مالك بن العجلان ، ودخل معها بملابس النساء ، وقتل الفيطوان وفر الى الشام ، ونزل على احد ملوك غسان ، يقال له ابو جبيلة ،ولعله الحارث بن جبله الغساني لتقارب زمن الحدث مع امارته ، فنصره وساعده وتحايل على قتل رؤساء اليهود ، ومنذ ذلك

---

[١] ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (مدينة يثرب) ، ج٥ ،ص٨٤ ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١١٠.

(**)هو سعد وهو تبان بن ملكيكرب بن قيس بن زيد بن عمرو بن ذو الاذعار بن أبرهة ذو المنار بن الرائس بن قيس بن صيفي بن سبأ ابو كرب ،ملك اليمن حكم بعد عبد كلال وهو الذي بشر بظهور النبي ﷺ قبل ٧٠٠عام ٠(ابن حبيب البغدادي ، المحبر ،ص٢٦٧ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١ ، ص٥٣٥ ؛ القطب الراوندي ، الخرايج والحوايج ، ج١ ، ص٨١ ؛ ابن حجر ، شهاب الدين احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٣هـ) ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ج١٢ ، ص٢٩٣ ٠

[٢] ابن شبة النمري ، تاريخ المدينة ، ج٢ ، ص٤١٩ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١٠٦ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٩٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (مدينة يثرب) ،ج٥ ، ص٨٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١ ، ص٦٨٣ ٠

الوقت أصبحت السيادة بيثرب الى الأوس والخزرج[١]، وقصته مشابهة لقصة استبداد عملوق الطسمي في اليمامة ، إذْ استذل أهلها ، واعتدى على نساء جديس ، الامر الذي دعى الأسد بن غفار سيد جديس الى قتل عملوق الطسمي[٢].

وكان يهود يثرب يجتمعون في قرى فيها الحصون والآطام[٣]، وكان لهم بيثرب بيت يعرف باسم بيت المدراس[٤] ، كان يجلس فيه كبارهم وعلماؤهم وأحبارهم وربانيوهم يتدارسون التوراة ويفصلون فيما شجر بينهم .

وكان اليهود عندما نزل حولهم الاوس والخزرج يزيدون عن عشرين قبيلة ، وكان

لهم تسعة وخمسون آطماً ، والعرب النازلين عليهم قبل الأوس والخزرج ثلاثة عشر آطماً[٥].

وكان ممن بقي من يهود يثرب عند نزول الاوس والخزرج هم : بنو قريظة ، وبنو النضير ، وبنو محمحم ، وبنو زعورا ، وبنو قينقاع ، وبنو ثعلبة وبنو زهرة ، وأهل زبالة ، وأهل يثرب ، وبنو القصيص ، وبنو فاعصة ، وبنو ماسكة ، وبنو القمعة ، وبنو زيد اللات ، وبنو عكوة ، وبنو مرانة ، وبني غصينة ، وبنو حجر[٦] .

وكان جمهور اليهود ينزلون بمجتمع السيول ، مثل سيل بطحان والعقيق وسيل قناة ، وخرج بنو قريظة وهذل على وادي مهزوز ، وبنو النضير على وادي مذيبيب ، وابتنوا الآطام والمنازل وحفروا بها الآبار وزرعوا الأشجار ، ونزل بنو قينقاع عند منتهى جسر بطحان مما

---

[١] ابن الكلبي ، الأصنام ، ص٣٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٠٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (يثرب) ، ج٥ ، ص٨٥ ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١٢٦ وما يليها .

[٢] الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١ ، ص٣٥٢ ؛ أخبار الزمان ، المسعودي ، ص١٢٤ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٢٤ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عنز) .

[٣] الآطم : هو الحصن المبني من الحجارة ، يكون مربع الشكل ومسطح، جمعها آطام ، وبها يقول الشاعر أوس بن مغراء السعدي :

بث الجنود لهم في الأرض يقتلهم ما بين بصرى الى آطام نجرانا

ابن منظور ، لسان العرب ، مادة(أطم) ، ج١٢ ، ص١٩ .

[٤] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٦٤ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢٨٥ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٤ ، ص٥٠ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٢ ، ص١٠٥ .

[٥] السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١١٦ .

[٦] ابن خياط ، خليفة بن خياط العصفري البصري (ت٣١٠هـ) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق سهيل زكار ،دار الفكر ، بيروت ١٤١٤هـ ، ص١٨٩ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ج٣ ، ص١٥٥ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٩ ، ص٧٩ ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١١٣ .

يلي العالية ، ونزل بنو زعورا عند مشربة أم ابراهيم ، ونزل بنو زيد اللات قريبا من بني غصينة ، ونزل بنو حجر عند المشربة بالعالية[١].

وكانت أكبر هذه القبائل ، هم بنو قريظة ، وبنو النضير ، وبنو قينقاع ،وبجوارهم أقامت بطون يهودية صغيرة .

تأثر اليهود بجيرانهم العرب ، فانقسموا الى قبائل وبطون ، واتخذوا أسماء عربية ، وكانوا يتخاطبون بالعربية ، ولكن كانت عربيتهم تتداخل فيها رطانة عبرية[٢] .

وبالرغم من التعايش الطويل والإختلاط بين اليهود والعرب وعلى أي شكل ،إلا إنهم لم يتمكنوا من نشر ديانتهم وعقيدتهم بين العرب لعدة أسباب منها : لم يهتم اليهود بالتبشير الديني ، كما هو الحال بالمبشرين النصارى ، وان نظرتهم بان ديانتهم خاصة بهم تحت زعم إنهم شعب الله المختار ، فلا يجوز ان يشاركهم بها أحد غيرهم ، ثم إنهم لم يرحبوا بالغرباء من غير ملتهم ، بسبب ان الآخرين غير جديرين بهذه الديانة ،وكانوا يعتقدون بأنهم لا يزالون مضطهدين مطرودين وموتورين ،وهذه العقدة تحتم عليهم الشك والخوف من كل شئ ،ومؤمنين بانهم أهل الأرض الحقيقيون ، ولا بد ان يستعيدوا أرضهم الخصبة المعطاء ،فقد فكروا واهتموا وتهافتوا على جمع المال وبحرص شديد، على الرغم من انهم عوملوا بأحسن مما كانوا عليه في بلادهم الأولى ، فعاشوا عيشة أهل يثرب العرب ، ولبسوا لباسهم ، وتصاهروا معهم ، وكانت لهم بيوت ومدارس يتدارسون فيها أمور دينهم ، ولهم كتبهم الدينية[٣] .

واحتفظت اليهود بالحرية الدينية ، وممارسة طقوسهم وشرح تعاليمهم حتى بعد ظهور الاسلام وتكوين الدولة الإسلامية ، فيروي البخاري[٤] ويقول : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام ، فقال رسول الله ﷺ : لا تصدقوا أهل الكتاب ، ولا تكذبوهم ، وقولوا (آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[٥] .

---

[١] ابن شبة النمري ، تاريخ المدينة ، ج١ ، ص١٧٠ ؛ الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) ، المنتخب في كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين ، مؤسسة الاعلمي للطباعة ، بيروت ١٩٣٩م ، ص١٠٨ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (مريح) ، ج٥ ، ص١١٧ ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١١٣ وما بعدها .

[٢] ولفنسون ، إسرائيل ، تاريخ اليهود في بلاد العرب ، القاهرة ١٩٢٧ م ، ص٢٠ .

[٣] جواد علي ، العرب قبل الاسلام ، ج٦ ، ص٢٠-٢١ .

[٤] البخاري ، ابو عبد الله اسماعيل بن ابراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠١ هـ ، ج٨ ، ص١٦٠ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢١ ، ص٦ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٢ ، ص١٤٠ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٥ ، ص١٤٧ .

[٥] سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ .

أما النصرانية فكانت منتشرة بشكل واسع في شبه الجزيرة العربية ،وانتشرت بكل أرض العرب[1] وكان انتشارها أكثر من اليهودية ، إذْ اعتنقتها قبائل ربيعة وغسان وطئ وبعض قضاعة[2] ، لكنها لم تستطيع الدخول والتغلغل بشكل واسع في قلب شبه الجزيرة العربية (الحجاز)[3] .

دخلت النصرانية الى بلاد العرب عن طريق النساك والرهبان وبتجارة الرقيق من الجنسين ، وكذلك كان للأديرة أثر كبير في معرفة التجار العرب بالنصرانية ، إذْ كانت هذه الأديرة مكانا للهو والراحة والشراب ، والتزود بالماء ، فاطلع العرب على كل شئ من الديانة النصرانية من خلال شعائر الرهبان التي كانوا يؤدونها ، فقد نجح هؤلاء الرهبان في إقامة عدد من الأديرة في أماكن نائية من بلاد العرب ، فوجد عدد منها في نجد والحجاز وفي جنوب وشرقي الجزيرة العربية،وكانت هذه الأديرة تتلقى المساعدات من الكنائس النصرانية في العراق والشام[4]،إلا انها أديرة صغيرة ليست لها شهرة كبيرة وليست مثل أديرة الحيرة والشام وغيرها ، وليس لها اثر في كبير في إدخال النصرانية لأهل الحجاز كونهم شديدي التمسك بعبادة الأصنام والأرواح ، وان هذا الدين هو من خارج بلادهم ، وهذا لا يعني أنه لم يتنصر من أهل الحجاز أحد ، فقد وردت عليهم من عباد الحيرة النصارى من خلال التجارة مع قريش ، ومن الحبشة بعد احتلالهم لبلاد اليمن سنة (٥٢٥م)[5]، حتى أصبحت مركزاً للتبشير بالنصرانية

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢١ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١ ، ص٥٤٢ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٧ .

(٢) ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص٢٢٦ .

(٣) عبد العزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب ، الإسكندرية ١٩٦٨ ،ص٦٥٣ .

(٤) جواد علي ، العرب قبل الاسلام ، ج٦ ، ص٦٠ .

(٥) ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص٧٠ ؛ ابن الأثير ، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني(ت٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق ابو الفداء عبد الله الصافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٥ ، ج١ ، ص٣٤٢ .

(*) القليس : هي كنيسة كبيرة بناها ابرهة بن الصباح لما ملك اليمن على باب صنعاء ، وأراد من بنيانها صرف الحجيج العرب عن مكة المكرمة ، ولما سمع العرب بهدف البناء ، جاء أحدهم وقعد فيها ، وحلف ابرهة إلا ان يهدم الكعبة (والقصة معروفة) ، وقد نقشت هذه الكنيسة بالذهب والفضة والزجاج والفسيفساء وصنوف الجواهر وألوان الأصباغ ،وجعل فيها خشباً له رؤوس كرؤوس الرجال وجعل على القبة برنساً ، واذا كان يوم العيد كشف البرنس عنها فيتلألأ رخامها مع ألوان الأصباغ حتى تكاد تلمع البصر ، ويروى ان الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب نقل من قصر بلقيس صاحبة النبي سليمان عليه السلام كونها تبعد فراسخ عن القصر ،سميت قليساً لعلوها وطولها ، ومنه القلانس ،لأنها في أعلى

، واتخذ إبرهة من نجران مركزاً للتبشير بالنصرانية بين العرب وبنى القليس(*) ، وبالغ الاعتناء بها وتزيينها ولما فرغ منها كتب الى النجاشي يقول (قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى اصرف اليها حاج العرب)[1]، ودخلت المسيحية من الشمال الشرقي من شبه الجزيرة العربية من الرها ونصيبين واربل وسلوقية وطيسفون والتي تعد من معاقل النسطورية التبشيرية[2].

الى جانب الوثنية واليهودية والنصرانية عرفت أديان اخرى عن طريق الفرس كالمجوسية ، وهم القائلون بالثنوية (النور والظلمة) ، وكانت المجوسية في تميم اعتنقها منهم زرارة بن عدس التميمي ، وابنه حاجب بن زرارة ، وكان قد تزوج ابنته ، ثم ندم ، ومنهم الأقرع بن حابس[3] ، وأبو الأسود بن عليب بن عوف بن نابل بن عوف بن غدانة الغداني جد وكيع بن حسان الذي قتله قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٩٦هـ[4] .

وعبد قسم من أهل الحجاز النجوم والكواكب كالشمس والقمر والزهرة ، وعرفوا بالصابئة ، وكانت بعض قبائل لخم وخزاعة وقريش قد عبدت الشعرى العبور وهي الشعرى اليمانية وهي (الغميصاء) ، وعبدت طئ الثريا وسهيل ، وعبد قسم من تميم القمر[5] .

كان من بين العرب جماعة سمت نفوسهم عن عبادة الأوثان ولم يتهودوا أو يتنصروا ، عرفوا بالأحناف ، وهي لا تعني جماعة دينية ولم تكن الحنيفية ديناً ، كما هي اليهودية أو النصرانية أو الاسلام ، أنما هي صفة أطلقت على من ينبذ الشرك ويميل للتوحيد ، وهي صفة النبي ابراهيم الخليل ﷺ .

الرؤوس ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٨ ، الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١ ، ص٥٥٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ،مادة(قليس) ، ج٤ ، ص٣٩٤ .

[1] الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١٣٢ ؛ ابن الجوزي ن ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر السقا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩م ، ج٢ ، ص١٢٢ .

[2] الآلوسي ، بلوغ الإرب ، ج٢ ، ص٢٢٠ ؛ جواد علي ، العرب قبل الاسلام ، ج٥ ، ص٣٦٣ .

[3] ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص٢٦٦ ؛ ابن ماكولا ، الإكمال ، ج٤ ، ص٣٩٣ .

[4] ابن الكلبي ، الأصنام ، ص٣٩ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص٢٦٦ .

[5] ياقوت ، معجم البلدان ، مادة(الغميصاء) ، ج٤ ، ص٢١٤ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٧ ، ص١١٩ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٠ ، ص٣٩٥ ؛ جواد علي ، العرب قبل الاسلام ، ج٥ ، ص٢٢٣-٢٢٥ .

(*) الخلال : هو اخراج الطعام من بين الأسنان بعد الطعام ، وهو تفريق شعر اللحية وأصابع اليدين والرجلين في الوضوء؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١١ ، ص٢٢٠ .

والحنيفية تعني الطهارة ، وهي عشرة سنن خمسة منها في الرأس ، وخمسة منها في البدن ، أما التي في الرأس فهي (أخذ الشارب ، وإعفاء اللحى ، وطم الشعر ، والسواك ، والخلال(*))، أما التي في البدن فهي (حلق شعر البدن ، والختان ، وتقليم الأظافر ، والغسل من الجنابة ، والطهور بالماء)، وهذه الحنيفية التي جاء بها إبراهيم عليه السلام ولا تنسخ حتى قيام الساعة[1] .اما الشهرستاني[2] فيقول : "أصل الحنيفية الطهارة ، وترك عبادة الأصنام ، وعبادة الله وحده ، وان الله تعالى بعث الأنبياء لتقريرها ، وان المبدأ والمعاد منوطة بتحصيلها ، وان الشهادة والتوحيد مقصور عليها ، وان الخلاص والنجاة متعلقة بها ، ويتطرق الى الطهارة والجنابة وغيرها "، وكأنه يقارن بين الاسلام والصابئة عبدة الكواكب ، كون هذه السنن العشر لا توجد عند الصابئة.

وقد أشار الله تعالى للحنيفية بقوله ﷻ :(وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[3] ، وقوله ﷻ (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[4] .

على ان من كان على الحنيفية قليلون يعدون على الأصابع ، منهم بشر بن أوس بن حارثة بن ثعلبة ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة الأيادي ، وأسعد أبو كرب الحميري ، وابو قيس صرمة بن أبي أنس ، وآباء الرسول الكريم ﷺ الى آدم عليه السلام إذْ كانوا جميعهم على التوحيد ، وليس فيهم مشرك ، لان الله تعالى ، خاطب المشركين بقوله (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ)[5] ، فكيف يكون من آباءه مشركين[6] ، وهذا لا يتفق مع قوله ﷺ: " فلم يزل يفضلنا الله عز وجل من أصلاب طاهرة الى أرحام طاهرة حتى انتهى الى عبد المطلب وجعلني

---

[1] الجصاص ، ابو بكر احمد بن علي الرازي (ت٣٧٠هـ) ، أحكام القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥هـ ، ج٢ ، ص٤٦٠ ؛ الشيخ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج١ ، ص٥٤ ؛ الطبرسي ، تفسير مجمع البيان ، ج١ ، ص٣٧٥ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٣ ، ص١٣٤ .

[2] الملل والنحل ، ج٢ ، ص٥٢-٥٣ .

[3] سورة البقرة ، الآية ١٣٥ .

[4] سورة آل عمران ، الآية ٦٧ .

[5] سورة التوبة ، الآية ٢٨ .

[6] ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص٢٧ ؛ الفخر الرازي ، ابو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي الطبري (ت٦٠٦هـ) ، مفاتيح الغيب المسمى (تفسير الرازي) ، ترتيب سعيد الأنصاري ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٠٨هـ ، ج٤ ، ص١٧٤ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٥ ، ص١١٧-١١٨ .

في صلب عبد الله " ([1]) ، ويؤكد هذا القول ابن عباس رضي الله عنه فيقول هذا تأويل قوله ﷻ : (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ)([2])

والحياة الإقتصادية في الحجاز قبيل الإسلام

ظهرت بلاد الحجاز بصفتها التجارية بحدود القرن السادس للميلاد ، خصوصاً بعد الصراع البيزنطي الساساني ، والذي استمر حتى غلبت الروم فارس زمن صلح الحديبية([3]) ، والذي أدى الى شل حركة طريق تجارة الهند الى الخليج العربي ، وكذلك سقوط دولة اليمن على يد الأحباش ، وكثرة مشاكل الطريق في البحر الأحمر ، الأمر الذي مكن قريش من السيطرة على تجارة القوافل الغنية في عموم الجزيرة العربية ، اذ أصبحت تتولى مبادلة البضائع الواردة من الهند واليمن والحبشة ، بإنتاج بلاد الشام وبلدان البحر المتوسط ٠

ثم مدت تجارتها الى العراق والخليج العربي ، بعد ان كانت تجارتهم قبل هذا التاريخ لا تعدو مكة ، حتى ركب هاشم بن عبد مناف الى الشام فنزل بقيصر وملوك غسان ، فكتب له كتاباً يؤمنهم ويؤمن تجارتهم ، وأخذ المطلب الإيلاف (العهد) من ملوك حمير في اليمن ، وأخذ عبد شمس بن عبد مناف الإيلاف من ملك الحبشة النجاشي الأكبر ، وأخذ أخاهم الأصغر

---

[1] ابن سعد الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٣٥ ؛ الشيخ الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص١٣٥ ٠

[2] سورة الشورى ، الآية ٢١٩ ٠

[3] الطبرسي ، تفسير مجمع البيان ، ج٨ ، ص٤٢ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٥ ، ص١٥١ ؛ المجلسي ، بحار الانوار، ج١٧ ، ص١٩٨ ٠

نوفل بن عبد مناف الحبل(العهد) من كسرى وملوك العراق[1] ، وكان هؤلاء الأخوة الأربعة يسمون (المجيرين)[2] ،كونهم كانوا يألفون الجوار ويجيرون قريش بعيرهم ٠

كانت وسيلة التعامل التجاري في عموم الحجاز هي بطريقة التبادل او النقد ، إذْ كانت العملة التي ترد عليهم هي دينار هرقل ، وكانوا لا يتبايعون به الا على انه تبر ، والدرهم الساساني البغلي الأسود ، والدرهم الطبري البيزنطي ، والدرهم اليمني[3]، ومن اجل تفصيل الحياة التجارية في الحجاز من المفيد بيان الصفة التجارية لمكة ويثرب والطائف كل على حدة ٠

مكـة : تمتاز مكة بكونها بلداً دينياً وتجارياً ولا يوجد فيها أي نشاط زراعي ،اذ كانت مكة مركزاً للطريق التجاري بين اليمن وبلاد الشام وكانت تتدفق عليها منتجات الشرق الأدنى عن طريق الفرات والخليج العربي واليمن[4] ، ومنتجات مصر والشام عن طريق الشام ، وهي على اتصال وثيق بالحبشة ، وكانت طائفة من الصنائع والشذاذ ،تعرف بالأحباش تعمل بالتجارة ، يسمون (سودان مكة)[5]، ومنهم استأجر ابو سفيان ألفي رجل للمشاركة في معركة بدر[6] ،ولأهل مكة وكلاء في مدن الجزيرة العربية مثل تبالة وجرش ونجران وغيرها من المدن التجارية ، وكانت تلعب دور الوسيط التجاري بين عالمين متصارعين هما الساسانيين والبيزنطيين ، وبشكل محايد في المجال السياسي ، على الرغم من ان البيزنطيين كانوا يأنفون من التعامل مع العرب ، ويرون بضرورة إخراجهم من بلاد الشام ، ويروى ان قياصرة وملوك الشام كانوا لا يرحبون بكل تاجر قرشي ، بل ان القيصر كان يأمر بحبس تجار قريش لأي سبب أو بدونه ٠

فيروى ان القيصر ابلغ عمرو بن جفنة[7] أن يحبس ما أراد من تجار قريش ، فوجد في الشام أبا أحيحة (سعيد بن العاص) وابن أخت له يدعى ابو ذئب[1]، فحبسهما ، فمات ابو ذئب

---

[1] ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص٤٤-٤٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٤٣ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١٣ ٠

[2] القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٢٠ ، ص٢٠٤ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ألفه) ٠

[3] البلاذري فتوح البلدان ، ج٣ ، ص٥٧١ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج١ ، ص٢٦٣ ٠

[4] موسيل ، لويس ، شمال الحجاز ، ترجمة عبد المحسن الحسيني،مطبعة الاسكندرية ١٩٥٢م ، ص٨٧ ٠

[5] ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت٥٨١هـ) ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٥ ، ج١٠ ، ص٤٨ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص٢٥٣ ؛ المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ) ، النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم ، تحقيق علي عاشور ، المطبعة الإبراهيمية ، القاهرة ١٩٣٧م ، ص٥٥ ٠

[6] ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج٣ ، ص٣٤١ ٠

[7] هو عمرو بن جفنة بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ، من ملوك غسان بالشام يلقب (ميزيقياء)، وهو جد الملك الغساني جبلة بن الأيهم آخر ملوكهم ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ،

في السجن ، واجتمعت بنو عبد شمس أن يفدوا أبا أحيحة بمال يجمعونه ، فقال لهم رجل من عبد شمس ،لا تفتدوا رجلاً واحدا فانياً بهذا المال ، زوجوا به فتيانكم يولد لبعضهم مثله ، فعصوه وافتدوه وبهذا يقول أبا أحيحة :

يا راكبا أما عرفت فبلغن قومي بريدا

فلأمدحنّ الوافدين بمدحة تأتي شرودا

وللتجار منازل ومقامات ، مثل هاشم بن عبد مناف ومن بعده هشام بن المغيرة والد ابا ذئب المتقدم ، وأبو سفيان بن حرب وغيرهم ، ويروى ان التجارة بين مكة والشام أصابها الجدب بعد وفاة هاشم وهشام وغيره من أعيان التجار .

كما يروى الشاعر الخروف الكلبي(*): " وقد مر به ناس من تجار قريش يريدون الشام ، بادين ، قشفين : مالكم معشر قريش أهكذا أجدبتم لما مات هشام "، فجعل من موت هشام بازاء الجدب والمحل ، وفي هذا المعنى يقول:

تقول لنا الركبان في كل منزل أمات هشام أم أصابكم جدب؟[٢]

وكانت بيزنطة مضطرة للتعامل مع تجار قريش ، وكانت تتهافت على منتجات الصين والهند حيث كانت تستخدم منتجات الشرق لأغراض الأبهة في البلاط الإمبراطوري ، وكذلك كانت الكنائس الفخمة تتطلب المزيد من البخور والطيوب والأقمشة الحريرية المصنوعة في

ص١٥٨ ؛ ابن ماكولا ، الإكمال ، ج٢ ، ص٥١٥ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٢١ ، ص١٠٦ .

[١] هو المغيرة بن هشام بن عقبة بن عبد الله بن قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن سحل بن عامر العامري القرشي ؛ ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص١٥٦ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة، ج٤، ص٤٠٨ .

(*) لقب بالخروف الكلبي .وهو مسافر بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي ، من الكرماء في الجاهلية ، يسمى (زاد الركب) ، كان نديماً لأبي طالب بن عبد المطلب ،هرب من مكة ومات بهبالة في الحيرة ، في قصة يرويها العديد من المؤرخين ، يرثيه ابو طالب بقصيدة يقول فيها:

ليت شعري مسافر بن عمـ رو وليت يقولها المحزون

رحل الركب قافلين إلينا وخليلي في مرمس مدفون

بورك الميت الغريب كما بو رك نضج الرمان والزيتون

ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص٣٧٦ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ص٤٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (هبالة) ،ج٥ ، ص٣٩٠ .

[٢] ابن أبي الحديد ، ابو حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسن (ت٦٥٦هـ) ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، بيروت ١٩٦٧م ، ج١٨ ، ص٢٨٨ .

الصين والهند ، وحاجتهم للأسرة والأرائك المصنوعة بالحبشة والصومال حيث لا توجد في المشرق[١]وكانت أرباح تجارتهم من غزة للدينار دينار[٢] .

على هذا سعت مكة الى التفاوض مع الحواضر المجاورة للحصول على الضمانات لتأمين تجارتها ، ولهذا عقدوا معاهدات مع عظيم بصرى ممثل قيصر ، ومرزبان كسرى في البحرين ، و كانت بصرى المحطة التجارية المهمة لقوافل قريش والسوق الكبيرة للغلال بالنسبة للحجاز عموماً ، وكانت أسواقها خارج مدينة بصرى المحصنة ، وهي ذات المدينة التي قصدها النبي ﷺ وهو صغير في تجارته الى الشام مع عمه أبا طالب[٣] .

ثم ان قريشاً كانت تفرض الأتاوات على التجار الغرباء الذين لا يرتبطون معهم ومع قبائلهم[٤] ، وهي ضريبة العشور، وكان العشارون[٥] من أهل الحجاز السميدع بن هوير بن لاوي بن قاطور كان يعشر في أسفل مكة ، والحارث بن مضاض الجرهمي يعشر من مر بأعلى مكة ، وقصي بن كلاب بن مرة الجد الأكبر للنبي ﷺ في مكة ،ويعشر زنباع بن روح بين الحجاز ومكة ، فكانوا يعشرون كل من يدخل مكة من تجار الروم وغيرهم[٦].

وفي المجال الصناعي كان قسم من الصناع مقيمين في مكة منهم (باقوم الرومي) النجار الذي بنى الكعبة من خشب سفينة قيصر الروم التي كانت تحمل مواد البناء من حديد وخشب ورخام ،والتي غرقت قبالة سواحل جدة، ويروى انه هو الذي عمل منبر رسول الله ﷺ[٧] .أما المواد الداخلة في التجارة والتي ترد من الشام فكانت الزيتون والقمح والخمور والبعض

---

[١] سالم ، سيد عبد العزيز ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٧٣م ، ص٢٢٤ .

[٢]حتي ، فيليب ، تاريخ العرب ، ترجمة محمد مبروك نافع ، القاهرة ١٩٥٣م ، ج١ ، ص٥٩-٦٠ .

[٣] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٢١٥ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٩ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٤ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٣٣ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٦ ، ص١٠ .

[٤] الطبري ، تاريخ الطبري ج٢ ، ص٣٩ ؛المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٥٨ .

[٥] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٧٢ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٧٠ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٢٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (أجياد) ، ج١ ، ص١٠٥ . ، ج٢ ، ص٢٣١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٢٣٣ .

[٦] الأزرقي ،ابو الوليد محمد بن عبد الله بن الوليد (ت٢٥٠هـ)، تاريخ مكة وما جاء بها من آثار ، مكة المكرمة ١٣٥٢هـ ، ج١ ، ص١٠١ .

[٧] الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر (ت٥٨٣هـ) ، الفائق في غريب الحديث ، تحقيق ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٦م ، ج١ ، ص٣٠٧ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص٤٢ .

من المصنوعات ، ومن الجنوب تأتي حاصلات الهند من الذهب والأحجار الكريمة والعاج والصندل والتوابل والمنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والأرجوان والزعفران والآنية الفضية والنحاسية ، ومن أفريقيا واليمن تأتي الطيوب والعطور وخشب الأبنوس وريش النعام واللبان والأدم والمر والأحجار الكريمة ، وتحمل إليهم ألىلآلي والياقوت من البحرين[1] .

ومن الأسر التي اشتهرت بالثراء من التجارة في مكة، سعيد بن العاص (أبا أحيحة) ، وعبد الله بن جدعان ، تاجر الرقيق، وهاشم بن عبد مناف وإخوانه المطلب ونوفل وعبد شمس ، وقد ماتوا جميعاً خارج الحجاز بسبب التجارة ، فهاشم مات بغزة بأرض الشام، والمطلب مات بردمان في ارض اليمن ، وعبد شمس مات في الحجون بأطراف مكة، ونوفل مات بالسلمان في ارض العراق[2]، وفيهم يقول الشاعر مطرود بن كعب الخزاعي[*] لما أتاه نعي المطلب ،والذي كان آخرهم موتاً :

اذا تذكرت أخي نوفلا ذكرني بالأوليات
ذكرني بالأزر الحمر والأردية الصفر القشيباتِ
أبلج فض كلهم سيد أبناء سادت لساداتِ
ميت بردمان وميت بسلمان وميت عند غزاتِ
وميت مات قريبا لدى الحجون في شرق الثنياتِ

ومن الأسر التي اشتهرت بالثراء ايضاً أسرة بني مخزوم ، ظهر منهم الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر المخزومي ، وكان الوليد بن المغيرة يعد نفسه وأبا مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف (عظيمي القريتين)، وهو القائل :" أينزل على محمد وأترك أنا كبير قريش وسيدها ، ويترك أبا مسعود بن عمرو الثقفي سيد ثقيف ، ونحن عظيما القريتين "[3] ،

---

[1] جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، جج٤ ، ص٢٠٢ .

[2] ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١٦٣-١٦٤ ؛ المقدسي ، مطهر بن طاهر المقدسي (ت٥٠٧هـ) ، البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٥٣م ، ج٤ ، ص١١١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (ردمان) ، ج٣ ، ص٤٠ ؛ابن عنبة ، جمال الدين احمد بن علي الحسيني (ت٨٢٨هـ) ، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، تحقيق محمد حسن الطالقاني ، المطبعة الحيدرية ، النجف١٩٦١م ، ص٢٥ .

[*] مطرود بن كعب الخزاعي ، شاعر جاهلي فحل ، لجأ الى عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، هو وبناته ، ولم يكن يأويه أحد في سنة شديدة القحط لجناية كانت له ، فحماه وأحسن اليه ، فأكثر من مدحه ومدح أهله ؛ ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص ٤٤؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٤١ .

[3] الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢٥ ، ص٨٣ ؛ ابن الأثير ، ج٣ ، ص٤٠٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص١١١ .

ويرى المفسرون[1] ان الله تعالى أنزل بهما قوله ﷺ:(وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)[2] .

ومن مصداقية ثراء هذه الأسرة ، تبرع عبد الله بن ربيعة المخزومي بخمسمائة دينار لمحاربة النبي ﷺ ، وهو الذي ذهب الى الحبشة لاستعادة المسلمين من الحبشة[3] . وافتقدت هذه الأسرة كل من خالد بن هشام بن المغيرة وعثمان بن عبد الله بن المغيرة،وأمية بن حذيفة ابن المغيرة،باثني عشر ألف درهم يوم بدر[4] ،وغنم زيد بن حارثة قافلة لعبد الله بن ربيعة في غزوة القردة معظمها من الفضة، وبلغ الخمس منها عشرين ألف درهم[5] ، وأرسل عبد الله بن جدعان الذي كان يعمل بتجارة الرقيق ألفي بعير الى الشام تحمل اليه البر والشهد والسمن، وكان صفوان بن أمية صاحب مخزن للسلاح ويشتغل بتجارة الفضة ونقر آنيتها[6] .

ومن مصادر الثروة المهمة لأهل مكة هو حج بيت الله الحرام ، الى جانب كونه مظهراً دينياً للعرب في الجاهلية والإسلام ، فكان موسم الحج وسيلة للاجتماع واللقاء للأفراد والقبائل ، ووسيلة للكسب والتجارة ، وكانت تقام الأسواق الموسمية التجارية منها والأدبية ، مثل سوق عكاظ بين مكة والطائف ، ينزلها قريش وسائر العرب وأكثرهم من مضر ، وسوق مجنة وهي بأسفل مكة لبني كنانة ، وسوق حباشة وهي للأزد ، وسوق ذي المجاز وهي بالقرب من عرفة لهذيل ، فكان الحجيج يخرجون في ذي الحجة ،فيصبحون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة لعشرين ليلة، ثم ينصرفون الى مجنة يقيمون بها عشرة ليال، فاذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا الى ذي المجاز فأقاموا بها ثمان ليال ، ثم يخرجون يوم الترويه من ذي المجاز الى عرفة[7].

---

(1) الصنعاني ، عبد الرزاق بن همام (ت٢١١هـ) ، تفسير القرآن ، تحقيق مصطفى مسلم محمد ، مكتبة الرشيد ، الرياض١٤١٠هـ ، ج٣ ، ص١٩٦ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢٥ ، ص٨٤ ؛ الطبرسي ، التبيان في تفسير القرآن ، ج٩ ، ص١٩٥ .

(2) سورة الزخرف ، الآية ٣١ .

(3) ابن سيد الناس ، محمد بن عبد الله بن حيى بن سيد الناس (ت ٧٣٤هـ) ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠١هـ ، ج١ ، ص١٥١.

(4) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ٥٣٢ ؛ ابن شبه النمري،تاريخ المدينة،ج٢ ، ٤٧٧ .

(5) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١٨١ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج١ ، ص٢١٩ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٢١٠ ؛ المجلسي ، البحار ، ج٢٠ ، ص٥ .

(6) ابن كثير ،ابو الفداء اسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ) ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت١٣٩٦هـ ، ج١ ، ص١١٧ .

(7) الأزرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص١٢٢-١٢٣ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص١٦٤-١٦٥ ؛ البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد الكريم الاندلسي (ت٤٨٧هـ) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، دار الكتب ، بيروت ١٤٠٢هـ ، مادة (عكاظ).

أما صناعاتهم فكانت في عموم الحجاز بسيطة ، مثل صناعة الأسلحة من رماح وسكاكين وسيوف ونبال ، فكان سعد بن ابي وقاص يبري النبل ، والوليد بن المغيرة والعاص بن هشام وأبي جهل يعملون في الحدادة ، وخباب بن الأرث يعمل في السيوف[١]، وكذلك عرفوا صناعة الأسرة والأرائك،وبعض الأدوية تعلموها من بلاد فارس والحبشة[٢] .

الطائف: يختلف النشاط الإقتصادي في الطائف عنه في مكة بسبب المناخ والتربة وتوافر المياه ، الامر الذي جعل الطابع الزراعي يغلب على الحياة الاقتصادية وبشكل كبير .

كانت الحنطة هي عماد الزراعة ومحصول الطائف الأول ، وتعتمد عليه كل حواضر الحجاز خصوصاً مكة ، ومنها تحمل العير الحنطة والحبوب والسمن والعسل الى مكة[٣].

واشتهرت بزراعة النخيل والأعناب والموز والرمان والتين والسفرجل والبطيخ[٤].

والإنتاج الذي تعتمد عليه ثروة الطائف هو العنب ، وكان يضرب بزبيبها المثل ، وفيها عنب يقال له (أطراف العذارى)[٥] ، لونه أسود طوال كأنه البلوط ، وعنقوده نحو ذراع ، وبه يقول الشاعر سويد بن كراع العكلي :

أطراف أبكار كأن وجوهها وجوه عذارى حسرت ان تقنعا

يروى ان الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ) لما أدى فريضة الحج مر بالطائف فرأى بيادر الزبيب ، فقال: ما هذه الحرار ؟ فقالوا له : هذه ليست حرار، لكنها بيادر

---

[١] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٣٨ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) ، عيون الأخبار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٥٤هـ ، ص١٩٤ .

[٢] البلاذري ، انساب الأشراف ، ص٥٤٦ ؛ ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج٥ ، ص٩٧ .

[٣] الأزرقي ، أخبار مكة ، ج٢ ، ص١٩٢ .

[٤] المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ج١ ، ص١٠١ ؛الإدريسي ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس (ت٥٦٠هـ) ،نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ، عالم الكتب ، بيروت١٩٨٩م ، ج١ ، ص١٤١ ؛ ابن بطوطة ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللتواني (ت٧٧٩هـ) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة) ، تحقيق عبد المنتصر الكتاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت١٤٠٥هـ ، ج١ ، ص١٥٤ .

[٥] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (مطرفات) .

[*] قسي : هو ثقيف بن بكر أو(منبه) بن هوازن بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر (ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٢٨٤ ؛ خليفة بن خياط ، ابو عمر خليفة بن خياط العصفري البصري (ت٢٤٠هـ) ، طبقات خليفة بن خياط ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ١٩٩٣ م ، ص٢٤٠).

الزبيب، فقال: لله در قسي(*) بأي أرض وضع سهامه، وبأي أرض مهد عش أفراخه[1] .

ويروى انه كان لعمرو بن العاص السهمي في الطائف وهط (بستان) من الكرم يبلغ عدد شجره ألف ألف عود ،على ألف ألف خشبة اشترى كل خشبة بدرهم[2]، ولانتشار هذا النوع من الفاكهة يقول شاعر الطائف أبا محجن الثقفي[3]:

اذا مت فادفني الى أصل كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنـي بالفـلاة فانني أخاف اذا مت ألا أذوقـها

ويذكر لما خرج المصطفى ﷺ الى الطائف مبشراً بالإسلام ولم يقره أهل الطائف فألجئوه الى حائط بستان لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، فعمد الى ظل عنبة فجلس فيه[4] .

والى جانب الزراعة كان أهل الطائف يشتغلون في حرف أخرى مثل الصيد وتربية النحل لاستخراج العسل ، فكان عسل الطائف يهادى به في مكة .

ويروى انه لما قدم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ ، استقبلهم في المسجد وقدموا بهدية من عسل وزبيب ورمان وشنان فرسك مربب[5]، ففتح رسول الله ﷺ سقاء من عسل ، فقال ﷺ : ما هذا ؟ قالوا : عسل ضريب (عسل ابيض غليظ) ، فأكل منه وقال: " ما أطيب ريحه ، وما أطيب طعمه " [6] .

ويروى ان وديان الطائف كانت أشبه بالمروج لجمالها وما بها من خيرات ووفرة من العسل ، فكانوا يقولون : يا ليت في الجنة مثل هذا الوادي[7] .

والعسل من مصادر الثروة المهمة ومن الأعمال الهامة التي يشتغل بها أهل الطائف ، حتى انهم في العهد النبوي كانوا يؤدون الى الرسول ﷺ من كل عشرة قرب عسل قربة ، وعسل الطائف مطلوب في بلاد العرب جميعها في الجاهلية والإسلام[1] .

---

[1] ابن قتيبة الدينوري ، ج٣ ، ص٢٢٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (الطائف) ، ج٤ ، ص١١ .

[2] ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (وهط) ، ج٥ ، ص٣٨٦ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (وهط) .

[3] الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، تاريخ الطبري ، ج٣ ، ص٥٧ ؛ الطبرسي ، تفسير مجمع البيان ، ج٢ ، ص١٠٢ .

[4] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٦١ ؛ الطبري، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٨١ .

[5] الشنان : يعني القربة . والفرسنك : يعني الخوخ أو أحد أنواعه ؛الفراهيدي ، كتاب العين ، مادة (فرسك) .

[6] ابن شبة النمري ، تاريخ المدينة ، ج٢ ، ص٥٠٠ .

[7] السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد بن سابق (ت٩١١هـ) ، لباب العقول في أسباب النزول ، تحقيق احمد عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لا.ت، ص١٨٦ .

أما التجارة فكانت من الحرف الهامة أيضاً ، فهم يتجرون بمنتجاتهم الوفيرة كالزبيب والحنطة والعسل والأديم ، وكانت قوافل الطائف تخرج الى مكة في كل يوم ، لكثرة ما تنتج ، وأكثر التجار خروجاً بتجارتهم غيلان بن سلمة الثقفي ، وهو احد وجوه ثقيف بالطائف ، وكانت تجارته مع العراق وفارس ، وكان كسرى يشتري تجارته بأضعاف أثمانها ،حتى بعث معه من بنى له أطماً وكان قصراً مبنيا بالحجارة ، وهو أول أطم بني بالطائف[٢]، وكثيراً ما كان زيد بن حارثة يترصد تجارة قريش من الطائف الى مكة ، بل ان تجارة قريش التي غنمها المسلمون في نخلة بقيادة عبد الله بن جحش ، قبل بدر بشهرين كانت قادمة من الطائف[٣].

يثـــرب: وهي أخصب أرض الحجاز وفيها المياه والعيون ، أرضها صالحة للزراعة، وأهم زراعتها النخيل وهو عماد عمل السكان ، ويليه من حيث الأهمية الشعير ، كونه طعام أهل يثرب ، ويزرع ايضاً القمح والكروم والرمان والموز ، ومن المحاصيل الزراعية المهمة (اللبان) او الكندر، ويحمل الى سائر البلدان ، إذْ يستخدم لأغراض العبادات في الأديرة والكنائس ،وتجبير الكسور والجروح وتطهير المعدة[٤] .

يتبين من الواقع الاقتصادي ليثرب ان التجارة الداخلية (داخل الحجاز) أكثر نشاطاً من التجارة الخارجية على الرغم من ارتباطها بشبكة الطرق البرية والبحرية للتجارة ، إذْ تقام فيها الأسواق لبيع التمور والشعير والصوف والسلاح والحطب.

وأسواق يثرب في الجاهلية عديدة منها ، سوق بني قينقاع وسوق زبالة وسوق الجسر وسوق الصفاصف وسوق البطحاء ، وفي هذه السوق كان بنو سليم يبيعون الخيل والإبل والغنم والسمن ، ويجلب اليها من الطائف الزبيب ومن اليمن المنسوجات القطنية والحريرية ، ومن الشام الحنطة والخمور[٥]، وأغلب تجارتها مع الشام عن طريق البحر الأحمر ، إذْ ان البحر

---

[١] ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم الحنفي (ت١٨٣هـ) ، كتاب الخراج ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٩م ، ص٤٠ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٦٧ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، الأخبار الطوال ، ج٣ ، ص٢٠٥ .

[٢] ابن حجر ، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق عادل احمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت١٤١٥هـ ، ج٥ ، ص٢٥٥ ؛ الآلوسي ، بلوغ الإرب ، ج١ ، ص٣٢١ .

[٣] ابن شبة النمري ، تاريخ المدينة ، ج٢ ، ص٤٧٢ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٧٧ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٥ ، ص١٢٠ .

[٤] الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١ ، ص٤٢٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (يثرب) ، ج٥ ، ص٨٧ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة(كندر) ،ج٥ ، ص١٥٢ .

[٥] ابن قدامة ، شمس الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن ابي عمر محمد بن احمد بن قدامة المقدسي(ت٦٨٢هـ) ، الشرح الكبير ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ج٥ ، ص٤٨٥ .

يبعد عن يثرب ثلاثة أيام[١] ، وساحلها يقال له (الجار) واليه ترسو المراكب المحملة بالطعام القادمة من مصر[٢]، وكذلك ترسو في الجار السفن الواردة من الحبشة وعدن والصين وبلاد الهند ، وفضلاً عن الجار كانت هناك فرضة أخرى تسمى(قراف) لها مكانة تجارية كما للجار وهي مرسى مخصوص لأهل الحبشة[٣].

وقد قامت بيثرب بعض الصناعات التي تعتمد الإنتاج الزراعي مثل صناعة الخمور من التمر ، والمكاتل(*) والقفف من سعف النخيل ، واختصت يثرب بصناعة التحف المصنوعة من المعادن كالحلي وأدوات الزينة ، وصناعة السلاح كالسيوف والدروع ، وقد احترفت اليهود من بني قينقاع هاتين الصناعتين[٤].

ومصداق هذه الرواية ، انه لما أجلى المسلمون يهود بني قينقاع من المدينة ، غنموا كثيراً من الدروع والسيوف والأقواس ،ووجدوافي حصونهم سلاحاً كثيراً ومن آلات الصياغة[٥] .وغنم المسلمون من بني قريظة ألفا وخمسمائة سيف وألفي درع ، وألفاً وخمسمائة ترس ، وثلاث مائة درع[٦].

---

[١] ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (جار) ، ج٢ ، ص٩٢ .

[٢] اليعقوبي ،البلدان ، ص٣١٣ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص١١٤ .

[٣] ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (قراف) ، ج٤ ، ص٣١٧ .

(*) المكتل : هو وعاء مصنوع من خوص النخيل ، يحمل فيه التمر والزبيب ، ويسع المكتل خمسة عشر صاعاً من التمر ، والجمع مكاتل ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، مادة(كتل) .

[٤] السمهودي ، نور الدين علي بن عبد الله بن احمد الحسني (ت ٩١١هـ) ، وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى، المسمى (تاريخ المدينة) ، مصر ١٣٢٦هـ ، ج١ ، ص١٩٨ .

[٥] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٢٩ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ج٢٠ ، ص٦ .

[٦] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٥٧ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج ، ص٥٥ .

شخصية الرسول ﷺ وأثرها في تكوين الأمة

انتظر أهل شبه الجزيرة العربية والحجاز خصوصاً ولادة رسول الإنسانية ﷺ، إذْ بشرت به الكتب السماوية (التوراة والإنجيل) ، والأنبياء ، والكهان ، والعارفون ، فقد كانت ملامحه معروفة ، ومشخصة بشكل دقيق ، فقد أوردت الروايات التاريخية بشارة ظهوره ، وهي مختلفة من حيث صحة السند ووثوقها، وجرى كثير منها مجرى القصة أو الأسطورة ، لكنها يجب ان لا تهمل كونها رويت قبل البعثة النبوية الشريفة ، ورويت أيضا من بعض الملوك في أطراف شبه الجزيرة العربية ، وتكاد تكون نسبة الإتفاق فيما بينها كبيرة ، ومن المفيد ذكرها بشيء من الإيجاز ، لتكوين فكرة عنهذا الحدث الذي شع نوره على البسيطة بأجمعها ،ولن يُطفأ سنا هذا النور حتى تقوم الساعة ، وتماشياً مع منهج البحث نتطرق لهذه الإرهاصات والمحطات وفق التسلسل الزمني وصولاً لبيان شخصية الرسول ﷺ ٠

بشارات الكتب السماوية : وسنأخذ من كل كتاب ما قل من الروايات بخصوص البشارة ، فقد أشارت التوراة الذي انزل على النبي موسى عليه السلام بالكثير من الصفات للنبي محمد ﷺ وحتى أسمه وأمته وما ستؤول اليه أمور البشرية ٠

يروي ابن عباس رضي الله عنه أنه سأل كعب الأحبار وقال : كيف نجد نعت رسول الله ﷺ في التوراة ؟ قال كعب : " نجده محمد بن عبد الله ، يولد في مكة ، ويهاجر الى طابا ، وملكه الشام ، ليس بفحاش ولا صخاب في الأسواق ، ولا يكافئ السيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، أمته الحمادون ، يحمدون الله في كل سراء وضراء ، ويكبرون الله على كل نجد ٠٠"[1] ٠

وعن عطاء بن يسار وعبد الله بن مسعود ، انه مكتوب في التوراة ما نصه :" يا محمد إني منزل عليك توراة حديثة ، تفتح فيهاأعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ، ورسولي، سميتك المتوكل ٠٠"[2] ٠

أما في الإنجيل ،فالروايات متعددة وكثيرة منها ، ما جاء في كتاب اشعيا بن أمصيا وهو من الذين بشر بالنبي عيسى عليه السلام فيقول : " رأيت راكبين أضاء لهما الأرض ، أحدهما راكب على حمار ، والآخر على جمل ، فراكب الحمار هو عيسى عليه السلام ، وراكب الجمل هو محمد بن

---

[1] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جذ ، ص٣٦ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص٢١ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٩ ، ص١١٣ ؛ الشيخ الصدوق ، ألآمالي ، ص٥٥٣ ؛ البيهقي ،السنن الكبرى ، ج٧ ، ص٤٥ ؛ القاضي عياض ، ابو الفضل عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ) ، الشفا(بتعريف حقوق المصطفى) ، دار الفكر ، بيروت ،١٤٠٩هـ،ج١ ، ٢٧٨ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٣، ص١٣٣

[2] أحمد بن حنبل ، مسند أحمد ، ج٢ ، ص١٧٤ ؛ الدارمي ، عبد الله بن بهرام (ت٢٥٥هـ) ، سنن الدارمي ، مطبعة الإعتدال ، دمشق ١٣٤٩هـ ، ج٢ ، ص٢٣٤ ؛ ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج٢ ،ص ٦٣٤ ٠

عبد اللهﷺ "[1] ، ونرى مصداق هذه الرواية انه لم تذكر كافة الكتب السماوية من أن احد الأنبياء ركب جمل أو ناقة غير النبي الكريم ﷺ إذْ كان في الكثير من غزواته وحتى خطبه وهو على صهوة ناقته القصواء وقيل اسمها الحدباء والعضباء فيروى انه كان على هذه الناقة في الحديبية وفتح مكة وحجة الوداع[2] .

ويروى انه جاء في الإنجيل ، انه ﷺ راكب الجمل ، ومحرم الميتة ، وخاتم النبوة ، وحامل الهراوة ، ورسول الرحمة ، اسمه في التوراة (مادماد) ، وكنيته ابو الأرامل، وفي الإنجيل (الفارقليط)[3] .

ويروى انه في إنجيل يوحنا ، الفصل الخامس[4]، ورد كلام للنبي عيسىعليه السلام ، يقول للحواريين : " أنا ذاهب وسيأتيكم الفارقليط ، روح الحق ، الذي لا يتكلم من قبل نفسه ، إنه نذيركم بجميع الحق ، ويخبركم في الأمور المزمعة ، ويحدث عني ، ويشهد لي "[5] .

وفي رواية مشابهة ، يقول السيد المسيحعليه السلام : " اني مرتقٍ الى جنات العلى ، ومرسل إليكم الفار قليط ، روح الحق ، يعلم كل شيء "، ولم يقل شيئاً للقاء نفسه ، وهو

سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ [1].

---

[1] السرخسي ، ابو بكر شمس الدين محمد بن احمد بن سهيل الحنفي (ت ٤٨٢هـ) ، المبسوط ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٦ هـ ، ج٤ ، ص١٥٧ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٦١ ، ص١١٧ ؛ الزرندي ، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن الحنفي (ت ٧٥٠هـ) ، نظم درر السمطين ، مكتبة أمير المؤمنين العامة ، النجف ١٩٥٨م ، ص٣٧ .

[2] البخاري ، صحيح البخاري ، ج٥ ، ص١٣٥ ؛ مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، ج٤ ، ص٣٩ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٥ ، ص٣٢٨ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٣٢ ؛ الشيخ الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص٣٣٣ .

[3] الفارقليط ، لفظ عبراني يعني الفارق بين الحق والباطل ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (فرق) .

[4] لم أجد هذه اللفظة في الكتاب المقدس ، إنجيل يوحنا ، في الطبعة الثلاثين ، والمنشور من قبل جمعية الكتاب المقدس في لبنان ، لسنة ١٩٩٥م ، ولعله موجود في طبعات أخرى ، مع العلم ، ان باقي الرواية موجودة .

[5] القاضي عياض ، الشفا ، ج١ ، ص ٢٣٤ ؛الطبرسي ، احمد بن علي (ت٥٦٠هـ) ، الإحتجاج ، تحقيق محمد باقر الخرساني ، مطبعة دار النعمان ، النجف ١٩٦٦م ، ج٢ ، ص٣٠٩ ؛ الأربلي ، ابو الفتح علي بن عيسى بن ابي الفتح (ت٦٩٣هـ) ، كشف الغمة في معرفة هذه الأمة ، دار الأضواء ، بيروت ١٩٨٥م ، ج١ ، ص١٢ .

وفي رواية اخرى عن معاوية بن نضلة، يقول : " كنت في الجيش الذي وجهه عمر بن الخطاب ﷺ، الذي فتح حلوان[٢]، وطلبنا المشركين في الشعب ، وفي هذا رواية طويلة ، حتى سمعت صوتا يقول : أنا ذريب بن ثملا ، من حواري عيسى ، ومن أوصيائه ، أسكنني هذا الجبل ، ودعا لي بطول البقاء ٠٠٠ اشهد ان صاحبكم نبي ، وهو الذي بشر به عيسى ابن مريم ، وقد أردت الوصول اليه فحال بيني وبينه ، فارس وكسرى وأصحابه " [٣] ٠

بشارات الكهان : من أوائل الكهان المبشرين بظهور النبيﷺ :

- سطيح الذئبي وشق اليشكري : وسطيح هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن بن غسان ، أما شق اليشكري فهو شق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قيس بن عبقر بن أنمار بن نزار ، كانا صاحبا علم وكهانة ، ذكر سطيح الذئبي ، علوم كثيرة منها ما يتعلق بظهور النبي العربي ﷺ، فقال: " سيظهر في تهامة من ولد رجل مذكور في التوراة والإنجيل بصفاته ، اسمه في السماء أحمد ، ذكي أمين قوي ، يأتيه الوحي ، من قبل الواحد العلي ، قيل : وممن هذا النبي؟ قال: من ولد غالب بن فهر بن مالك بن مضر ، يكون ملكه الى آخر الدهر "، وفي هذه الرواية قصص كثيرة ومطولة لكنها تتفق بهذا المعنى[٤] ٠
- عمران وعمرو (ميزيقياء) ابنا عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن غوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ،وكانا ملكين قبل انهيار سد مأرب ، فبشرا بانهيار السد ، وغلبة الأحباش على اليمن ، وظهور النبيﷺ في تهامة ،

---

[١] المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص ١١٧ ؛ الطوسي ، تفسير مجمع البيان ، ج٤ ، ص٣٧٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٤٠٠ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٥ ، ص١٤٨ ٠

[٢] حلوان : من مدن العراق ، في أواخر السواد ، مما يلي جبال شرق بغداد ، وهي من كبار مدن العراق ، مشهورة بالرمان والتين ٠(ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (حلوان) ، ج٢ ، ص٢١٩) ٠

[٣] ابن ابي الدنيا ، عبد الله بن محمد بن سفيان القرشي الأموي (ت ٢٨١هـ) ، كتاب الهواتف ،دار الهلال القاهرة ، لا.ت ، ص٢٦ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ،ج١٠ ، ص٢٥٤ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٧٣ ، ص٣٥٣ ٠

[٤] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٨٠ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص١٠٤ ٠ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١ ، ص٥٨١ ؛ أخبار الزمان ،المنسوب للمسعودي ، ص١١٧ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٤٣ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٤ ٠

وأسمه أحمد يرسل بالرحمة ، سخر له الجن معرفة ظهور النبيﷺ ، كما سخر الشياطين لسليمان[١].

- بحيرا الراهب ، بشر بالنبيﷺ ، أثناء خروجه للتجارة الى بصرى الشام والرواية معروفة ٠

وهناك العديد من الكهان الرجال والكاهنات ، أخبروا بظهور النبي الكريمﷺ ،منهم فيلق الراهب، واركون دمشق الرومي ، وطريفة الكاهنة ، وزرقاء اليمامة ،والعشرات منهم ، ولا مجال من التفصيل بذكرهم ٠

بشارات الملوك : من الملوك الذين لهم معرفة مسبقة بظهور النبي ﷺ، من خلال دياناتهم وكتبهم السماوية :

- هرقل ملك الروم : قال لدحية الكلبي ، رسول رسول الله ﷺ، " والله انه النبي ، ولو كان في بلادي لاتبعته ونصرته ، ولو أرجو أن أخلص اليه لتجشمت لقياه ، ولو كنت عنده لغسلت قدميه "[٢].
- النجاشي ملك الحبشة : قال لعمرو بن أمية الضمري ، مبعوث النبي ﷺاليه ، " أشهد انه رسول الله ، وانه الذي بشر به عيسى بن مريم ، ولولا ما انا فيه من الملك ، لأتيته حتى أحمل نعليه "[٣] ٠

وغيرهم كثير منهم معد ابو كرب الحميري، وهو القائل[٤]:

شهدت على احمد انه رسول من الله باري النسم
فلو مد إلي عمر لكنت وزيراً له و ابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجت عن صدره كل هم

وسيف بن ذي يزن ، وقس بن ساعدة الأيادي ، الذي التقى به النبي ﷺفي سوق عكاظ وقال: " سيعمكم حق من هذا الوجه ، وأشار بيده الى مكة" [١]، وأبو قيس وهو محصن بن ابي

---

[١] ابن هشام السيرة النبوية ، ج١ ، ص٦ ؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٤١٣ ٠البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج١ ، ص١٦ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٨ ، ص٣١١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص١٩٥ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٥ ، ص٢٣٢ ٠

[٢] ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٧٥ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٩١ ؛ القطب الراوندي ، الخرائج والحوائج ، ج١٠ ، ص١٠٤ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٢٢٢ ٠ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٩ ٠

[٣] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٩٨ ؛ احمد بن حنبل ، مسند احمد بن حنبل ، ج١ ، ص٤٦١ ؛ الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبد الله بن حمدويه (ت ٤٠٥هـ) ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق موسى المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٦هـ ، ج٢ ، ص٢١٠ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص١٥٥ ٠

[١] القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٦ ، ص١٢٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٢٠٤ ٠

صرمة وهو صيفي بن الأسلت وهو عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس الأوسي، وكان على الحنيفية ، ولم يسلم ! وهو القائل :

سبحوا لله شرق كل صباح طلعت شمسه وكل هلال[٢]

وعلي بن هوذة بن علي بن ثمامة الحنفي ، وابو عمير جبير بن الهيبان ، قدم من الشام على يهود بني قريظة ، كان يستمطر به ، عند موته قال: " ما قدمت بلدكم إلا لكي أتوكف خروج نبي ، فقد أطل زمانه وهذه لبلدة مهاجره ، وكنت أضن انه يبعث وآتيه ٠٠" ، مات قبل هجرة الرسول بثمانية عشر عاماً [٣] ، وأمية بن ابي الصلت ، وزيد بن عمرو بن نفيل ابن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رازح بن عدي بن كعب ، كان يقول : "أنا انتظر نبياً من ولد اسماعيل ، ثم من بني عبد المطلب ، ولا أراني أدركه ، وأنا أومن به وأصدقه ، وأشهد انه نبي " ، وهو القائل :

تركت اللآت والعزى جميعاً كذلك يفعل الجلد الصبور [٤]

، وورقة بن نوفل ، وأرباب بن رئاب، وغيرهم[٥] ٠

القرآن الكريم : وأكد كل ما تقدم من البشارات قوله ﷻ: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[٦] وقوله ﷻ :(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ)[٧]، أي أن المعلومات التي تختص بالرسولﷺ ، مكتوبة عندهم بالصفة والاسم والكنية ٠

---

[١] الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص١٨٨٠

[٢] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٣٨ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ن ص٣٨٣ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢١٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص١٩٢ ٠

[٣] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٣٨ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٨٤ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٩٤ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص١٩٢ ٠

[٤] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٦؛ابن ماكولا،الإكمال،ج٢، ص٣٩٢؛ابن عساكر،تاريخ مدينة دمشق، ج٢،ص٢٤٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٢٠٦ ٠

[٥] ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص٢٧-٢٨ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٦٢ ، ص٩ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٩٥ ٠

[٦]سوره الأعراف ، الآية ١٥٧ ٠

[٧]سورة الصف ، الآية ٦ ٠

ولادته : عن أبان بن عثمان بن عفان ﷺ : " يقول ،قالت أمه آمنة بنت وهب ﷺ، لما قربت ولادة رسول الله ﷺ، رأيت جناح طير أبيض قد مسح فؤادي ، فذهب الرعب عني ، وأُتيت بشربة بيضاء ، وكنت عطشى ، فشربتها ، فأصابني نور عال ، ثم رأيت نسوة كالنخل طوالاً تحدثن ، وسمعت كلاماً ما يشبه كلام الآدميين ، حتى رأيت كالديباج الأبيض قد ملأ السماء والأرض ، وقائل يقول خذوه أعز الناس ، فخرج رسول الله ﷺرافعاً إصبعه الى السماء " [1]٠

ويقول ابن عباس : " لما ولد رسول الله ﷺ أرتج إيوان كسرى ، وسقط منه أربعة عشر شرافة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وانقطع وادي السماوة ، ولم تجر بحيرة طبرية ، وخمدت بيوت النار "[2] ٠

طفولته وصباه ﷺ: لم تكن طفولته كبقية الأطفال ، إذ لفت أنظار الناس اليها بقدر ما انطوت عليه رجولته المبكرة ، وبقدر ما عزف عن لهو الأطفال الى جد الشباب والرجال ٠

كانت أنباء طفولته تروى من قبل مرضعته (حليمة السعدية)[*] عندما عادت به الى أهله ، تروي لهم مشاهداتها ، وتجربتها مع هذا الطفل ، واقتناعها وهي أم لأطفال ، وتقول انه ليس طفلاً عاديا ، وان ما فيه ينطوي على سر لا يعلمه إلا الله تعالى ، وهذا ما ستكشفه الأيام ، ومن المفيد المرور في بعض محطات الطفولة الأولى ٠

تروي مرضعته فتقول : " جاءني غلام لعبد المطلب ، واحضرني سيده ، فقال يا هذه عندي بني لي يتيم أسمه محمد ، فاحتملته، ففتح عينيه لينظر الي فسطع منهما نور ، ثم شرب ثدي الأيمن الذي كان يابساً حتى روي ، ثم شرب أخيه عبد الله بن الحارث ، حتى ناما ، ولم يرغب الأيسر إطلاقاً مناصفاً به أخيه وشريكه عبد الله بن الحارث ، وكان عبد الله لا يشرب إلا

---

[1] الشيخ الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ) ، الآمالي ، نشر مؤسسة البعثة ، بيروت ١٤١٧هـ ، ص٣٣٦ ؛ ابن شهر آشوب ، ابو عبد الله مشير الدين محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨هـ) ، مناقب آل أبي طالب ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٩٥٨م ، ج١ ، ص٢٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٦ ، ص٣٣ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ج١٥ ، ٢٣٥ ٠

[2] الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١ ، ص٥٨٦ ؛ الأصبهاني ، اسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي (ت٥٣٥هـ) ، كتاب دلائل النبوة ، تحقيق محمد محمد الحداد ، دار طيبة ، الرياض ١٤٠٩هـ ، ص١٣٥ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٩٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٣٢٣ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج٦ ، ص٤٦ ٠

يشرب محمد[1]، ثم قام زوجي الى شارفنا (الناقة الكبيرة العمرالمسنة) فإذا بها حافل (ممتلئة الضرع) فحلب منها ما شرب ، وشربت معه ،حتى انتهينا ريا وشبعاً فبتنا بخير ليلة[2].

قالت : " ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته عليها معي ، فوالله لقطعت بالركب ، وما يقدر عليها شئ من حمرهم ، حتى ان صواحبي ليقلن لي : يا ابنة ابي ذؤيب ويحك !! اربعي (انتظري) علينا ، أليست هذه أتانك التي خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله انها لهي هي "[3] .

وتقول أيضاً : " ما ركبنا قلعة وهبطنا وادياً إلا عرفنا به بركة فأثرينا ، وكثرت مواشينا وأموالنا ، وكانت في بني سعد شجرة يابسة ما حملت قط ،فنزلنا يوماً عندها ، ورسول الله في حجري ، فما قمت حتى أخضرت وأثمرت "[4] .

ويقول ابن اسحاق : " ان نفراً من أصحاب رسول اللهﷺ ، قالوا له: يا رسول الله اخبرنا عن نفسك ، قال: نعم انا دعوة ابراهيم ، وبشرى اخي عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي انه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام ، استرضعت في بني سعد بن بكر، فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهماً لنا ،إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجاً فأخذاني فشقا بطني ، واستخرجا قلبي فشقاه ، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا

(*) هي حليمة بنت ذؤيب بن شجنة بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس بن عيلان ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن يشجب بن يعرب بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، وهي زوجة ابو كبشة الحرث أو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن السعدي ، لها من الولد رضيع رسول الله عبد الله بن الحارث ، وأنيسة بنت الحارث وجذامة وهي (الشيماء) ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١١٠ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٦٢ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٣٥٣ ؛ ابن الأثير ، اسد الغابة ، ج٥ ، ص٤١٤ .

[1] ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ج١ ، ص٣٢ ؛ المحب الطبري ، ابو العباس محب الدين احمد بن عبد الله بن محمد (ت٦٩٤ هـ) ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، مكتبة القدس ، القاهرة ١٣٥٦هـ ، ص٢٥٩ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ج٧ ، ص١٥١ .

[2] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٦ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١ ، ص٥٧٣ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٢ ، ص٣٠٣ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٢٦ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ،ج١، ص٣٨٦ .

[3] الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١، ص٥٧٤ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ،ص ٤٩ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج١ ، ص٣٢٨ .

[4] ابو يعلي ، احمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (ت٣٠٧هـ) ، مسند ابي يعلي ، تحقيق حسين مسلم أسد ، دار الثقافة العربية ، دمشق ١٩٩٢م ، ج١٢ ، ص٩٦ .

قلبي وبطني بذلك الثلج ، حتى أنقياه ، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته ، فوزنني بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمائة من أمته ، فوزنني بهم ، فوزنتهم، ثم قال :زنه بألف من أمته ، فوزنني بهم فوزنتهم ، فقال دعه عنك فوالله لو وزنته بأمته لوزنها " [1].

ولما كبر قليلاً ولم يتعد مرحلة الصبا ، أكدت عدة حوادث ، صباه غير المتماهي مع أقرانه ،فيروى ، انه مر في صباه بصبيان يلعبون،فدعوه الى اللعب معهم،فقال :ما للعب خلقت[2] .

ويروى عن أبي طالب بن عبد المطلب قال : " لم أر منه كذبة قط ، ولا جاهلية قط ، ولا رأيته يضحك في موضع الضحك ، ولا وقف مع صبيان يلعب ولا إلتفت إليهم ، وكان الوحدة أحب اليه والتواضع " [3].

وكلف به الله ملكاً عظيماً منذ فصل عن الرضاع ، يرشده الى الخيرات ومكارم الأخلاق ، ويصده عن الشر ومساوئ الأخلاق ، كانوا يسمعون في مهده التسبيح والتحميد والثناء على الله تعالى[4] .

كان رسول الله ﷺيحدث عما كان لله يحفظه في صغره من أمر الجاهلية و قال :"رأيتني في غلمان من قريش ننقل الحجارة لما بنت قريش الكعبة –قبل بنائها الذي اختلفت فيه قريش – وكلنا قد تعرى ، وأخذ أزاره وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فاني لأقبل معهم وأدبر ،إذ لكمني لاكم لكمة شديدة " ، ثم قال : " شد عليك أزرك ، قال: فأخذته فشددته ، ثم جعلت أنقل الحجارة على رقبتي " [5] .

ولما بلغ من العمر ثمانية أعوام، عزم عمه ابو طالب الخروج الى الشام للتجارة مع ركب قريش سنة ثمان من مولد النبيﷺ ، أخذ النبي ﷺ بزمام ناقته ، وقال : " يا عم على من تخلفني ولا أب لي ولا أم ؟ وكان قيل لي ما يفعل به هذا الحر وهو غلام صغير ، فقال أبو

---

[1] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١١٢ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١ ، ص٥٧٨ ؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج٤ ، ص١٦٠ ؛ القاضي عياض ، الشفا في حقوق المصطفى ، ج١ ، ص١٧٣ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٢ ، ص٢٦٩ .

[2] الطبرسي ، الإحتجاج ، ص٢١٩ ؛ ابن شهر آشوب ،مناقب آل ابي طالب ، ج١ ، ص٢٣ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٥ ، ص٣٤١ .

[3] ابن شهر آشوب ، المناقب ، ج١ ، ص٢٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٦ ، ص٧٨ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص٢٧٥ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٤ ، ص١٣ .

[4] ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٣ ، ص٢٠٧ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار. ج١٥ ، ص٢٦٣.

[5] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٦ ، ص٢١٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٣٥٠ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج٧ ، ص١١١ .

طالب : والله لأخرجن به ولا أفارقه أبداً " ، وفي رواية أخرى للطبري[١] يقول : ضب به رسول الله ﷺ(تعلق به)، فرق له أبو طالب ، فخشيت له خشية ،وكانوا ركباناً ، فكان والله البعير الذي كان عليه محمد أمامي لا يفارقني ، ويسبق الركب كلهم ، وكانت سحابة بيضاء مثل الثلج تظله .

ولما بلغ من العمر بضعة[*] عشر سنة خرج ﷺ مع عمه الزبير بن عبد المطلب الى اليمن بتجارة ، ورأوا منه آيات في تلك السفرة ،منها ان فحلاً من الإبل كان قد قطع بعض الطريق في واد ممرهم عليه ، فلما رأى رسول اللهﷺ برك حتى حك بكلكله(سنامه) الأرض فركبه ، ومنها انه ﷺخاض بهم سيلاً عرماً فأيبسه الله تعالى حتى جاوزوه[٢] .

ثم شهد حرب الفجار[**] وهو ابن أربعة عشر أو خمسة عشر سنة ،وقيل ابن عشرين سنة وهذا متفق عليه ،كون ان تاريخ حدوثها بعد عام الفيل بعشرين عاماً وهو عام مولد المصطفى ﷺ، وهي حرب بين كنانة و قيس عيلان، وقال ﷺ: شهدت الفجار وأنا غلام ، فكنت أنبل عمومتي[٣].

ويروى ان حكيم العرب أكثم بن صيفي حج عاماً ، والنبي ﷺ في سن الحلم ، فرآه أكثم ، فقال : " يا أبا طالب ، ما أسرع ما شب أخوك ،(لعله كان يعني حمزة لأنه قريب اليه في السن من عمومته) فقال : انه ليس بأخي ، ولكنه ابن أخي عبد الله ، فقال أكثم : أهو ابن الذبيحين ؟ قال : نعم ، فجعل يتوسمه ، فقال لأبي طالب : ما تظنون به ؟ قال : نحسن به الظن ، وانه لوفي سخي ، وانه لذو شدة ولين ، ومجلس ركين ، وفضل متين ، فقال أكثم :

---

[١] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١١٦ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٢ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٢ ، ص١٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٢ ، ص٢٩٢ .

[*] البضعة : هي ما لم يبلغ العقد ، ولا نصفه ، يريد به ما يزيد على الواحد الى الأربعة؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بضع) .

[٢] الصالحي الشامي،سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص١٣٩ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٤٠٦

[**]الفجار : هي حرب وقعت بين كنانة وقيس عيلان ، وهي أربعة حروب في العرب ، الأول منها سمي (فجار الرجل) ، الثاني (فجار الرباح أو الفخر) ، والثالث (فجار المرأة القيسية) ، آخرهن (فجار البراض) ، استمرت أربعة أيام ، فكان اليوم الأول ، يوم شَمَطة ، ويوم العبلاء ، وهما عند عكاظ ، ويوم الشرب ، وهو أعظمها وهو الذي حضره رسول الله ﷺ ، ويوم الحرة ، وكان عند نخلة ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص١٢ ؛اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٥ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص١٧٨ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١١٢ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٦١ .

[٣] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢٠ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٨ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص١٧٣ .

أقول غير هذا ، انه ليضرب العرب فاطمة (جامعة) ، بيد حائطة ، ورجل رائطة ، ثم ينعق بهم الى مرتع مريع ، وورد سريع ، فمن اخرورط اليه هداه ، ومن احرورف عنه أرداه"[١].

ويروى ان قريشاً كانت تتحاكم الى النبي ﷺ في الجاهلية قبل الإسلام[٢] ، ولما بلغ نيفاً وعشرين سنة من عمره حضر في حلف الفضول ، وقال : " حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ، ما يسرني به حمر النعم ، ولو دعيت اليوم اليه لأجبت "[٣] .

هناك سؤال يقول: لماذا عقد الحلف في بيت عبد الله بن جدعان ، وهو النخاس ، بل لا مجال لذكر مضمون تجارته في هذا المجال ! أو هل لا توجد غير داره تسع أطراف الحلف ؟

الجواب هنا متعدد الجوانب والاتجاهات ، فمن الجهة السياسية كان ابن جدعان أحد شيوخ مكة وصاحب شرف ونسب مع عبد المطلب وحرب بن أمية ،وانه كان يروم الرئاسة العامة في مكة ، ومن الجانب الإقتصادي كان من كبار التجار في مكة ، بل ان احد المؤرخين المحدثين يقول ان الحلف وعقده في بيت ابن جدعان لغرض اقتصادي ، ذلك للاستفراد بتجارة اليمن ، من خلال الإيحاء لأهل اليمن انه وقف بوجه من ظلم التاجر اليمني العاص بن وائل السهمي ، وكان ابن جدعان ذا مال كثير[٤] ، وليظهر لأهل اليمن ان التجارة مع مكة فيها شئ من الصعوبة ، بحيث يقوم بالتكفل بها ، أما في الجانب الإجتماعي فان ابن جدعان كان كريماً ، وبه يضرب المثل في عظم جفنته وصيت كرمه ، التي يأكل منها الراكب على البعير ، وهذا النوع من النشاط الإجتماعي له أثر كبير في حياة الفرد ، حتى انه قيل للنبيﷺ : ما بال ابن جدعان أهون أهل النار عذاباً ؟ قال:" انه كان يطعم الطعام "[٥] .

---

[١] الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص١٤٧ .

[٢] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٥٧ ؛ القاضي عياض ، الشفا ، ج١ ، ص١٢٤ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٤٢٧ .

[٣] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٢٨ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص٥٣ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٧ ؛ المسعودي ، التنبيه و الأشراف ، ص١٧٩ .

[٤] مونتغمري وات ، محمد في مكة ، تعريب شعبان بركات ، المطبعة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا ١٩٥٢م ،ص٢١ .

[٥] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص١٥٢ ؛ ابن خياط ، طبقات خليفة بن خياط ، ص٤٩ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٢ ، ص٢٩٧ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٨٣ ، ص٢٥٧ .

واستمراراً مع محطات حياة المصطفى ﷺ ، فذكر انه خرج للشام بتجارة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) وهو ابن خمسة وعشرين عاماً ، وفي العام نفسه تزوج منها [(١)].

وفي رواية عن عمار بن ياسر ﷺ [(٢)] يقول : " إنه ﷺ لم يكن أجيراً لأحد من الناس ، بل بقسم من الأرباح " ، وقال: " أنا أعلم الناس بتزويجه خديجة بنت خويلد ، أنا إلفاً وكنت صديقاً له وان زواجه من خديجة لم يكن مسبوقاً بمعاملة بينهما ، بل كان بناءً على رغبتها ، بعد ان وجدت فيه الرجل الذي يمكن ان يرتاح اليه ، وقد بلغت الأربعين من العمر ، وأشراف قريش يطمعون في زواجها ، لحسبها أو طمعاً بثروتها ، إلا انها وجدت فيه حسب المعلومات التي توافرت لديها عنه ﷺ ، ضرباً آخر من الرجال لا تستغويه متعة الدنيا ، فطلبته الى نفسها ، وأرسلت اليه ﷺ من يشجعه على خطبتها "، وليس غريباً على سيدة مثلها ان تطلب رسول الله ﷺ، وتفضله على سادات مكة وأشرافها .

وفي الخامسة والثلاثين من عمره حكمته قريش في اختلافهم بوضع الحجر الأسود عند بناء الكعبة، فجعله في رداءه وحمل وحملت قريش معه ليشرفه الله بهذا القدر والشرف[(٣)].

هذه المحطات الرئيسة في حياته ﷺ منذ ولادته مروراً بصباه وشبابه قبل النبوة ، ومن العجيب أنني لم أر ان له ﷺ في كل مراحل حياته قبل الاسلام خلاً أو صديقاً ، ولم أعثر على أية رواية تاريخية بهذا المعنى ، إلا رواية عمار بن ياسر في تزويجه، والتي وردت في ثنايا هذا المبحث والتي يقول فيها (كنت صديقاً له ﷺ) .

أما صفاته ﷺ وخصائص شخصيته ، فقد كان من أعظم قبائل قريش ، قوة ونفوذاً ، والتي كانت الناس تنظر اليها بعين من الإجلال والإكبار ، فضلاً عن انه امتاز بالطهر ، والسيادة والزعامة ، والتواضع ، وافر العقل ، حسن التدبير والرأي ، الحكيمة ، والصبر وفيه الصفات الطيبة جميعها، وهو كما وصفه سبحانه وتعالى :(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[(٤)]، ولنا أن نمر على بعض الصفات وفق السياق والدلالة التاريخية:

١- دلالة تواضعه وحلمه : يروى ان رجلاً دخل عليه على جمل ، فأناخه في المسجد ، وعقله ، ثم قال للحضور ، " أيكم محمد ؟ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم ، فقلنا : هذا الرجل

---

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١١٦ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٢ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ٦١ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٠ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٣ ، ص١٨٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٢٦١ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٩ ، ص٣٣١ .

(٣) ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص٢٧٣ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٩ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٤١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٦٧ .

(٤) سورة القلم ، الآية ٤ .

الأبيض المتكئ ، فقال له الرجل : ابن عبد المطلب ؟ فقال له : قد أجبتك ، فقال الرجل : إني سألتك ومشدد عليك في المسألة ، فلا تجد على نفسك ، فقال : سل عما بدا لك ، فقال الرجل : أسألك بربك ورب من قبلك ، الله أرسلك الى الناس كلهم ؟ فقال : اللهم نعم ، فقال : أنشدك بالله أمرك ان تصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال : اللهم نعم ، قال أنشدك الله ... الى ان قال : آمنت بما جئت ، وأنا رسول من ورائي من قومي ، وأنا ضمام بن ثعلبة السعدي " ، نجد في هذه الرواية عدم قدرة ضمام بن ثعلبة على تمييز النبيﷺ بين الصحابة ، خير دليل على خلقه وتواضعه ، وعدم اعترافه بالفوارق بينه وبين الرعية ، ثم ان شهادة النبيﷺ عن نفسه دليل على ذروة الثقة ، إذْ أثرت هذه الثقة في قبول الدعوة ، ونشر الرسالة[١] .

٢-كانت له قدسية في نفوس الناس : من خلال ما كان معروف لديهم من وفرة العقل واصالة الرأي وحسن التدبير ، وقد تقدمت رواية وضع الحجر الأسود ، وقدسيته من خلال ما رافق ولادته ونشأته وصباه ، وكونهﷺ ابن الذبيحين(اسماعيل بن ابراهيم الخليل وعبد الله بن عبد المطلب)[٢] ،فهو الصادق ، ومحل الثقة المطلقة ، وصاحب الرأي والتدبير .

٣- من أهم صفاته الشخصية أميتهﷺ قبل الاسلام : فقد عززت الأمية كل الصفات ، ومعرفة الجميع باميته ، وانه لم يتلق العلم والمعرفة من احد ، ثم لم يستطع احد من ان يدعي المعرفة بجزء مما جاء به ،فضلاً عن بيئته الأمية ، فعزز هذا صدق ما جاء به وصدق رسالته ، وهذا تعزيز لصدقه ،

٤- لم يسجد ﷺلصنم قط : فلا يستطيع أي فرد ان يرد عليه ، فيقول بالأمس كنت تعبد الأصنام واليوم تمنعنا منها ، فلماذا تكفر بها اليوم ؟ فان كانت عبادتها تخالف العقل والفطرة ، فأين كانت فطرتك وعقلك ، ولماذا شذت بك الفطرة ،ولو إننا نرى رواية واحدة بائسة يرويها ابن الكلبي[٣] وينقلها عنه ياقوت فيقول : كانت العرب وقريش تسمي بعبد

---

[١] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٩٩ ؛ خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ص٥٧ ؛ ابن شبه النميري ، تاريخ المدينة ، ج٢ ، ص٥٢١ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٣٨٤ ؛ ابن ماكولا ، الإكمال ، ج٥ ، ص٢٣٥ ؛ ابن يد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٢٧٩ .

[٢] الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢٢ ، ص١٠١ ؛ الشيخ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٤ ، ص٣٦٨ ؛ الشيخ الطبرسي ، تفسير معجم البيان ، ج٨ ، ص٣٣٢ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٥ ، ص١١٢ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٥ ، ص٢١١ .

[٣] الأصنام ، ص١٩؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (العزى) ، ج٤ ، ص١١٦ .

العزى[١] ، وقد بلغنا ان رسول الله ﷺ ذكرها يوماً فقال : (لقد أهديت للعزى شاة عفراء ، وأنا على دين قومي) ، فإن صحت هذه الرواية فلماذا يسفه المصطفى ﷺ الأصنام ، ويقاتل ويحارب من أجل تهديمها ، وتسفيهها وعدم عبادتها ! هل عرفها بوقت متأخر ، أولم يكن على أقل تقدير موحداً ! اذا فما هو سبب تثبيت مثل هذه الرواية ، يمكن نناقش هذه الرواية وفق محورين رئيسين هما :

أ- يوحي في بادئ الأمر ان أبا المنذر هشام الكلبي ، كان تختلج نفسيته شئ من الاضطراب ، ويتضح هذا من خلال مؤلفاته ، فنراه يؤلف تفسير القرآن الكريم ، ويقوم بشرحه للمسلمين في الكوفة والبصرة ، وهذا الأمر غاية في النبوغ العلمي ، وعلو درجة التقوى وحسن الرأي ، ومن المعلوم ان حلقته لشرح القرآن هي ليست للعامة فقط ، فمن المؤكد ان بعض جلسائه من الشيوخ والعلماء ، وهذا يعني حسن سريرته ، ومن جانب آخر يؤلف كتاب في المثالب والمشاغبات و المشاجرات[٢] وهذا يعني انه كان يترصد أخطاء الآخرين وعيوبهم من خلال المشاهدة والقراءة ، وهذه الصفة الذميمة لا تتفق مع من يمتلك المعرفة بعلوم القرآن ، ثم اننا نراه يقوم بدور واعظ السلطان ، يتبين ذلك من خلال استقدامه من الكوفة الى البصرة من قبل سليمان بن علي عبد الله بن العباس بن عبد المطلب[٣] .

ب- لو تأملنا خلفيات الكلبي وأبوه الكوفي نراه ينتمي الى طائفة الشيعة، إذْ ذكره النجاشي برجاله ، اذ وصفه السمعاني بأنه مغال في تشيعه ، وقال آخر انه على مذهب السبئية ، وقال عنه ابن الجارود وابن السكن والاصمعي والعقيلي الطبراني انه ضعيف الحديث ، وقال عنه احمد بن حنبل والهيثمي والذهبي انه متروك[٤]، والآخر طعن بمصداقيته فقال عنه يحيى بن معين وابن عساكر انه غير ثقة وليس من مثله يروي الحديث، واتهمه ابن سعد والطبري وياقوت بانه يفتعل الحديث ويولده[٥] ، هذا اذا علمنا ان قسطاً منهم أخذ

---

[١] نسبة الى (العزى) التي إتخذها ظالم بن اسعد ، وكانت بوادي من نخلة الشامية ،يقال له حراض ، بأزاء الغمير عن يمين المصعد الى العراق من مكة ، وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبح ، وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول (واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بأنهن الغرانيق الُعلى وان شفاعتهن لترجى)؛ ابن الكلبي ، الأصنام ، ص١٨ .

[٢] ابن النديم البغدادي ، ابو الفرج محمد بن اسحاق بن محمد البغدادي (ت٤٢٨هـ) ،الفهرست، مطبعة مهر ، طهران ١٩٧١م ، ص١٠٨ ؛ آغا بزرك الطهراني ، محسن بن علي بن محمد بن رضا الطهراني ، الذريعة الى تصانيف الشيعة ، دار الأضواء ، بيروت ١٤٠٢ هـ ، ج١٧ ، ص٧٤ .

[٣] ابن النديم ، الفهرست ، ص١٠٧ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٦ ، ص١٢٣ .

[٤] مجمع الزوائد ، ج٩ ، ص ١٢٩ .

[٥] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٠ ، ص١٠١ .

الحديث عنه ! الأمر الذي يعني ان الواقع العلمي في القرن الثالث الهجري كان مشحوناً بالإتجاهات السياسية والفكرية ، فأصبح بالإمكان دس مثل هذه الرواية في مؤلفاته لغرض تشويه سمعته والإساءة اليه ، وإلا فان هذه الرواية لا تتفق مع صفة النبيﷺ وسيرته العطرة شكلاً ومضموناً ، بل ان بعض الصحابة يفتخر انه لم يسجد او يعبد لصنم ، فكيف بسيد الخلق ، وخاتم الرسالات السماوية ﷺ٠

٥-أسلوبهﷺ المتميز في طرحه ما يريد من خلال الحكمة ، وعلى ضوء ما تقتضيه المتطلبات ومقتضيات الأحوال ، فنراهﷺ تقيد في دعواه بحدود ما أمر به من الأهداف الرسالية ٠

٦- صبرهﷺ وتحمله المشاق وآلالام، ورفضه كل المساومات ، حتى انه قال لهم لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله او أهلك فيه[١] ، بل انه ﷺ لم يقبل منهم شرط ان يعطيهم فرصة زمنية للتزود في عبادة أصنامهم٠

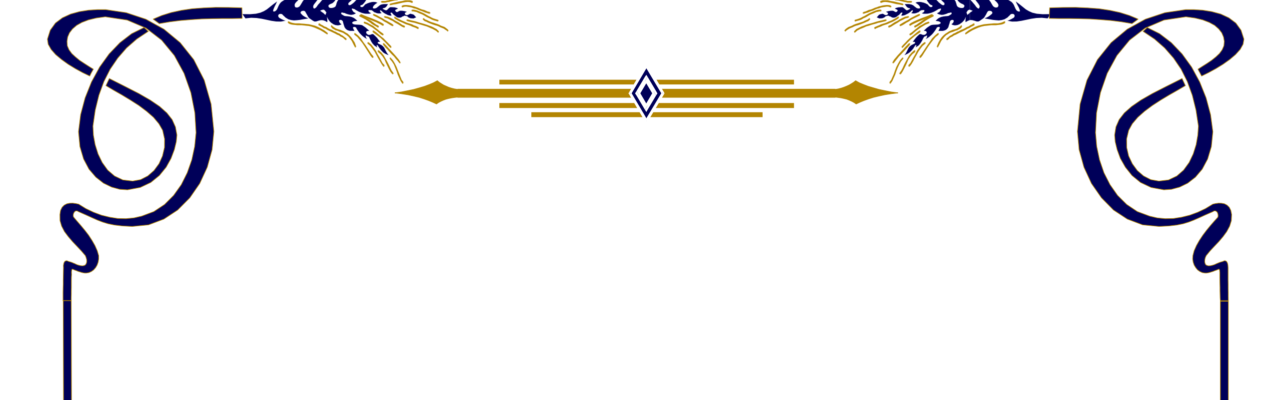
إذاً كان النبي ﷺ يمثل النموذج الفذ الذي أراده الله سبحانه وتعالى على الأرض ، فهو الإنسان الإنسان ، بكل ما لهذه الكلمة من معنى ، فهو منبع الفضل ، والعدل ، والعقل ، والكمال ، ومثال الحكمة ، والوقار والجلال ، فهو العالم الحكيم ، التقي ، الشجاع ، الحازم ، الى غير ذلك من الكمالات الرفيعة ، فهو أكمل الخلق ، واعصمهم من الخطأ والزلل ، بل هو سيد المرسلين وخاتمهم ﷺ٠

ومن المفيد الإشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى لم يختار لرسالته من أهل البادية كون عيشتهم غريزية غليظة جافية بعيدة عن روح التهذيب والنعومة (الحضارة) ، مصداقا لقوله ﷺ : " من سكن البادية جفا ، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى السلطان افتتن " ([٢]) ، فهم لا حدود إيمانية لهم لله ، والفرد عندهم غير مصون وحر كونه لا يرى غير السم اء والصحراء ، ولا تحده حدود أو موانع اعتبارية ، ولهذا فلا يصلحون للإدارة والقيادة التي تحتاج إلى قبول الآخر وحواره والتعامل معه وصولاً للهدف ٠

---

[١] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٧٣ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٦٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٥٦ ٠

[٢] الإمام احمد بن حنبل ، مسند أحمد ، ج١ ، ص٣٥٧ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٣ ، ص٣٥٧ ؛ الطوسي ، الآمالي ، ص٢٦٤ ٠



الفصل الثاني

الفكر العقائدي والإجتماعي والإقتصادي والسياسي عند الرسول ﷺ





العقيدة ،التوحيد ،النبوة ، اليوم الآخر، الصلاة

المعتقد : هو المذهب ، على ان لا يقبل الشك فيه من قبل معتقده.

العقيدة: هي ما عقد عليه القلب واطمأن اليه ، أركانها الإيمان بالله ، والملائكة ، والرسل ، واليوم الآخر [١] .

والمراد بالعقيدة هنا نفس الاعتقاد دون العمل وفق أحكام الشرع ، وهي قسمان :

الأول : ما يقصد به نفس الإعتقاد ، كقوله تعالى (عالم ، قادر ، سميع ، بصير) وهذه تسمى عقيدة أصلية .

الثاني : ما يقصد به العمل ، كقولنا الوتر واجب ، والزكاة فريضة ، وهذه تسمى عقيدة فرعية[٢] .

والعقيدة تتحقق بنطق الشهادة من قول لا اله الا الله ، وان محمداً رسول الله ، وتحقيق الاحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول ، ومعرفة حكمتي الشهادة على إيجازها ، وهي تتضمن إثبات ذات الإله واثبات صفاته واثبات أفعاله واثبات صدق الرسول ، وان الإيمان بالعقيدة يبنى على أركان أربعة ويدور كل ركن منها على عشرة أصول وهي:

١- الركن الأول : معرفة ذات الله تعالى ، من خلال العلم بوجود الله تعالى ، وقدمه ، وبقائه ، وانه ليس بجوهر ، ولا جسم ، ولا عرض ، وانه سبحانه وتعالى ليس مختصاً بجهة ، ولا مستقراً على مكان ، وانه يرى ، وانه واحد .

٢- الركن الثاني : في صفاته ، وتشتمل على العلم بكونه حياً ، عالماً ، قادراً ، مريداً ، سميعاً ، بصيراً ، متكلماً منزهاً عن حلول الحوادث ، وانه قديم الكلام ، والعلم والإرادة .

٣- الركن الثالث : في أفعاله تعالى ، وهي ، ان أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ، وإنها مكتسبة للعباد ، وإنها مراد لله تعالى ، وانه متفضل بالخلق والاختراع ، وان له تعالى تكليف ما لا يطاق ، وان له إيلام البرئ ، ولا يجب عليه رعاية الأصلح ، وانه لا واجب إلا بالشرع ، وان بعثة الأنبياء جائز ، وان نبوة نبينا محمد ثابتة ، مؤيدة بالمعجزات .

---

[١] محمد قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، دار النفائس للطباعة ، بيروت ١٩٨٣م ، ص٣١٨ ؛ سعدي ابو حبيب ، القاموس الفقهي ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٨هـ ، ٢٥٦ .

[٢] الإيجي ، عبد الرحمن بن احمد (ت٧٥٦هـ) ، كتاب المواقف ، تحقيق عبد الرحمن عميرة ، در الجيل ، بيروت١٩٩٢م ، ج١، ص٣١ .

٤- في السمعيات : وهي إثبات الحشر والنشر ، وسؤال منكر ونكير ، وعذاب القبر والميزان ، والصراط ، وخلق الجنة والنار ، وأحكام الإمامة ، وان فضل الصحابة على حسب ترتيبهم ، وشروط الإمامة[١].

العقيدة الدينية : هي ما يقصد به الإعتقاد بدون عمل، كعقيدة التوحيد، وبعث الرسل[٢].

تثبيت العقيدة : الأصل في الاسلام هو الدعوة للعقيدة ، وليس السيف ، وهذه الدعوة تمر بعدة مراحل منها ، إدراك الاسلام ، ومعرفته ، ومن ثم القناعة ، وتكون بشكل كامل ، ثم تبدأ المرحلة الأخيرة وهي التثبيت و والتي تعني العقيدة الخالصة ، وهي أرقى مراحل الإيمان ومعاني هذه المراحل هي :

الإدراك : ويعني المعرفة بأسس الاسلام ، من خلال الإدراك العقلي (بصيرة العقل) ، وماهية الاسلام ، ولماذا الاسلام ، فهل هو أحسن من باقي المعتقدات ، وبأي شئ هو أفضل ، ثم تبدأ مرحلة معرفة التعاليم وكافة أمور الدين ، أي هو الوسيلة للوصول الى المعرفة، من خلال الإستدلال ، والإستنباط ، والتجريد ، والتمييز ، والتحليل ، والتعليل ، والرؤية ..[٣].

القناعة: وتعني تمام الإختيار ، بعد ان يقوم الفرد بالموازنة بين معتقده السابق والاسلام ، وكيفية رجحان الكفة الإيمانية ، وهي مرتبطة بالنفس ، ولها درجات ، منها، اليقين ، وهو الإيمان الكلي ، والإطمئنان ، ونسبته قريبة من اليقين ، والظن ، وهو نصف اليقين ، والإحتمال ، ودرجته نسبية ، والتوقف ، ودرجته صفر من القناعة[٤] .

الثبات : وهو الاستقرار ورسوخ العقيدة ، والطمأنينة ، والشدة ، والاستقامة ، وهو مرحلة الحركة وتنفيذ ما أُقتنع به[٥].

بعد هذا التعريف بالعقيدة واركانها ، فقد إنشغل النبي الكريم ﷺ في تثبيتها في نفوس الصحابة منذ الوهلة الأولى لتباشير الرسالة ونزول القران ، وكان القرآن قد واكب هذا المنهج

---

[١] الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ) ، قواعد العقائد ، تحقيق موسى بن نصر ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٥م ، ج١ ، ص١٥٤-١٤٦ .

[٢] البيهقي ، احمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ) ، الاعتقاد والهداية ، تحقيق احمد عصام الكاتب ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت١٤٠١هـ ، ج١ ، ص١٧٥ ؛ الجرجاني ، التعريفات ، ج١ ، ص١٦٩ .

[٣] الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ) ، المنخول في تعليقات الأصول ، تحقيق محمد حسن هيتو ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٩هـ ، ص٣٣٣ .

[٤] الفضلي ، عبد الهادي ، دروس في أصول فقه الإمامية ، دار الغريين ، الدمام ١٤١٨هـ ، ص٣٢٠.

[٥] ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج١ ، ص٣٣١ .

منذ البداية ، فكانت الآيات المكية تعالج هذا الجانب ، من خلال الدعوة لله ولرسوله وللآخرة ،والتي تقدر بثلثي القرآن ، ثم ربط الرسولﷺ هذه العقيدة بالجانب السياسي من خلال التشريع ، والذي بموجبه أسس دولته في المدينة .

فكانت قدراته ﷺ فائقة في مجال تثبيت العقيدة ،ولهذا السبب لعب ثبات العقيدة دوراً كبيراً في اتساع عملية الدخول في الاسلام ، ويحق لنا ان نتساءل عن أمور تبين بشكل واضح التأثير العقائدي في الصحابة ومنها :

- من الذي جعل سادة قومه ان سارعوا الى اعتناق دينهﷺ ، وان يتخلوا بسرعة عن كل ما يحيط بهم من مجد وجاه ، ليدخلوا حياة جديدة مليئة بالصعاب والصراع ؟
- ومن جعل الضعفاء يسرعون بالتخلي عن أسيادهم الأقوياء ، ليلوذوا بمن هو أقل منهم قوة ، وليدخلوا في دوامة التعذيب من أسيادهم الأُوَّل ؟
- ومن الذي جعل كبار رجال المدينة ان يتوجهوا اليهﷺ ، وهم يعلمون ان الحرب ستكون بينهم وبين قريش وتكون الدماء ؟
- وكيف ازداد عدد المسلمين ، ولم ينقصوا تحت طائلة التعذيب وهو ﷺ يقول (لا أملك لكم من الله نفعاً ولا ضراً)[1] ؟
- ومن الذي جعلهم يصدقون النبوة ، وهم لا يملكون سوى الصحراء وحرارتها ، وبعض الشجيرات اليابسة ،لتمتليء قلوبهم عزماً ويقيناً ؟
- بل كيف آمنوا بأن الدنيا ستفتح لهم أقطارها وأن سنابك خيولهم ستطأ أراضي الإمبراطوريات ، وان هذا الكتاب سيتلى في كل الآفاق ، ويجب ان يتردد صداه في كل مكان ؟

ويمكن الإجابة عن هذه التساؤلات بشكل بسيط ونقول ان السبب الرئيس في كل هذه التطورات ، وهذه العظمة الإيمانية ، والاندفاع العالي ، هو الثبات العقائدي الذي زرعه المعلم الأول المصطفى ﷺ .

التوحيد : هو الكلمة الأولى على شفاه الأنبياء ، واللبنة الأولى في أسس الديانات ، والأصل الأول في أصول العقيدة ، وهو مصطلح للعلم الذي يبحث فيه الله سبحانه وتعالى ، وصفاته ، وأفعاله ، والتوحيد مقرون باقرار النبوة ، ولا إقرار بالإيمان إلا بالتوحيد والنبوة والتوحيد باللغة ، يعني الحكم بأن الشئ واحد ، والعلم بأنه واحدُ .

---

[1] احمد بن حنبل ، مسند احمد بن حنبل ، ج٢ ، ص٣٦١ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢ ، ص٨٠٠ ؛ الشيخ الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص١٢٩ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٥ و ص٩٥ .

وفي إصطلاح أهل الحقيقة(*) هو تجريد الذات الإلهية من كل ما يتصور في الإفهام ، والتخيل في الأوهام والأذهان ، وهو ثلاثة أشياء هي ، معرفة الله بالربوبية ، والإقرار بالوحدانية ، ونفي الأنداد عنه جملة[1].

ويرى أهل الملل في التوحيد ، ان الله تعالى واحد في ذاته ، لا قسيم له ، وواحد في صفاته الأزلية ، ولا نظير له ، وواحد في أفعاله لا شريك له[2].

والتوحيد في الشرع والعقيدة هو أحد أصول الدين ، يعنى بإثبات صانع واحد ، موجد للعالم ، وما يستحقه من الصفات ،نفياً وإثباتاً ، وذلك بترتيب على حدوث العالم ، ونفي ما عداه ، والدليل على ان الله واحد ، ذلك لأن معنى الواحد هو الفرد بصفات ذاتية ، لا يشاركه فيه غيره ، فلو كان الباري تعالى معه إله آخر لأشتركا في الذات والصفات ، والمشاركة ممكنة والشريك يفتقد لغيره ، والله تعالى واجب الوجود خارج عن الممكنات، وهذا يعني لا يجوز عليه العدم ، فهو واحد[3].

والتوحيد على ثلاثة أقسام[4] هي :

- المثبت : وهو من أثبت الشئ على ما هو عليه وإعتقده على ما هو به .
- النافي : وهو مبطل ، لا يثبت وحدانية الله ، وهو مشرك
- المشبه : وهو الإعتقاد بان لله شبيهاً ، وذلك مشرك ، ولا شبهة في شركة، والمشبه هو أما أقوى أو أحسن من المشبه به ، أو مثله ، أو دونه ، وهذا شرك ينفي الوحدانية .

سئِل الإمام جعفر بن محمد بن علي الصادق عليه السلام عن التوحيد فقال :" واحد ، صمد ، أزلي ، صمدي ، لا ظل له يمسكه ، وهو يمسك الأشياء بأظلتها ، عارف بالمجهول ، معروف عند كل جاهل ، فرداني ، لا خلقة فيه ، ولا هو في خلقه ، غير محسوس ، ولا محسوس ، لا

(*) أهل الحقيقة ، هم العلماء الذين يهتمون بتهذيب النفس ، وسمو الروح الى جانب إهتمامهم بالشكل والحركات ، أو هم بين الشريعة والطريقة الموصلة الى الله تعالى ؛ محمد قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص١٨٣ ؛ سعدي أبو حبيب ، القاموس الفقهي، ص٢٩ .

[1] الجرجاني ، التعريفات ، ج١ ، ص٩٦ .

[2] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص٤٢ .

[3] الشيخ المفيد ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم العكبري البغدادي(ت ٤١٣هـ) ، النكت الإعتقادية ، دار المفيد ، بيروت ١٩٩٣م ، ص٢٨ .

[4] الشريف المرتضى ،ابو القاسم علي بن طاهر بن الحسن (ت ٤٣٦هـ) ، رسائل المرتضى ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٤٠٥هـ ، ج١ ، ص٢٨٦ ؛ ابن البراج ، عبد العزيز بن البراج الطرابلسي (ت٤٨١هـ) ، جواهر الفقه ، تحقيق ابراهيم بهادري ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ١٤١١هـ ، ص٢٦٠ .

تدركه الأبصار ، علا فقرب ، ودنا فبعد ، وعصي فغفر ، وأطيع فشكر ، لا تحويه أرضه ، ولا تقله سماواته ، وانه حامل الأشياء بقدراته ، ديمومي ، أزلي ، لا ينسى ، ولا يلهو ، ولا يغلط ، ولا يلعب ، ولا لإرادته فصل ، وفصله جزاء ،. وأمره واقع ، ولم يلد فيورث ، ولم يكن له كفوا أحد " [1] .

وخلق الله تعالى الإنسان على فطرة التوحيد ، كما في قوله ﷻ :(**ألست بربكم**)[2] ، وهذا سؤال تقرير للإنسان في اليوم الآخر ،وهو خطاب أيضاً من الله تعالى الى الناس كافة بأخذه الميثاق على التوحيد ، ولم يخص بها المسلمين فقط ،بل غير المسلم أيضاً [3].

وحديث رسول الله ﷺ بخصوص الفطرة لا يحتاج الى تأويل ، فيقولﷺ :" كل مولود يولد على الفطرة ، وانما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه " [4] ، ويعني ان كل مولود يولد على الفطرة بمعرفة الله تعالى خالقه ، ويذهب بعض المفسرين الى ان الله تعالى فطر الانسان على الاسلام ، فالمولود مسلم بالولادة ، فإن شاء قبل الاسلام ، وان شاء كفر[5].

والأصل في موضوع التوحيد في هذا المبحث ان الله تعالى بعث رسوله ﷺفي عصر لم يعرف فيه التوحيد إلا القليل ، بل كانت عبادة الأوثان والأصنام والنيران ، وأمره بقتال من لا يقول : لا إله الا الله وحده لا شريك له ومحمد عبده ورسوله ﷺ.

النبوة :

لفظ مأخوذ من النبوة ، وهو ما ارتفع من الأرض ، ومعنى النبوة الرفعة ، ومعنى النبي الرفيع[6] ، والنبوة عبارة عن دعوة حقيقية لرسالة عن الله تعالى مع إظهار المعجزة ، والنبوة

---

(1) الشيخ الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٩١ ؛ الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ) ، المستصفى في علم الإصول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٧هـ ، ص٣٨ .

(2) سورة الأعراف ، الآية ١٧٢ .

(3) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٢ ، ص٩٧ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٩ ، ص١٤٨ ؛ الطبرسي ، تفسير مجمع البيان ، ج٢ ، ص٣٦ .

(4) مسلم ، صحيح مسلم ، ج٢ ، ص٤١٢ ؛ الشيخ الكليني ، الكافي ، ج٢ ، ص١٢ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٧ ، ص٣١٤ .

(5) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٩ ؛ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٦٩ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٥ ، ص١٨٣ .

(6) الشيخ الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ)،معاني الأخبار، تحقيق علي غفاري ، جامعة المدرسين ، قم ١٣٦١هـ ، ص١١٤ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (نبيء).

ليست اشتقاقاً عن النبأ أو النبيء ، بدلالة ان اعرابي مر برسول الله وقال له ، السلام عليك يا نبيء الله ، فقال : لست نبيء الله ، ولكني نبي الله[١].

والنبي إنسان بعثه الله تعالى لتبليغ ما أوصي اليه ، وكذلك الرسول ، وقيل ان الرسول والنبي واحد ، لأنهما مبلغان عن الله تعالى وهدفهما واحد ، وهذا معنى النبوة والرسالة[٢] ، وللمفسرين آراء وفروق بين الرسول والنبي ومنها :

النبـي : من قال لـه الله تعالى ، أرسلتك الى قوم كذا ، أو الى الناس جميعاً ، وابلغهم عني ونحوه ،وهو يرى في منامه ، ويسمع الصوت، ولا يعاين ملك ، ولا يشترط بالإرسال شرط كالنبي يحيى عليه السلام [٣].

الرسول : النبي معه كتاب ، والنبي غير الرسول من لا كتاب معه ، بل أمر بمتابعة شرع من قبله كالرسول يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام[٤] .

أما الجرجاني[٥] فقد عرف النبوة والرسالة بشكل أدق فقال :

النبـي : "هو من أوصى الله اليه بملك ، أو الهَم في قلبه ،أو نّبهَ بالرؤيا ، وهي سفارة بين الحق والخلق "٠

الرسول : " هو أفضل بالوحي الذي فوق وحي النبوة ، لأن الرسول هو من أوحى اليه جبرائيل خاصة ، بتنزيل كتاب من الله " ٠

---

[١] الجرجاني ، ابو احمد بن عدي (ت٣٦٥هـ) ، الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٩هـ ، ج٢ ، ص٤٣٧ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٢ ، ص٢٣١ ، القرطبي ، تفسير القرطبي ،ج١ ، ص٤٣١ .

[٢] المناوي ، محمد عبد الروؤف المناوي (ت ١٢٣١هـ) ، فيض القدير في شرح الجامع الصغير، تحقيق احمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥هـ ، ج١ ، ص٢٠ .

[٣] مجاهد ، ابو المصباح مجاهد بن جبر المكي المخزومي (ت١٠٤هـ) ، تفسير مجاهد ، تحقيق عبد الرحيم الطاهر بن محمد ، مجمع البحوث الاسلامية ، اسلام آباد ،لا.ت ، ج١ ، ص٣٨٦ .

[٤] الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن المعلم ابو عبد الله العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ) ، النكت الإعتقادية ومسائل أخرى ،دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت ١٤١٤هـ ، ص٣٤ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٦ ، ص٧٤ .

[٥] الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (ت٨١٦هـ) ، التعريفات ، تحقيق ابراهيم الأنباري ، جدار الكتاب ، بيروت١٤٠٥هـ ، ج١ ، ص٣٠٧ .

علة بعثة الأنبياء : معروف ان الله تعالى صانع متعال ، عن جميع ما خلق ، وكان ذلك الصانع حكيماً ، لم يجز ان يشاهده خلقه ، ولا يلامسوه ، ولا يباشرهم ، ولا يباشروه ، ويحاجهم ويحاجوه ، فثبت ان له سفراء في خلقه ، يدلونهم على مصالحهم ، ومنافعهم ، وما به من بقائهم ، وفي تركه فناءهم ، تثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه ، وثبت عند ذلك ان له معبّرين ، وهم الأنبياء ، ، وصفوة من خلقه ، حكماء مؤدبين ، بالحكمة مبعوثين بها ، غير مشاركين الناس في أحوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب[1].

وان الله تعالى لم يبعث رسولاً إلا وأباح ظاهره للخلق ، يتعامل ويتعايش معهم على الشروط البشرية ، ومنع سره عن ملاحظاتهم ، والإشتغال بهم ، لأن أسرار الأنبياء في روح المشاهدة لا يفارقها بحال ، فهو يقيم بينهم ، مخلوقاً من جنسهم في الصورة ، مصداقاً لقوله ﷻ(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)[2] ، نعته الله بالرحمة والرأفة ، إلا انه أخرجه سفيراً له صادقاً للخلق ، وحجة له عليهم ، " ينبئكم بما كان ، وما هو كائن ، ويتلوا عليكم آيات الله ،ويزكيكم فيما أخذتم ، وفيما علمتم ، ويعلمكم الخير فتعملوا به ، والشر فتجتنبوه ، وتستكثروا من طاعته ، وتتجنبوا سخطه" [3].

حكم النبوة :ونبوة الأنبياء (صلى الله عليهم) دائمة ،مستمرة لا تبطل ، ولا تخرم ، بخروجهم من الدنيا الى دار الآخرة ، بل حكمهم في حال خروجهم من الدنيا كحكمهم في حالة توليهم تبليغ الرسالة[4]، والدليل عليه، ان حقيقة النبوة لو كانت ثابتة لهم في حالة اشتغالهم بأداء الرسالة دون غيرها من الحالات ، لكانوا في غيرها من الأحوال غير موصوفين بذلك ، وان أمر الله تعالى وقوله قديم ، ولا يزول ، ثم ان شرف النبوة وكمال المنصب ثابت للأنبياء (صلى الله عليهم)، والنبوة ثابتة حتى اذا نسخت شرائعهم أو لم تنسخ ، والرسول الآن لم يخاطب الناس

---

[1] الشيخ الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي (ت٣٨١هـ) ، التوحيد ، تحقيق هاشم الحسني ، الهند ١٣٢١هـ ، ص٢٤٩ ؛ الطبرسي ، الإحتجاج ، ج٢ ، ص٧٧ .

[2] سورة التوبة ، الآية ١٢٨ .

[3] احمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج٤ ، ص٢٣١ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٤ ، ٢١٨ ؛ ابن الجوزي ،زاد المسير ، ج٣ ، ص٣٥٣ .

[4] الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص٥٨ .

شفاهاً ، ولا يأمر هم ، ولا يكلمهم من غير واسطة ، لكن حكم الشريعة وحجة النبوة ثابت ، ولم ينقص لأجل خروجه من الدنيا ، ولم تزل مترتبة ، ولا تنخر من رسالته ، ولا معجزته[1].

وهنا يتبادر للذهن سؤال ، هل النبي أو الرسول يختاره الله ويجتبيه من بين خلقه ، لحسن صفاته ، وشرف سلالته ، وكمال خلقه ، وكرمه ، وعفته ،أو لأمور أخرى أكثر من هذه أو لعلها غير هذه الصفات ؟

للجواب عن هذا السؤال ، نجيب بأسئلة ، منها ،هل الرسول أو النبي الوحيد في الكون يمتلك حسن الصفات ، وشرف السلالة ، وكمال الخلق ، والكرم ، والعفة ، فهناك روايات تشير الى ان الكثير من الناس لم يعبدوا الأصنام والأوثان قط ، وآخرين لم يرتكبوا الآثام الكبيرة ، والعديد من الذين عرفوا بالكرم ، ولم يعرف بهم العيب والزلل ،والعديد منهم كانوا أحنافاً عابدون ، ثم لماذا لم يختر نبياً أو رسولاً على طول الدهر ، وبشكل مستمر منذ آدم عليه السلام حتى خاتم الأنبياء ﷺ ، إذْ توجد فترات من الفراغ كبيرة بين بعث الأنبياء والرسل(عليهم السلام) ، اذ يروى ان الفترة بين آدم وإدريس مائتا سنة ، وبين إدريس ونوح أربعمائة وثمانون سنة ، وبين نوح وإبراهيم الفا سنة ومائتان وخمسون سنة ، وبين ابراهيم وموسى سبعمائة عام ، وبين موسى وداود خمسمائة عام ،وبين داود وعيسى ألف ومائتا عام ، وبين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة عام[2] ، وان لم تكن هذه الفترات دقيقة ، إلا انها موجودة .

ويروى ان آخر الأنبياء ظهوراً في الجزيرة العربية في الفترة بين عيسى ورسول الله محمد ﷺ هما حنظلة بن صفوان عليه السلام صاحب الرس[*]،إذْ ظهر في اليمن ،ويروى انه عثر على قبره في بلاد زبيد باليمن ، ووجدوا على خاتمه مكتوب (أنا حنظلة بن صفوان رسول الله) ووجدوا عند رأسه مكتوب (بعثني الله الى حمير والعرب من أهل اليمن فكذبوني وقتلوني) ([3]) .

---

[1] الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢٢ ، ص٢٠٩ ؛ الغزالي ، المنخول ، ص٣٨٢ ؛ الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص٥٩ .

[2] البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص٢٧٠ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص١٦ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٦ ، ص٢٢٨ ؛ الشيخ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٢ ، ص٣٤ ؛ ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج٢ ، ص٣٥٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص١١٢ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج٢ ، ص٢٤ .

[*] الرس : هو البئر ، والرس المقصود ،هو بئر في بقية قوم ثمود، بناحية صيهد من أرض اليمن ؛الفراهيدي ، كتاب العين ، مادة (الرس) ؛ البكري ، معجم ما استعجم ، مادة (الرس) .

(٣) ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٦؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١، ص٣٩٨ ؛ابن خلدون، تاريخ

ويروى ان نبي آخر ظهر في بلاد الحجاز قبل البعثة النبوية بحدود خمسين عاماً هو خالد بن سنان(ع) بن غيث بن ريطة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس العبسي ، من معجزاته أنه أطفأ نار الحدثان _ وهي النار التي كانت تأكل مواشيهم وما أدركت اليه –[1]لعلها (نار بركان) ، ولم يكن له كتاب يقرأ بل كان ينهي عن الشرك ويدعو للتوحيد ، ولما قدم وفد بني عبس على الرسول ﷺ في عام الوفود ، سألهم عن ذرية خالد بن سنان ، وقال لهمﷺ : ان خالداً دعا قومه فأبوا أن يجبوه ، وقالﷺ : (نبي ضيعه قومه) .

ويروى ابن عباس ؓ قال: ان ابنته وأسمها (محياة بنت خالد) وفدت على النبيﷺ ، فقال لها : "مرحباً بإبنة أخي ، وصافحها ، وأدناها ، وبسط لها رداءه ، ثم أجلسها الى جنبه ، وقال : هذه ابنة نبي ضيعه قومه "[2].

ويروى ايضاً ان بعض الأنبياء الذين ولدوا مختونين مع (آدم وشيث وهود وصالح ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان وزكريا وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله أجمعين)[3]

مع هذا فان الإختيار ليس على الصفات أو النسب أو السمعة أو الشرف أو شيء آخر ، مع أنها من مسلمات وضروريات الإختيار ، إلا ان الإختيار للنبي والرسول محتوم منذ بداية الخلق ، من حيث الشخصية ، والزمن ، والمكان ، ولهذا كان يقول العرب بالحجاز ننتظر

ابن خلدون ، ج٢، ص٢٣.

[1] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٩٦ ؛ ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج٢ ، ص٤٣٠ ؛ ابن ماكولا ، الإكمال ، ج٦ ، ص٢٧٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص٣٦٧ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٤ و ص١٧٠ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٣٤ .

[2] الشيخ الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص٢٨٣ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج١١ ، ص٣٤٩ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٢ ، ص٥٩٨ ؛ السمعاني ، الأنساب ،ج٥ ، ص٤٥٦ ؛ ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج٢ ، ص٣٥٧ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص٣٤٩ .

[3] ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١٣١ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١ ، ص٣٩٨ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج١ و ص١٢٥ ؛ الهمداني ، ابو محمد الحسن بن احمد ابن يعقوب (ت٣٥٠هـ) ، كتاب الإكليل ، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٠م ، ج٢ ، ص١٣٩ ؛ ابن ماكولا ، الإكمال ، ج٧ ، ص٧٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (الرس) ، ج٣ ، ص٤٣ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١١ ، ص٣٧٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١ ، ص٢٦٣ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٢٢.

الرسول ابن عبد المطلب ، حتى كان ﷺ يسأل من قبل الوافدين عليه (أيكم ابن عبد المطلب) ؟ وأكدها ﷺ بقوله (أنا الرسول لا كذب انا ابن عبد المطلب)[١].

سأل أحد الصحابة الرسول الكريمﷺ : "يا رسول الله متى كنت نبياَ ؟ قال الناس : مه مه ، فقال رسول الله ﷺ: دعوه ،كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد ، وفي رواية أخرى ، بين الروح والطين من آدم " [٢] .

اليوم الآخر :

ويسمى يوم البعث ، ويوم النشور ، ويوم الحشر ، ويوم الحساب ، ويوم الوعيد ، ويوم القيامة ، واليوم المشهود ، واليوم العقيم ، وسمي يوم الآخر ، لأنه آخر يوم لا يوم بعده سواه .

وقيل سمي اليوم الآخر ، لأنه بعد آخر يوم من أيام الدنيا ؛ وأول أيام اللآخرة ، فإن قيل : كيف لا يكون بعده يوم ولا انقطاع للآخرة ولا فناء ؟ قيل : "اليوم في الآخرة سمي يوماً بليلة التي قبله . فاذا لم يتقدم النهار الليل يسم يوماً ، فيوم القيامة يوم لا ليل بعده ، لذلك سمي اليوم الآخر " [٣] .

وسمي يوم الحساب ؛ لأن هذا اليوم يوم إنتهاء الظلم والشر وظهور الخير والنور والكرامة والسعادة والحياة الهانئة للصالحين، وهو اليوم الذي يجتمع فيه الناس وكل ما خلق الله جل وعلا من ملائكة وأنس وجن ، فلا يغادر عنه أحد ، ولا يتخلف عنه متخلف للحساب في أعمالهم ، من جهات الإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية[٤]، وهو واجب الذكر ، وعديم

---

[١] أحمد بين حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج٤ ، ص٣٨٠ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج١ ، ص٢٣ ؛ مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، ج٥ ، ص١٦٨ ؛ الشيخ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٢ ، ص٨٩ ؛ القاضي التنوخي ، ابو علي الحسن بن ابي القاسم التنوخي (ت٣٨٤هـ) ، الفرج بعد الشدة ، دار الكتب المصرية ١٣٦٤هـ ، ج١ ، ص١٦٩ .

[٢] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٤٨ ؛ خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص١١٥ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٧ ، ٢٧٤ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص٤٣٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٣٧٥ .

[٣] الطبري ، تفسير الطبري ، ج١ ، ص١٧١ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج١ ، ص٦٧ ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر الخضيري(ت٩١١هـ)، تفسير الجلالين ، دار المعرفة ، بيروت ،لا.ت، ص٤٤١ ؛ الطباطبائي ؛ تفسير الميزان ، ج٢٠ . ص٢٧٩ .

[٤] البخاري ، صحيح البخاري ، ج٨ ، ص١١٠ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج١٩ ، ص١٠٩ ؛ الشيخ الصدوق ، الآمالي ، ص٢٤٠ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٢ ، ص٢٥٨ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج١٠ ، ص٩٢ .

النسيان ، ومن ينساه يعد ضالاً ، كما في ﷻ (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)[1] .

ورب سائل يسأل : هل في هذا اليوم يحاسب الإنسان على ما فعل وقال فقط ، أم في غير هذه الأمور ؟ والجواب هنا نعم ، يحاسب على كل هذا ، ويحاسب على ما كان يضمر قلبه ، ونواياه ، ووساوسه .

ويسمى أيضا باليوم العقيم ، الذي لا يوم وراءه ، ولا ليل خلفه ، والعقيم باللغة ، من لا يكون ولد له ، ولما كانت الأيام تتوالى ، جعل ذلك كهيئة الولادة ، ولم يكن بعد ذلك يوم يوصف بالعقم سواه ، وهناك أمور أخرى وصفت بالعقم ، كالريح العقيم ، التي لا سحاب فيها ولا مطر ، ومُلكٌ عقيم ، لأن فيه قطع الأرحام والعقوق خوفاً على الملك ، ونساء عقيم وعقيمات ، أي لا يلدن[2].

وبهذا الموضوع ، يقول الرسول الكريمﷺ : " العقل عقلان ، فأما عقل صاحب الدنيا فعقيم ، وأما عقل صاحب الآخرة فمثمر "، والعقيم ههنا الذي لا ينفع ولا يراد به الخير[3] .

أما يوم وقوعه أو ساعته، فلا علم لأحد به من البشر ،فيقول ﷻ:(إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى)[4] ، أي أظهرها ، وقيل أخفيها عن نفسي ، كي لا يطلع عليها أحد[5] ، لكنه واجب الحدوث ، أما كيف يأتي ، فيقول رب العزة ﷻ (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[6] .

---

[1] سورة ص ، الآية ٢٦ .

[2] القرطبي ، تفسير القرطبي ، ١٦ ، ٤٨ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عقم) ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٣ ، ص٢٤٩ .

[3] الفراهيدي ، العين ، مادة (عقم) ، ج١ ، ص١٥٨ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج ٣، ص١٣٦ ؛القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٠ ، ص٤٠٦ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد، ج١٠ ، ص٢٨١ .

[4] سورة طه ، الآية ١٥ .

[5] الطبري ، تفسير الطبري و ج١ ، ص٢٠٥ ؛ الطبرسي ، تفسير مجمع البيان ، ج٦ ، ص٤٥٠ ؛ ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج٤ ، ص٢٣٠ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١١ ، ص١٧١ ؛ السيوطي ، تفسير الجلالين ، ص ٤٠٧ .

[6] سورة النحل ، الآية ٧٧ .

يقول المفسرون عن ذلك اليوم : انه يوم مجموع له الناس ، يجمع الله عز وجل فيه الأولين والآخرين ، ذلك اليوم ينفخ في الصور ، وتبعثر فيه القبور ، ذلك يوم الآزفة ، اذ القلوب الى الحناجر كاظمين ، ذلك اليوم لا تقال به عثرة ، ولا يؤخذ من أحد فدية ، ولا تقبل من أحد معذرة ، ولا لأحد فيه مستقبل توبة ، ليس الجزاء إلا بالحسنات والجزاء بالسيئات ، وهو يوم وعد الله الذي واعد به عباده عن طريق أنبيائه (عليهم الصلاة والسلام)[1] .

ولا يجوز في هذا اليوم الكلام لأي كائن من الخلق (الملائكة والناس والجن) دون إذن من الله تعالى كما في قوله ﷻ: (يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ)[2] ، فهو للكافرين والمفسدين في الأرض يوم نقمة وسطوة ، بعد ان وعدهم الله به ، وهو يوم استخدم في أغلب الآيات للوعيد ، ولمنع الإنسان من العصيان ، وعليه أمر الله تعالى نبيه الكريم ﷺ وجميع المسلمين ، بمقاتلة من لا يؤمن باليوم الآخر ،مصداقاً لقوله ﷻ (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ)[3] .

هذا وان الانسان يعيش ثلاثة عوالم لا تتشابه مع بعضها رغم أرتباطها الوثيق ببعضها ، فالعالم الأول ، هو الحياة الدنيا ، حياة اللهو واللعب ، وهي أقصر عالم من الناحية الزمنية ، وهي حياة جمعية ، فهي لا تتجاوز القرن أو القرن والنصف في أكبر تقدير ، اذا هي حياة فانية ، والحياة الثانية ، هي حياة ما بعد الموت ، وتسمى حياة البرزخ ، وهي حياة أحادية ، فهم في القبور يجازون بالثواب والعقاب ، وفي هذه الحياة تكتمل أعمال الفرد ، فيدخر ما عمل من الفعل ليوم الفصل يوم القيامة ، والبرزخ كالنزل المعجل المتهيئ للقاء والحكم ، أما ان يكون جنة ، أو يكون ناراً ؛اذا هو يوم فيه حساباً ليس تاماً ولا حكماً فصلاً ، ولا جزاء قاطعاً ، وكل هذه الأحكام تؤجل لليوم الآخر ،ولهذا يطلب الانسان من الله جل وعلا ان يعيده حتى يعمل صالحاً مؤكداً بقوله ﷻ :(حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً)[4]

---

[1] الطبري ، تفسير الطبري ، ج١٢ ،، ص١٤٩ ؛ الشيخ الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص٧٤ ؛ الطوسي ، البيان ، ج١٠ ، ص٢١٦ ؛ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٢ ، ص٤٧٥ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٦ ، ص٣٣٢ .

[2] سورة هود ، الآية ١٠٥ .

[3] سورة التوبة ، الآية ٢٩ .

[4] سورة المؤمنون ، الآية ١٠٠ .

وهو الحاجز الفاصل بين موت الإنسان الى أن يبعث يتنعم فيه البعض ، ويتألم آخر ، اما الحياة الثالثة ، فهي يوم تنفخ الأرواح في الأجساد للبعث في اليوم الآخر الذي لا ليل فيه[١].

الصلاة :

الصلاة في اللغة تعني الدعاء ، كما في قوله ﷻ :(وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ)[٢] ، السكن يعني الطمأنينة من خلال الدعاء ، وكذلك قول الشاعر :

عليك مثل الذي صليت فإغتمضي نوماً فإن لجنب المرء مضطجعا

وقد يتجوز بها في الرحمة ، وقيل ان أصلها في اللغة التعظيم ، وهي مأخوذة من الصلا ، وهو عرق في الظهر يفترق عند العجب ، لكون الصلاة في ركوع وسجود ، وفيها حركات للظهر[٣]، وقيل ان الصلاة هي الدعاء لمن يقوم بإطعام الناس بالمغفرة والبركة لقاء الكرم[٤] .

إلا ان ابن الجوزي[٥] يوضح تسميتها بثلاثة أقوال هي :

١-انها سميت بذلك لأنها رفع الصلا ، وهو مغرز الذنب من الفرس .

٢- انها مأخوذة من صليت العود إذ لينته ، والمصلي لين وخشوع .

٣- انها مبنية على السؤال والدعاء ، فهي أسم جنس .

أما في الشرع ، فيهي عبادة ذات أذكار ، وأفعال مخصوصة ، تحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم ، ووجوبها على الإجمال معلوم ، وهي من شروط الدين والإيمان ، فريضتها خمس مرات في اليوم والليلة ، ومن يكفر بها أو ينكرها جاحد ، ولم تجتمع هذه الصلوات الخمس إلا لنبينا محمد ﷺ، فرضها بعد إسراء النبي ﷺ الى بيت المقدس ، أي بعد النبوة بعشر سنين ، وثلاثة أشهر ، وهي في ليلة سبع وعشرين من رجب ، وهي رأس العبادات التي وردت

---

[١] مجاهد ، تفسير مجاهد ، ج٢ ، ص٤٣٤ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج١ ، ص٢٧٣ ؛ الطبرسي ، تفسير مجمع البيان ، ج٩ ، ص٣٤٤ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٩ ، ص٣٣١ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (برزخ) ؛ الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج١ ، ص٥ .

[٢] القرآن الكريم ، سورة التوبة ، الآية ١٠٣ .

[٣] ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، مادة (صلا) .

[٤] النووي ، ابو زكريا يحيى بن مري بن حسن الحزامي الحوراني الشافعي (ت٦٧٦هـ) ، صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٧هـ ،ج٩ ، ص٣٣٦ .

[٥] ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج١ ، ص١٧ .

في الشرع الاسلامي ، فرضها الله ركعتين ركعتين ، فأقرت صلاة المسافر (وهي القضاء) وزيد في صلاة الحضر[1] .

حكمة الصلاة : هي أفضل ما يتوسل بها المتوسلون الى الله جل ذكره ، الايمان بالله وبرسله ..وإقامة الصلاة فإنها الملة ، يقول رسول اللهﷺ :(جاءني جبرائيل فقال لي : يا أحمد الإسلام عشرة أسهم وقد خاب من لا سهم له فيها ، أولها : شهادة أن لا إله إلا الله وهي الكلمة ، والثانية الصلاة وهي الطهر[2] .

ويقول الامام علي بن ابي طالب عليه السلام :"فرض الله الايمان تطهيراً من الشرك ، والصلاة تنزيهاً من الكبر، لأن الإنسان يقوم بها قائماً ،والقيام مناف للكبر وطارداً له ، ثم يرفع يديه ، ليصير كمن يمد عنقه ليتوسطه السيف ، وهكذا في الركوع ، أما السجود فيضع الإنسان أشرف أعضائه على الأرض، وفي كل هذا يتواجد الخشوع والخضوع ، والإمتناع عن الكلام والحركة الموهمة "[3] .

علة الصلاة : إقرار في الربوبية لله عز وجل ، وخلع الأنداد ، والقيام بين يدي الجبار بالذل والمسكنة والخضوع والاعتراف ، والطلب للإقامة من سالف الذنوب ، ووضع الوجه على الأرض كل يوم خمس مرات إعظاماً لله عز وجل ،وان يكون ذاكراً غير ناس ولا بطر ، ويكون متذللا راغبا طالبا للريادة في الدين والدنيا ، بما فيه الإيجاب والمداومة على ذكر الله بالليل والنهار ، لئلا ينسى العبد سيده ومدبره وخالقه فيبطر ويطغى ، ويكون في ذكره لربه وقيامه بين يديه زاجراً له في المعاصي ، ومانعا من أنواع الفساد[4] .

شرائط الصلاة : الصلاة نوعان ، واجبة ومستحقة ، شرائطها ، العقل ، والطهارة ، والصحة ، والبلوغ ، وأركانها ، النية ، كونها من أعمال القلب ، وتكبير الإحرام ، وتعني الخلوص والإرادة بعمل القلب لله ، والقراءة ، والقيام ، والركوع والسجود ويعنيان التذلل لله ، والتشهد ، والتسليم ،

---

[1] مالك ، الموطأ ، ج١ ، ص١٤٦ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٢ ، ص٥٥ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج١ ، ص٤٧٨ ؛ ابو داود ، السنن ، ج٢ ، ص١١٩٨ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج٧ ، ص١٢٤ .

[2] ابن ابي شيبة الكوفي ،عبد الله بن محمد بن ابي شيبة ابراهيم بن عثمان العبسي (ت٢٣٥هـ) ، مصنف ابن ابي شيبة ، تحقيق سعيد اللحام ، دار الفكر ، بيروت١٤٠٩هـ ، ج٤ ، ص٦٠٠ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج١١ ، ص٢٧٣ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٢ ، ص٢٣ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج١ ، ص٣٧ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج١ ، ص٢٤٥ .

[3] ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٩ ، ص٨٦ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٧٩ ، ص٢٠٩ .

[4] ابن حزم، ابو محمد علب بن احمد بن سعيد الاندلسي (٤٥٦هـ) ، الأحكام في أصول الأحكام ، تحقيق احمد شاكر ، مطبعة العاصمة ، القاهرة ١٣٤٥هـ ، ج٧ ، ص٩٨٦ .

وهي أهم الدعائم للإسلام ،وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول : " أول ما يحاسب به العبد الصلاة ، فان قبلت قبل ما سواها ، وان ردت رد ما سواها"[1] ٠

وخاتمة القول يتأكد لنا ان الإيمان بالله وتوحيده والإقرار بالنبوة ، واليوم الآخر ، والصلاة ، كلها تشكل عقيدة التوحيد وكمال شخصية الفرد، والتي أكدها وحارب عليها النبي الكريم ﷺ، وغرسها بشكل قوي في نفوس الصحابة ، ليكونوا طلائع التبشير بهذا الدين العظيم ، وليملأ الآفاق نوره ٠

التفكير الإجتماعي

كانت النزعة الاجتماعية في عصر ما قبل الرسالة ، وكما مر في الفصل الأول ، تميل الى ضعف التضامن الاجتماعي ، واشتداد النزعة الفردية ، وكان وما زال التنظيم القبلي قوياً نوعاً ما ، وروابط القربى لم تكن بمثل الروابط الاقتصادية ، التي كانت تميل وتشجع النزعة الفردية ، ويدل على هذه الفردية نشوء الاهتمام بجمع الأموال ، وفي السنين القريبة من الرسالة اتسعت الهوة بين الفقراء والأغنياء ، وكان أول هدف من أهداف النبي الكريم ﷺ هو القيام بإصلاحات حتى لو لم تكن جديدة أو هي إقتباس من أفكار وعادات وقيم ومثل قديمة ، لكنه

---

[1] ابن ماجة ، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥ هـ) ، سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ١٩٥٤م ، ج١ ، ص ٢٥ ؛ الشيخ الكليني ، الكافي ، ج٣ ، ص٢٦٨ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٧ ، ص٢٦٧ ٠

ﷺ وضعها في إطارها الجديد المبني على القيم والمثل الإنسانية ، فعملﷺ أولاً على معالجة هذا البون الشاسع بين الطبقتين ، فدعى الى الوحدة بين المسلمين ، وجعل الرابطة الرئيسة بين المسلمين هي رابطة العقيدة (الدين) ،بدلاً من الروابط التجارية والقربى والدم ، وكان لهذه الوحدة نتائج وفوائد على الصعيدين الاجتماعي ، حيث ألزم الاسلام تعويض الفارق الطبقي بين الأغنياء والفقراء بالتكافل الإجتماعي، مصداقاً لقوله ﷻ (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)[١] ، ولم تكن هذه المعالجة الا بداية لمعالجة الوضع الاجتماعي ، وجعل من العامل الاقتصادي عامل توحد وليس عامل تفرقة.

أما رابطة العصبية القبلية والقرابة فهي محمودة وليست مذمومة ، لكنها تذم اذا استخدمت لغرض سلبي بأي شكل، ويوحي انها في بداية الدعوة لم تكن محمودة ، ومصداق هذا الرأي في السور المكية قوله ﷻ: (يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ)[٢] ، وقوله ﷻ (وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى)[٣] ، ونجد ان هذه الرابطة استخدمت بشكل أمثل في العهد المدني من حيث الاعتماد على مساعدة الأقرباء في بناء الدولة الاسلامية، وأكدتها السور المدنية مثل قولهﷻ: (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ)[٤] ، والمقصود هنا أقرباء الرسولﷺ من قريش عامة بعد معركة أحد[٥] .

أما ما يختص بمنظومة القيم فلم يعد المثل الأعلى ، المروءة والمواظبة على الثأر ، والشجاعة في غزو الأهل ، وقتل الأنثى ..الخ ،فلم تعد في العهد النبوي كما كانت قبله ،اذ كانت تهدف الى الشرف والرفعة والسيطرة ،والتي تعتمد في الجزاء على الرأي العام الذي تتبع منه ، فأصبح لجزاء هذه المنظومة والرسولﷺ بين ظهرانيهم مفهوما جديداً هو عبارة عن جزاء أو عقاب الآخرة فمثلاً سيعاقب البخلاء عقاباً قاسياً أبدياً ، وأصبحت المثل العليا مرتبطة بالأوامر الإلهية ، فهو جزاء آخر يقوي الإيمان بالحساب ، وان قيمة الفرد تعتمد على قيمة

---

[١] سورة المعارج ، الآية ٢٤-٢٥ .

[٢] سورة الانفطار ، الآية ١٩ .

[٣] سورة فاطر ، الآية ١٨ .

[٤] سورة آل عمران ، الآية ١٧٢ .

[٥] مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، ج٧ ، ص١٢٩ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٣ ، ص٢٩ ؛ البيهقي ، سنن البيهقي ، ج٦ ، ص٢٦٨ ؛ الطبرسي ، تفسير جامع البيان ، ج٢ ، ص٤٤٦ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج٧ ، ص٣٨٧

حياته الأخلاقية ،ولم يكن هذا خاصاً بقريش والعرب ، فمفهوم الاسلام لهذه المنظومة مرتبطة بالخضوع المطلق الى الله ٠

أوجد الرسول الكريمﷺ مبدأ المسؤولية الجماعية في حالات الأمن الاجتماعي والدفاع عن الأمة للامة (ليس على أساس أنصر أخاك ظالما أو مظلوماً) بحمية الجاهلية المبنية على عدم التثبت ، بل على أساس التكافل الإجتماعي ، وبهذا يقول الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

ودليلنا على هذا الفهم ، ان النبي الكريم ﷺ دفع الدية عن عمرو بن أمية الضمري ، عندما قتل رجلين من بني عامر بن صعصعة،عند عودته من بئر معونة، وهما ليسا بمسلمين ، وكانا قد آمنهما رسول الله ﷺ [1] ٠

أما في مجال الثأر ، ومفهوم القبيلة في حالات الصراع والقتل ، فقد وضع الرسول ﷺمفهوماً جديداً في تحديد أمور الثأر ، وعمل بالقصاص ، وفق مبدأ قولهﷻ : (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)[2] ، بل ذهب الى أبعد من هذا بقوله ﷺ للمغيرة بن شعبة (الإسلام يجب ما قبله) وكان المغيرة قد قتل ثلاثة عشر رجلاً قبل إسلامه بقليل[3] ، وطبق هذا المبدأ بنفسه ، فقال ﷺ بعد فتح مكة:" كل دم ومال تحت قدمي إلا سدانة الكعبة وسقاية الحجيج " [4] ، أراد الرسول ﷺ بهذه الإجراءات القول ، بأن الإسلام ليس تحالف قبائل وبطون ، بل هو وحدة جيدة ، وان الإسلام قطع كل الروابط بهذا الخصوص مع الماضي ٠

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٥٣ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٤٥ ، ص٤٢١ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٣٣ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٤٥ ٠

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ٢١٤ ؛ القاضي عياض ، الشفا ، ج٢ ، ص٢٦٢ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص١١٦ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص٢٥ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج١١ ، ص٥٠٦ ٠

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٨٨ ؛ مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، ج٤ ، ص٤١ ؛ ابو حنيفة الدينوري ، أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ) ، الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ١٩٦٠ م ، ص٢١٩ ؛ الشيخ الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص٢٤١ ؛ الشيخ الصدوق ، معاني الأخبار،ص٢٠٧ ٠

أما الغزو والقتل والجرائم ، فليس لها وجود في دولة الإسلام الأولى ، وعلاج مثل هذا ان وجدت بعض حالات البغي ، فهو راجع للأمة بأجمعها ، معززاَ ذلك بقوله ﷺ (ان المؤمنين المتقين على من بغي منهم ، وابتغى أو ابتغى دسيعة (دسيسة) ظلم ، أو أثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جميعاً ، ولو كان ولد أحدهم)[1] .

هذه الأفعال والإجراءات أصبحت جميعها بحكم التشريع ، تهدف الى الحفاظ على الأمة ، وإستتباب الأمن ، فلا صراعات ، ولا أيام ، ولا غزو للأهل ، بسبب الثأر ، أو السلب أو السبي ، ولما كان النبي ﷺ لا يملك سلطة تنفيذية (شَرطة) ، فقد أوكل تنفيذ العقوبة بالقوة لمعاقبة المجرمين الى أقرب الناس للضحية ، وهذا يهدف بالتأكيد الى منع تراكم الحقد وتوسيع دائرته .

ثم أعتمد القانون الإلهي في مجال العقوبة ، على انها لا تتجاوز الخطأ ، الذي تعاقب عليه مصداقاً لقوله ﷻ : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[2] بل أوجد مبررات لتقليل العقوبة ، وجعلها أقل من الخطأ ، ولعله وصل الى أكثر من ذلك فقد إعتمد الصفح والغفران والعفو عند المقدرة ، هنا يتضح ان هذه المثل الإسلامية العليا ، وقفت مقابل المثل الجاهلية العليا ، على أنها لا تتشابه معها في البعد الإجتماعي .

ثم أعتمد المصطفى ﷺ مبدأ المساواة بين جميع أعضاء الأمة ، وهذا المبدأ كان مفقوداً بشكل كامل قبل الإسلام ، وقد سار على هذا المبدأ المسلمون الأوائل ، وأصدق دليل على هذا ، حادثة الملك الغساني جبلة بن الأيهم ،حينما لطم وجه رجل من قبيلة مزينة ، وكان جبلة ينتظر عقوبة لهذا الرجل ، على ما سببه من التعثر بعباءة جبلة ، إلا ان الخليفة عمر ابن الخطاب ﷺ طلب من المزني الرد بالقصاص منه ولطم وجهه ، ولما علم بالقصاص ، طلب فرصة لتنفيذ القصاص ثم هرب على أثرها الى بلاد الشام وارتد عن الإسلام، إلا انه ندم فيما بعد ،وفي ذلك يلوم نفسه قائلاً[3]:

تنصرت الأشراف من أجل لطمة   وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
كنفني منها لجاج ونخوة   وبعت لها العين الصحيحة بالعور

---

[1] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٤٩ ؛القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٦ ، ص٢٨ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢٦٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ج٣ ، ص٢٧٤ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٩ ، ص١٦٨ .

[2] سورة النحل ، الآية ١٢٦ .

[3] الطبرسي ، تفسير مجمع البيان ، ج٦ ، ص٧٨ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١ ، ص١٨١-١٨٢ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٩ ، ص٣٦٤-٣٦٥ .

فيا ليت أمي لم تلدني وليتني   رجعت الى القول الذي قاله عمر

وقال نبي الرحمة ﷺ (الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، والمرء كثير بأخيه ، ولا خير في صحبة من لم ير لك مثل الذي يرى لنفسه)[١] ، وهذا الحديث بيان صريح لحالة المساواة ، وما يجب ان يكون عليه المجتمع الاسلامي ٠

أما في أسوء عادة للعرب في الجاهلية ، والتي تتمثل بوأد البنات ، فهي وكما معروف عادة قديمة استخدمتها قبائل تميم وهذيل وبكر بن وائل وأسد وكندة ، هذه العادة لم تكن عند العرب فقط ، بل كانت عند غيرهم من الأمم[٢] ، وقد كان السبب الرئيس بالوأد سياسياً ، فقد عالجه النبي ﷺ في وحدة الأمة وتضامنها تأسيساً على قوله ﷻ (وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ)[٣]، ويروى في هذا الصدد إن أحد الصحابة وهو قيس بن عاصم بن سنان بن منقر المنقري التميمي ، قبل الاسلام وأد ثمانية من بناته ، فجاء النبي ﷺ وطلب التوبة ، وأمره بالفداء ، وان كبيرة بنت سفيان الخزاعية ، وهي امرأة ثرية وأدت أربع بنات لها ، وأعتقت عنهن أربع رقاب[٤] والسبب الآخر فهو سبب اقتصادي ، إذ أن الفقر المدقع الذي كانت تعيشه بعض الأسر ، يلزمها قتل أبنائها ، كي لا يضطر الى بيعه بسبب الَدين الذي يعجز سداده ،مصداقاً لقوله ﷻ (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ)[٥] وقوله ﷻ (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً)[٦] ، وهذه إشارة واضحة الى ان الوأد والقتل ذنب كبير بل إنه عار ، وان الآيتين تشيران بوضوح الى ان الله سيرزقكم وسيرزق هؤلاء الأولاد والبنات ، أي انه يوعدهم بمستقبل إقتصادي على يد نبيه الكريم

---

[١] ابن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج١ ، ص١٠ ؛ الشيخ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٤ ، ص٣٧٩ ؛ السرخسي ، المبسوط ، ج٥ ، ص٣٣ ؛ ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ) ، الموضوعات ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ١٣٨٦ ، ج٢ ، ص٨٠ ٠

[٢] وات ، مونتوغومري ، محمد في المدينة ، ترجمة شعبان بركات ، المطبعة العصرية، بيروت ١٩٥٢م، ص٤١٢

[٣] سورة التكوير ، الآيتين ٨- ٩ ٠

[٤] الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢٠ ، ص٩١ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج١٨ ، ص٣٣٦ ؛ ابن حزم ، المحلى ، ج١٠ ، ص٥١٥ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج١٠ ، ص٢٨٢ ؛ الطبرسي ، تفسير مجمع البيان ، ج٢ ، ص١٥٨ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص٢٧١ ٠

[٥] سورة الأنعام ، الآية ١٥١ ٠

[٦] سورة الإسراء ، الآية ٣١ ٠

ﷺ، وكان لهذه العادة السيئة تأثير كبير في قلب النبي ﷺ ، فلم نقف على إشارات دعا فيها النبي ﷺ على الآخرين، إلا في هذه الحالة ، إذ نراه يدعو على قبيلة مضر ورعل وذكوان كونهم يؤدون بناتهم ويقتلون أولادهم خشية إملاق ، فيقول ﷺ:" اللهم أشدد وطأتك على مضر وأجعل عليهم سنين كسني يوسف[١] ، فأجدبوا سبع سنين"٠

أما في مجال العائلة والأسرة ففي عهود بعيدة قبل الإسلام كان النظام الإجتماعي يميل لصالح المرأة ، فنجد ان العديد من القبائل والأشخاص كانوا يسمون بأسماء أمهاتهم ، فمن القبائل(بنو باهلة ، وبنو سلامة ، وبنو عقدة ، وبنو خندف ، وبنو العدوية ، وبنو عذرة ، وبنو زهرة ، وبنو حديلة) ، ومن الرجال المعروفين في التاريخ (ابن ماء السماء ، وأبناء سارة ، وابن البيضاء ، وأولاد العفراء ، وأولاد الرباب ٠٠)[٢] ولهذه التسمية عدة أسباب لعل ما يعنينا منها ، ان قسطاً من الأبناء يسمون بأسماء أمهاتهم لكون الأم لها أكثر من زوج بسبب (زواج المعاشرة والملاعنة والأماء ٠٠) ، وأصبح من يرث المال والسيطرة والقوامة الأم أو الخال[٣]،أما في العهد الرسالي أصبح النظام الإجتماعي نظاماً أبوياً مطلقاً ، مع الحفاظ الكامل على كيان المرأة وحقوقها وكرامتها ، فأصبح الولد أ والبنت يسمى بإسم أبيه ، والرجل هو صاحب القوامة ، وحملت العوائل والقبائل والبطون أسماء الرجال ، ولعل هذا يعزز النزعة الفردية من حيث الملكية ، واصبح الفرد يمتلك للإستعمال الشخصي ،كون حقيقة الملك أصلاً لله والأمة ، وهذا مفهوم عقيدي سامي ، والفرد يدير الأعمال للمصلحة العامة المشتركة ، ومن هذا أصبح إهتمام الرجل بأولاده كي يرثوا ما يملك من ثروة ، وهذا يدعوه ان يهتم بهم من الناحية الجسدية ، إعتماداً على الأبوة الحقيقية من النطفة الى الممات ،فوضع الاسلام مبدأ العدة للمطلقة للطهارة وعدم إختلاط الأوراق ، للمرأة المطلقة ، واهتم الاسلام بطلاق الحامل ، وتحميل الأب المسؤولية الكاملة حتى الولادة ، ومن ثم الإنفاق على المطلقة من حيث الكسوة والمعاش٠

---

[١] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص١٢ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٢ ، ص١٥ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٤ ، ص١١٨ ؛ الطوسي ، البيان ، ج١٠ ، ص٧٩ ٠

[٢] السمعاني ، الأنساب ، ج٤ ، ص١٦٧ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خندف) ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٣ وج٥ ، ص٨٦ وص٧٨ ٠

[٣] الإمام مالك ، الموطأ ، ج٢ ، ص٥٢٢ ؛ الشافعي ، الأم ، ج٤ ، ص٨٦ ؛ ابو داود ، سنن ابو داود ، ج٣ ، ص١٢٥ ، الطوسي ، الخلاف ، ج٤ ، ص١٣ ؛ الحلي ، ابو جعفر محمد بن علي بن منصور ابن إدريس (ت٥٩٨هـ) ، كتاب السرائر ، دار النشر الإسلامي ، قم ١١٠ هـ ، ج٢ ، ص٥٢٥ ٠

أما الزواج فلم يكن الرجل أو المرأة ملزمان بعدد محدد من الزيجات ، إذ ترى ان العديد من الصحابة أسلموا ولهم أكثر من أربع زوجات ، فيروى ان غيلان بن سلمة ، أسلم وله عشر زوجات ، وعروة بن مسعود بن متعب الثقفي ، أسلم وله تسع زوجات ، وقيس بن الحارث ، أسلم وله ثمان زوجات ، ونوفل بن معاوية بن عروة بن عمرو الدؤلي ، أسلم وله خمس زوجات ، بعضهن أخوات ، فأقرهم جميعاً رسول اللهﷺ على أربع ويسرحوا الباقيات وفقا للشرع[1] .

ولما جاء الاسلام قيد الزواج بأربعة ، وفق قانون ونظام وشرائط ، منها الإمكانية بكل أشكالها ، والعدل بين الزوجات ، وعدم الجور ، وخوفاً من الفقر، مصداقاً لقول ﷻ :(**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا**)[2] وهذا التقييد ليس من أجل التقييد فقط ،بل تماشياً مع ما ينتجه من آثار الإجتماعية ، وأعداد عائلات متماسكة ، تتفق وقوانين الاسلام ،ولو ان الاسلام كان بأمس الحاجة للفرد ، وشجع على الزواج والإنجاب ، بسبب الخسائر في الحرب فمثلاً كان عدد الشهداء من المسلمين بأحد واحداً وسبعين صحابياً ، وقد تركوا كثيراً من الأرامل ، مصداقاً لقول النبيﷺ : " تزوجوا الولود ، تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة "[3] ، وهنا الحديث يشير بوضوح لزواج المرأة الولود ، والمقصود الأرملة ، وإلا كيف عرف إنها ولود؟

أما في الطلاق ، فقد أعطى الاسلام الحق للطرفين حقه في إيقاعه ، وهذا فيه حفظ لكرامة الطرفين خصوصاً المرأة ، ولها أخذ الصداق ، فلا عضل هنا ، ولا يحق للزوج إعادة زواجها إذا طلقها ثلاث مرات ، إمتثالاً لقوله ﷻ:(**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**)[4] أقر بعدم عودتها إلا بزواجها من رجل آخر ،وهذا مصداق لقوله ﷻ : (**فَإِنْ**

---

[1] الشافعي ، الأم ، ج٤ ، ص٢٨١ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٢ ، ص١٩٢ ؛ الشيخ المفيد ، الآمالي ، ص٤٤ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٢ ، ص٤١٦ ؛ الطوسي ، الخلاف ، ج٤ ، ص٢٩٤ ؛ السرخسي ، المبسوط ، ج٥ ، ص٥٤ .

[2] سورة النساء ، الآية ٣ .

[3] النسائي ، سنن النسائي ، ج٦ ، ص٦٦ ؛ الشيخ الكليني ، الكافي ، ج٢ ، ص٢٩٧ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٧ ، ص٨١ ؛السرخسي ، المبسوط ، ج٤ ، ص١٩٣ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٤ ، ص٧٣ ؛ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٧٩ .

[4] سورة البقرة ، الآية ٢٢٩ .

طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ)[١] وهي عقوبة إجتماعية للحد من الطلاق ، ومنع حالات التهور والإستخفاف برابطة الزوجية المقدسة في الشرع ٠

وهناك إصلاحات إجتماعية أخرى منها في مجال الرق ، فقد أهتم الاسلام بالرق ، وجعل عتق الرقيق جزءاً من العبادات والكفارات ، على الرغم من انه لم يحرم الرق أو يمنعه بشكل قاطع ، بل حاول التخفيف منه ،ذلك كونه في الجاهلية كان أمراً شائعاً بسبب الحروب والغارات المستمرة بين القبائل العربية ، وكانت نسبة النساء والأطفال لهم النصيب الأكبر في عملية الرق ، وكانوا يباعون في أسواق النخاسة ، وحتى في أسواق العرب ، فيروى ان الصحابي الكبير زيد بن حارثة بيع في سوق عكاظ بأربعمائة درهم[٢] ، وكان من بين ستة وثمانين مقاتلاً في بدر عشرة طلقاء من الرق ، سبعة من العرب ، وفارسي ، وحبشيان ،هم (أنسة ، وابو كبشة ، وصالح شقران ، وسالم ، وسعد بن خولي،وخباب، وصهيب ، وعامر بن فهيرة ، وبلال ،ومهجع) وأن أغلب الرقيق كانوا عرباً وليسوا أغواباً ،وكان هؤلاء يفضلون البقاء عند أسيادهم من العودة الى ذويهم ، بسبب المعاملة الحسنة لهم٠

والاسلام جعل لهؤلاء مكانة إجتماعية ،فقبل منهم الاسلام أولاً ، ثم أعتق بعضهم ، إذْ عدذلك دليلاً على التقى ، وقد أمر الاسلام بعتق العبد المؤمن ، إذا قتل المسلم خطأً ، وقد يفتدي العبد نفسه بالمال للحصول على حريته ،إمتثالاً لقوله ﷻ (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ)[٣] ، إلا انه ظل يحتل مكانة بين طبقات المستضعفين ، وتبقى صفة العبودية شبه متلازمة لهم ، على الرغم من إحتضان الاسلام لهم، وتبوئهم مناصب قيادية في الدولة العربية الاسلامية فيما بعد ٠

وهناك مسألتان حَسّن فيهما النبيﷺ من حالة العبيد في الجزيرة العربية ، فقد كان الرق متأصلاً في العادات الحربية للبلاد ، ولم توجد أموال لدفع الفدية ، مما يضطر السيد الى بيعهم في الاسواق ،فأصبح من المستحيل على المسلم ان يسترق مسلماً آخر ، وهذا نابع من مسؤول الأمة ، والآخر كان بفضل رسالة الاسلام من ان جميع المسلمين أخوة ، وهذه الأخوة ساعدت على تخفيف الرق وإزالته ، ولو ان الإختلاف في الحظوظ من طبيعة الأشياء ،

---

[١] سورة البقرة ، الآية ٢٣٠ ٠

[٢] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٤٠ ؛ الطبري ، المنتخب في ذيل المذيل ، ص٣ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج١٩ ، ص٣٤٦ ٠

[٣] سورة النساء ، الآية ٩٢ ٠

مصداقاً لقوله ﷻ :(ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى شَيءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَنَاً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ)[1] .

أما الخمرة التي كانت تعاطيها منتشراً بشكل كبير في الحجاز ، وكانت تورد لهم من الشام والعراق ، بل كانت تصنع في الطائف ، ولما كانت الخمرة تجعل من متعاطيها عنصراً غير فعالٍ في المجتمع ، ويؤدي الى التأثير السلبي في نواح الحياة الإجتماعية جميعها، فقد حرمها الإسلام بشكل قطعي و استجابة لقوله ﷻ :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) [2]، وقوله ﷻ : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا)[3] ، وقوله ﷻ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ)[4] ، ودلالة انتشار ظاهرة شرب الخمرة في مكة ، وعموم الحجاز ، ان الله جل وعلا أكدها في أكثر من آية وربطها بالميسر والأزلام ، كونها مرتبطة بالديانة القديمة ، ثم انها مؤشر سلبي على البيئة الاجتماعية للفرد والأمة ، ويروى ان النبي ﷺ لما فتح مكة أُهديت إليه راوية من خمر ، فقال رسول الله ﷺ :" أما علمت ان الله تعالى حرمها ؟ ثم أمر بتفريغ الراوية في البطحاء"[5] ، هذه إشارات للقيم الإجتماعية التي طُبع بها المجتمع الإسلامي ، بعد ان كانت متجهة بشكل سلبي ، فكان لها أهمية في إصلاح البناء الإجتماعي .

الفكر الاقتصادي :

منذ بداية تأسيس الدولة الاسلامية في العهد النبوي ، وضع النبي ﷺ منهاجه الدستوري من خلال المساواة في الحقوق والعدل بين الناس في عمارة الدنيا واحسان القيام على مرافقها ، فالشريعة الاسلامية جاءت بأحكام وقواعد في مختلف أمور الحياة لمعالجة الجانب الإقتصادي ، والرسول الكريم ﷺعلم ان المجتمع يحتاج الى قوانين لتنظيم أموره الإقتصادية والسياسية ،

---

[1] سورة النحل ، الآية ٧٥ .

[2] سورة النساء ، الآية ٤٣ .

[3] سورة البقرة ، الآية ٢١٩ .

[4] سورة المائدة ، الآيتان ٩٠-٩١ .

[5] الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٨٦٤ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص ٣٤٤ ؛ احمد بن حنبل ، مسند احمد بن حنبل ، ج١ ، ص٣٢٣ ؛ البيهقي ، سنن البيهقي ، ج٦ ، ص١١ .

فكان القرآن الكريم ينزل مبيناً الطريق الصحيح للإنسان في الحياة ، فنرى ان الآيات القرآنية التي نزلت في المدينة أكثرها تبين الأحكام والقوانين الشرعية ، وفيها ما يتعلق بالأمور الإقتصادية ومعالجاتها ، كالتجارة ، والزراعة ، والبيع ، والشراء ، والعطايا، والخمس ، والزكاة ، والغنائم ، والميراث ، والربا ، والرهن ، والإجارة ، والحقوق ، والحج كونها على علاقة بالناحية الإقتصادية ، مصداقا لقولهﷻ : (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ)[1] .

ويمكن تلخيص الجانب الاقتصادي بالفروع الاقتصادية الآتية والتي عليها بني الاقتصاد الاسلامي ، نوردها لإعمام الفائدة والإشارة ، وليس لغرض الشرح والبيان والتفصيل ، كون أغلب فقراته سترد في ثنايا الفصول اللاحقة وهي:

١-الاقتصاد السياسي والاجتماعي : والمراد به حالة الحركة والتغيير في ظروف المجتمع الاقتصادية ، ويشتمل على أموال المسلمين ، والزكاة ، والخمس .
٢- الاقتصاد الشعبي (الخاص) :ويشتمل على الوقف ، والحبس ، والصدقة ، والوصية ،والإرث ، والنذر ، والكفارة ،والحج .
٣- الاقتصاد الزراعي : ويشتمل على الشركة ، والقسمة ، والشفعة ، والمزارعة ، والشركة في الانتاج الزراعي ، والمساقاة ، والإجارة ، والخلو ، والاستخدام ، والجعالة .
٤-الاقتصاد التجاري : ويشتمل على التجارة ، والصلح ، والمضاربة ، والربا ، والوديعة ، والحوالة ، والضمان .

وفي مجمل هذه الفروع هناك نوعان من الملكية ، ملكية الأمة (الدولة) ، وملكية الفرد ، إذْ أقر الاسلام الملكية الفردية ، وجعل القوانين والنظم الضابطة لحمايتها ، وحدد مصادر الحصول عليها ، وأكد عدم تجاوز هذه القوانين والنظم ، فمنع مثلاُ تكدس المال بصورة فاحشة لدى الأفراد بخصوصهم ، وعد هذا الأمر من الأصول ، فلا يجوز تجاوز هذا الأصل ،وقد حرم الله تعالى تكدس الثروة دون اخراج حقوق الله تعالى بعبارة واضحة وموجزه بقوله ﷻ: (كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ)[2] ، فحرم الربا والإحتكار ، وأكل مال المسلم ، كون الثراء الفاحش لا يتأتى إلا من خلال هذه المفاهيم.

---

[1] سورة الحج ، الآيتان ٢٧و٢٨ .
[2] سورة الحشر ، الآية ٧ .

ولا يخفى على من يدرس تاريخ العرب قبل الاسلام ، ان الفقر في الحجاز كان واضحاً في شرائح كبيرة جداً من المجتمع ، اذا لم نقل في الغالبية منهم ، وكما أوردنا في الفصل السابق، ولعل العلة في هذا هو عدم إهتمام الفرد الحجازي بالانتاج من خلال الزراعة والصناعة والغرس وحفر الآبار وإبتغاء فضل الله تعالى في استخراج المعادن الكامنة في باطن الأرض ، لذلك نراهم عاشوا في غاية الفقر وخشونة العيش ، سيما إذا منعت السماء قطرها ، والأرض نباتها، ومن أجل ذلك قتلوا الأولاد من بنين وبنات، وأستحلوا الحرمات ٠

فعكف رسول الله ﷺ بنظره الثاقب وفكرته الإلهية العالية على حل هذه المشكلات ، من خلال حث المسلمين على الإقبال على العمل والتخلص من الفقر ، وتربيتهم على العمل ، وعمارة الأرض ، وتعلم الصنائع والحرف ٠

ولما كان الوضع الاقتصادي في الحجاز لا يتقبل فكرة وجود نظام اقتصادي بالمفهوم الشائع ، بسبب مشاعية الملكية ، وعدم وجود قاعدة مادية (نقدية) ، وانتشار الربا ، وعدم وجود قاعدة إنتاجية ، وعدم وجود خبرة اقتصادية ، بل ان العربي يأنف من العمل ، والعمل عندهم ليس له قيمة [١] ، وان بعض الأعمال لا زالت معيبة الى يومنا هذا ، كلها جعلت من الحجاز مركزاً لثروات بيد طبقات متفاوتة مصدرها الأكبر التجارة والغزو ، كل هذا وغيره دعا النبي ﷺ الى تأسيس فكر اقتصادي جديد يبدأ من نقطة الصفر اذا جاز لنا التعبير ، وهذا يعني انه ابتدأ بالحث والتوجيه لأبناء المجتمع الجديد ، فبنى رؤياه الاقتصادية وفق الآتي :

١- الحث على العمل : فقد حث رسول الله ﷺ المسلمين على العمل ، تماشياً مع إرادة الله تعالى ، فقد تناولت الآيات القرآنية مفهوم العمل طبيعته وأهدافه وجعلته بمفهوم إنساني رفيع ، ودعوى الله بخصوص العمل تنصب بالإجمال على تجديد الإنسان ذاته ونفسه ، بحيث يفتح آفاقاً لثراء الشخصية الإنسانية بالقيم التي تجعل الحياة الواقعية للبشر أكثر سمواً ورقيا ، ليبتعد بالإنسان الجديد عن معاناته السابقة ، فأشار الله ﷻ الى ان الأرض وما عليها خلقت للعمل، ومكنه من السيطرة عليها ، مصداقاً لقوله ﷻ :(**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**)[٢] ، فذكر المفسرون ان الأرض سهلها الله للإنسان ، وجعلها منقادة له ، وأذن له في باستغلالها ، وجعل من الإباحة أصلاً في الإستغلال[٣] ٠

---

[١] ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج١ ، ص١٤٩ ٠
[٢] سورة الملك ، الآية ١٥ ٠
[٣] الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢٩ ، ص٩ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج١٠ ، ص٦٥ ٠

أما الرسول الكريم ﷺ فوضع للعمل قدسية الى جانب فروض العبادة ، فساواها مع الشهادة ، بل عد قسطاً من الذنوب لا تغفر الا بالعمل ، مصداقاً لقولهﷺ :" من سعى على نفسه ليعزها ويغنيها فهو شهيد ، ومن سعى على والديه ليعفهما فهو مجاهد ،ومن سعى على عياله فهو في سبيل الله ،ومن سعى مكاثراً فهو في سبيل الله "[١] ، وقوله ﷺ: " وما أكل احد طعاماً قط خيرا من ان يأكل من عمل يديه، وان نبي الله داود ﷺ كان يأكل من عمل يديه"[٢] ، وقوله ﷺ: " ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا طلب المعيشة"[٣] ٠

والنبي الكريم ﷺ أهتم بتعليم المسلمين الحرف والصناعة واستخراج المعادن كي يتخلصوا من الفقر ، فيروى انه ﷺ جعل للمسلمين سوقاً بالمدينة فأغناهم عن سوق اليهود ، وأمر المسلمين بتعلم صناعة السلاح من أسارى خيبر ، ويروى انه أرسل عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة الى جرش ليتعلما صناعة المنجنيق والدبابة والضبور (*) ، واستخدم هذه

الأسلحة في حصاره الطائف ومقاتلة ثقيف بعد عودته من حنين[٤] ٠

---

[١] الطبراني ، ابو القاسم سليمان بن احمد (ت٣٦٠هـ) ، المعجم الأوسط ، تحقيق ابراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، جدة ١٩٩٥م ،ج٤ ، ص٣٨٥ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٩ ، ص٢٥ ؛ المتقي الهندي ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ) ، كنز العمال ، تحقيق صفوة السقا وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٥م ، ج٤ ، ص١٢ ٠

[٢] همام بن منبه ، ابو عقبة همام بن منبه بن كامل بن شيخ اليماني الصنعاني (ت١٣١هـ) ، صحيفة همام بن منبه ، تحقيق رفعت فوزي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٥م ، ص٢٨ ؛ احمد بن حنبل ، مسند احمد بن حنبل ، ج٤ ، ص١٣٢ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٧ ، ص٤٣٩ ٠

[٣] السرخسي ، المبسوط ، ج٣٠ ، ص٢٥٨ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٤ ، ص٦٢ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج٦ ، ص٤٧١ ٠

(*) الضبور : هو جلد تغشى خشباً فيه رجال ، تقرب الى الحصون لنقبها وقتل أهلها ؛ (الفراهيدي ، كتاب العين ، مادة (ضبر) ٠

[٤] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٤ ، ص٩١٧ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٣١٢ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٥٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٢٩٥ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٤٧ ٠

ولا تعنينا الاستطالة بذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، كون المراد هنا إيضاح ان الحث على العمل تعني في الرؤيا الربانية والنبوية هو بيان رسالة العمل في الحياة ، بسبب ان العمل هو المصدر الرئيس والوحيد لخلق المنافع الاجتماعية.

٢- المساواة في الحقوق (العطاء) : المساواة في نظر الاسلام نهج وسلوك ، وخلق اسلامي وإنساني رفيع ، تنطق من خلاله ، وعلى أساسه مثل وقيم في جهات حياتية شتى ،لذلك نجد النبي الكريم ﷺ يشارك أصحابه في كل الأمور الحياتية ، المراد من هذه المشاركة هو إزالة الفوارق بين الرعية ، الا بما يبذله من جهد واتقان عمل ، والتي على أساسها تكون المساواة في المجال الاقتصادي .

والمساواة قاعدة بين الناس ، وهي فطرية مهما إختلفت الأجناس ،مصداقاً لقوله ﷺ: (الناس مستوون كأسنان المشط)[1]، وتأسيساً على هذا الفهم ومنذ الأيام الأولى لبناء الدولة وضع الرسول الكريم ﷺ منهاجه الدستوري من خلال المساواة في الحقوق والعدل بين الناس ، وصولاً لمنهاجه الإقتصادي في المساواة في العطاء ، وقانون الخمس والزكاة وحلية التجارة وحرمة الربا .

فنرى ان الرسول الكريم ﷺ ولغرض رفع القدرة الإقتصادية للمسلمين ،قام بتوزيع الخمس من الغنائم عليهم ، وعلى سبيل المثال وزع أول خمس من غنائم نخلة مع غنائم بدر ، وكان التوزيع بالتساوي ، وهنا لا يعني دفع مبلغ متساوٍ للجميع ، بل ساوى بين المتناظرين ، فلم يكن العطاء للفارس كالراجل ، وليس الأمير كباقي المقاتلين ، ودليل المساواة انه أعطى من تخلف عن بدر لأسباب قاهرة ،العطاء نفسه لثلاثة من المهاجرين ، هم عثمان بن عفان ﷺ وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن نفيل و وخمسة من الأنصار لأنهم كلفوا بالتجسس على قافلة قريش فأبطأوا عن بدر[2] ، ووزع ﷺ غنائم حنين على المسلمين وكان العطاء متساو بين أغلب الصحابة وكانت حصصهم خمسين من الإبل ، وأعطى قسطاً منهم أكثر من الآخرين بقدر الضعف ، وهم المؤلفة قلوبهم ، لغرض تعميق الإيمان في قلوبهم ، وبيان ان ما كانوا يحصلون عليه من السلب والنهب لا يتناسب مع هذا العطاء الكبير ، إذْ يروى ان صفوان بن أمية قال في هذا النوع من العطاء ، ان الرسول الكريم ﷺ أعطاني يوم حنين ، وانه كان من أبغض

---

[1] الإمام احمد ، احمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي (ت٢٤١هـ) ، العلل ومعرفة الرجال ، تحقيق وصي الله محمود عباس ، المكتب الاسلامي ، بيروت١٤٠٨هـ ،ج١ ، ص١٠ ؛ الشيخ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٤ ، ص٣٧٩ .

[2] الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص١٠٠ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص١١ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر و ج١ ، ص٢٠٥ .

الناس الي ، فما زال يعطيني حتى انه أصبح أحب الناس إلي[١] ، واتبع نفس الأسلوب عندما وزع غنائم خيبر ، حيث اقسم لجعفر بن ابي طالب عليه السلام وأصحابه الأشعريين أصحاب السفينة ،عند عودتهم من الحبشة ، ولم يشهدوا خيبر[٢].

وعلى العموم كانت الغنائم التي حصل عليها المسلمون قد وزعت بينهم لمواجهة المشاكل الإقتصادية الملحة .

٣- حث الصحابة جميعاً على جمع المال بالطريقة الشرعية ، وأنفاق ما أمكن في سبيل الله ، فنرى في دولته ﷺ أن العديد من الصحابة الكرام قد إغتنى، فهذا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه مات وترك الف بعير وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس ، وكانت تركتة لنسائه الأربعة أربعة وثمانين الف دينار لكل منهن[٣]، وعثمان بن عفان رضي الله عنه مات وترك ألف ألف درهم وخمسمائة ألف وخمسون ومائة ألف درهم ، وألف بعير ، وتصدق في جيش العسرة حمولة ألف بعير ، وقيل عشرة آلاف دينار[٤] وهذا حذيم بن حنيفة المالكي ، كان له ألف بعير وأربعون فرساً ومال كثير ، فأشار على النبي الكريم ﷺ ان يورثها ليتيم من المسلمين ، وأن يتصدق بها على الأيتام[٥]، وترك الزبير بن العوام رضي الله عنه وأحلاً وخمسين أو اثنين وخمسين ألف ألف درهم وخطط في مصر والإسكندرية والكوفة والبصرة ، وترك لكل من نسائه الأربعة ألف ألف درهم[٦] ، وترك سعد بن أبي وقاص يوم مات مائتين وخمسين ألف درهم ، وقصر في العقيق التي بناها حيث رفع سمكها ، ووسع فضائها ، وجعل أعلاها الشرفات[٧] .

---

[١] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٤٤٩، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص٥٧٦ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ص٣ ، ص٣٥٠ .

[٢] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٢٤٦ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٢٢٣ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ٢٨٧ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٤٠ .

[٣] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص١٣٤ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٣ ، ص٣٠٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٧ ، ص١٨٤ ٩٠ .

[٤] احمد بن حنبل ، مسند أحمد ، ج٤ ، ص٧٥؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص٣٠٢ ؛ ابن شبه النميري ، تاريخ المدينة ، ج١ ، ص١٥٢ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٢٣٥ .

[٥] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٧٢ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ،ج١٢ ، ص٢٠٥ .

[٦] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص١٠٩ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج١٨ ، ص٤٢٨ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٦ ، ص٦٦ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج٦ و ص١٦٥ .

[٧] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص١٠٥ ؛المسعودي ، مروج الذهب ، ج١ ، ص٤٣٤ .

رب سائل يسأل :ألا يعني هذا نوعاً من الرأسمالية ؟ فالجواب على هذا السؤال ليس من الصعوبة بمكان ، إذ أن ثرواتهم جاءت نتيجة لعمل شريف أو جهاد ، وان حقوق الله والمسلمين كانت تستخرج منها ، ثم أن أغلبها صرفت في سبيل الإسلام والمسلمين ، ثم أن هذا الثراء كان رداً على طغيان الرأسمالية القرشية قبل الإسلام ، التي سخرت للإستعباد والظلم والجور ٠

مراحل الدعوة الإسلامية

مرت الدعوة الاسلامية منذ ان بشر الله تعالى بها نبيه الكريم ﷺ بثلاث مراحل كانت بمجملها مخصصة لحماية الدعوة الاسلامية وهي :

١- **المرحلة الفردية** : وهي الفترة التي آمن بها في الدين الجديد أقرب الناس اليه منهم عائلته وصحابته ، ويجوز لنا ان نسميها (مرحلة انتقاء) ، منهم زوجته خديجة بنت خويلد ، وعلي بن ابي طالب ،وجعفر بن ابي طالب ، وزيد بن حارثة ، وابو بكر الصديق بن ابي قحافة ،وعامر بن فهيرة ، أخو أم المؤمنين عائشة لأمها، ومصعب بن عمير ،وعبد الله بن جحش

وأخويه ابو أحمد وعبيد الله ابناء أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ ،وعثمان بن عفان ، وسعد بن ابي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، والحمزة بن عبد المطلب ، وعبد الله بن الحارث و عثمان بن مظعون ، وسلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن ابي الأرقم المخزومي ، والزبير بن العوام ، مع بعض الموالي منهم عمار بن ياسر وعائلته وصهيب الرومي وبلال بن رباح وخباب بن الأرث (رضوان الله عليهم أجمعين)، وغيرهم من الرجال والنساء ،واستمر هذا العدد بالتزايد البطيء لمدة ثلاث سنوات ، ولو ان بعض المؤرخين يسمون هذه المرحلة (بالسرية) ، فمن حيث الواقع لا تتفق الرؤى والأحداث مع هذا المصطلح ، فيمكن ان نسمى به بالسرية اذا كان النبي الكريم ﷺ بعث لمجتمع معين ، أما انه بعث الى عموم الناس ، فلا وجوب للسرية ، والآيات كثيرة لا تؤيد هذا المصطلح منها قوله ﷻ : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)[1] ، فهي دعوة علنية صريحة ، وليس فيها شئ من السرية أو التلميح اليها ، وقوله ﷻ : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى)[2] ، وهذا خطاب للكافرين وليس للمسلمين ، لكون المسلمين لا يشكون بالرسالة وبشخصية النبي ﷺ ، فلا يتناسب هذا القول مع السرية ، ويعني بالنتيجة علنية وعمومية الخطاب ، وكان الرسولﷺ في هذه الفترة يعرض الدعوة بصورة طوعية ، دون أن يوجه الأنظار (عفوية)وكان الدخول في الاسلام تباعاً ٠

وقد دعت الضرورة الى العمل وفق هذا الأسلوب في تلك الحقبة ، من أجل الحفاظ على مستقبل الدعوة ، وان لا تتعرض الى عمل مسلح يقضي عليها في مهدها ، إذ لا بد من إيجاد مجموعة من المؤمنين من مختلف القبائل يحملون هذه العقيدة ويدافعون عليها ، كي لا تعطي مجالاً لقريش لتصفيتهم ٠

ثم أراد النبي ﷺ أن لا تهدر الطاقات ، وتذهب الجهود سدى ، وينتهي الأمر بتمزيق وتوزيع هذه المجموعة ، ثم ان هذه الفترة كانت لغرض الإعداد النفسي ، وتربية عقيدية وروحية لتلك المجموعة (الصفوة) المؤمنة بالله وبرسالة نبيه ﷺ ، تمكنهم من الصمود في وجه التحديات التي تنتظرهم ٠

ولما كان النبي ﷺ يقود عملية تغيير شاملة ، فلا بد له من إتاحة فرصة لتهيئة وإعداد القوى التي تستطيع انتحقق هدفاً كبيراً كهذا ، وتحافظ على الوجود بشكل فعال ومؤثر في المجتمع ٠

---

[1] سورة المدثر ، الآيات ١-٣ ٠

[2] سورة النجم ، الآيتان ١,٢ ٠

ولما صار عدد المسلمين ثلاثين ، صار المسلمون يخرجون الى الشعاب والجبال خارج مكة ، لأداء الفرائض ، وكانت قريش تترصدهم ، وهذا يؤكد عدم السرية ، إذْ حصلت بينهم صدامات ، فأريق أول دم في الاسلام من شخص مشرك يدعى عوف بن صبرة السلمي كان قد أساء الى النبي الكريم ﷺ ، فقام اليه طليب بن عمير بن وهب بن عبد القيس ، وهو ابن عمة النبيﷺ أروى بنت عبد المطلب ، فضربه بلحى جمل فشج رأسه[١]، هذه حوادث جزئية جعلت النبيﷺ ان يختار دار الأرقم بن ابي الأرقم المخزومي ، الواقعة في الصفا وأسمها (الخيزران)[٢] ليجعلها مركز دعوته ، والإبتعاد عن المشركين ،بدلاً من الشعاب وفي دار الأرقم وصل عدد المسلمين الى الأربعين بعد شهر من أول يوم لدخوله٠

ورب سائل يسأل لماذا دار الأرقم ، والأرقم في هذا الوقت شاب لا يتجاوز الثامنة عشرة من العمر ،ولم يكن سيداً كبيراً مطاعاً ، أو ذا نفوذ بأي شكل من الأشكال ، ولم يكن ذا مال أو جاه ؟

يمكن تعليل هذا الإختيار بالأسباب الآتية :

- ان بيت الأرقم يقع في الصفا وهو بعيد نسبياً عن الكعبة ، وهو على جبل ابي قبيس ، وبينه وبين المسجد الحرام وادي[٣]،وهذا ما يجعل المسلمين بعيدين عن الاحتكاك بعتاة المشركين٠
- لم يكن الأرقم شخصية معروفة ، تجذب إليها الأنظار ، وإنها تصلح للتمويه كي لا يضطر المسلمون الى وضع حراسة مشددة ، فيروى ان صهيب كان دائم الوقوف في باب الأرقم وكأنه حارس[٤]٠
- كان بيت الأرقم وسط قبيلته (مخزوم)، وهي قبيلة ممنوعة لأبنائها، وهذا من فوائد تخطيط سكن القبائل الذي أوجده قصي بن كلاب جد النبي ﷺ ٠

لقد استمرت الدعوة في دار الأرقم مدة ثلاث سنوات ، تعلم المسلمون فيها ، مبادئ الاسلام ، وروح العمل الجماعي ونزلت فيها سورة العصر[١]، والعمل المتكافئ ، ونقاء القلوب ، بل ان

---

[١] ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص٢٣٤ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٣٩١ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٣٧٥ ؛ ابن حجر الإصابة ، ج٣ ، ص٤٣٩ ٠

[٢] ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٣٧ ، ص٤٠٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص١٧٥ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص٢٣٠ ٠

[٣] ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (الصفا) ، ج٣ ، ص١١٩ ٠

[٤] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٢٢٧ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٣ ، ص٣٩٧ ؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،ج٤٣،ص٣٦٥ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤ ، ص٤٤ ٠

سورة الروم نزلت في دار الأرقم ، والتي فيها يقول ﷻ : (الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ)[2]، فما هي العلاقة بين نشر الدعوة وغلبة الروم من قبل فارس في هذا الظرف ، وانهم سيغلبون بعد بضع سنين ، هل يمكن ان نستنتج ان في هذه السورة تصوراً سياسياً مستقبلياً ، وتحديداً لمراكز القوى ؟ او انها رؤيا سياسية للعالم عموماً ، ويجب ان يعرف المسلمون ان هاتين الفئتين تحتلان كل العالم تقريباً ، ثم وفي دار الأرقم بالعام الثالث نزلت سورة هود وهي تحث بشكل دائم على الصبر والإطمئنان للمستقبل مصداقاً لقوله ﷻ: (وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) [3] وقوله ﷻ (وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)[4] .

٢- دعوة عشيرته الأقربين :

إذ كان النبي ﷺ مأموراً بدعوة عشيرته وأقاربه ذكوراً وإناثا ، امتثالا لقوله ﷻ : (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)[5]، وهنا الإنذار يعني الدعوة والتحذير ، وانه لا ينفعهم إلا الإيمان بالله وألا فالعاقبة ستكون وخيمة عليهم ، إذْ خاطبه الله بقوله ﷻ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[6]، فدعا رسول الله ﷺ عشيرته من على جبل المروة قائلاً : " يا بني هاشم ،ويا بني قصي ، ويا بني عبد مناف ، ويا بني فهر ، ويا بني عدي ، ويا بني محارب ، ويا بني الحارث ، ويا بني مخزوم ، ويا بني تيم ، ويا بني زهرة ، ويا بني عبد الدار ، ويا بني كعب[7] ، وقال : يا صباحاه ،فقالوا له مالك

---

[1] الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٢، ص٥١٢ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج٦ ، ص٢٦٦ ؛ ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج٨ ، ص٣٠٤ .

[2] سورة الروم ، الآيات ١-٣ .

[3] سورة هود ، الآية ١١٥ .

[4] سورة هود ، الآيات ١١٨ .

[5] سورة الشعراء ، الآية ٢١٤ .

[6] سورة التحريم ، الآية ٦ .

[7] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٧٤ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص٢١٨ ؛ ابن حبان ، الثقات،ج١،ص٥٤ ؛ ابن الجوزي،زاد المسير ، ج٦ ، ص٥٢ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٣١١ .

(*) المد : رطلان وربع ، أي بحدود كيلو غرام ؛ ابراهيم سليمان ، الأوزان والمقادير ، ص٧٠ .

(**) الغمر : هو أصغر الأقداح ، وبهذا الوصف يقول الشاعر المنتشر بن واهب الباهلي :

يكفيه حزة فلذ أن ألم بها   من الشواء ويروي شربه الغمر

ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غمر) .

؟ قال : أرأيتكم ان أخبرتكم ان العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدقونني ؟ قالوا بلا " ، فدعاهم للوليمة ، هنا يجب متابعة سرية الدعوة من علنيتها ،فالوقوف على الجبل ومناداة كل قريش تقريباً لا تتفق مع من يصف المرحلة بالسرية ، ثم أن من دعي استمر على شركه وناصب الاسلام العداء كابي جهل وأبي لهب وغيرهم .

وهنا سؤال يطرح نفسه هل كانت إمكانية الرسول ﷺ المادية آنذاك تسمح له إقامة مثل هذه الوليمة لكل هؤلاء ؟ ثم هل كانت دار عمه تسع مثل هذا العدد ؟

للجواب عن هذه الأسئلة نود بيان عدد من حضر وما قدم في الوليمة .فيروى ان من حضرها كان عددهم أربعين شخصاً وقيل سبعون ، لكن العدد الأول أقرب للصواب لإتفاق المؤرخين عليه ، وفيهم من ذوي رحم من النساء ، وهم من المبرزين في عشيرة الرسولﷺ ، فمن حيث المكان فالعدد ليس بكثير ،وأي بيت يتسع لمثل هذا العدد ، أما من ناحية الإمكانية المادية ، فيروى عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال : "جمعنا رسول الله ﷺ في بيت رجل منا ، فدعا بمد(*) ونصف من طعام ، وقدح يقال له الغمر(**) فيه لبن فأكلنا وشربنا وبقي الطعام والشراب كأنه لم يمس،وفينا من يأكل الجذعة ويشرب الفرق(***)" [(١)] ، الأمر الذي يعني ان المائدة كانت بأمر سماوي ، وبالنتيجة فهي لا تكلف من المال الكثير ، ومع هذا فأن النبي ﷺ كان يمتلك الكثير من المال ،ولم يكن فقيراً أبداً .

وفي رواية أخرى انه ﷺ دعا بني هاشم فقط[(٢)]، وهذه الرواية لم تصمد أمام الحدث ، اذا ما عرفنا أن بني هاشم معظمهم أسلم أو أيد الاسلام كابي طالب ولم يعترض غير ابي لهب وهو فرد واحد ، ثم انه ﷺ اذا أراد دعوه أهل بيته لا يصعد على جبل ويدعوهم بل يرسل لهم احد أبنائهم وهم كثر في الاسلام ، وقيل انه ﷺ دعا بني عبد المطلب ، واذا أختلف بمن دعا ، فالجميع متفق في صحة الواقعة .

فاجتمعت قريش في بيت عمه أبي طالب فأمر ﷺعلي بن ابي طالب ان يصنع لهم طعاماً من رجل شاة (ربع ذبيحة) ، وصاع من بر (حنطة) وعس من لبن(العس القدح الكبير)

(***)الفرق هو مكيال يستخدم في المدينة وزنه ستة عشر رطلاً ، يقول الشاعر عمرو بن الأهتم واصفاً ناقته :
مرت دوين حياض الماء فأنصرفت عنه وأعجلها أن تشرب الفرق
الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (فرق) .

(١) الإمام أحمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج١ ، ص١٥٩ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٧ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٦٤ ؛ السرخسي ، المبسوط ، ج٢٧ ، ص١٥٦ .

(٢) ابن حنبل ، مسند احمد بن حنبل ، ج١ ، ص١١١ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٧ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٤٥٩ ، المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٥ ، ص١١٣ .

،وكانوا أربعين رجلاً ، فوضع النبي ﷺ يده في الطعام ، وقال كلوا بسم الله ، فأكلوا وشربوا جميعاً ، بل أكثروا في الأكل ، وسقاهم اللبن ، والطعام على حالة (الرجل والصاع والعس) ،وأراد ﷺ ان يتكلم ،فبدره ابو لهب قائلاً :لو لم تستدلوا على سحر صاحبكم إلا بما رأيتموه صنع بهذا الطعام واللبن لكفاكم ، ثم افترقوا ، ولم يتكلم ، وهكذا استمر الحال لثلاثة أيام ، وفي آخر يوم قال لهمﷺ : والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بمثل ما جئتكم به ، لقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، ولقد أمرني الله عز وجل أن أدعوكم اليه ، فأطيعوني تنجوا من النار ، وتكونوا ملوك الأرض ، فأيكم يؤازرني على أمري أن يكون أخي ووصيي ، فأحجم القوم جميعهم عن جوابه ، إلا علياً بن أبي طالب (عليه السلام)، فرفع يده وقال هذا أخي ووصي فاسمعوا له ، وأطيعوا ، فخرجوا يضحكون ، ويقولون لأبي طالب قد أمرك ابن أخيك أن تسمع لإبنك[1] ، ولعله أراد في هذه المرحلة تشكيل القيادة السياسية لغرض تأسيس كتلة لحوار المشركين ، وبيان الدلائل والحجج التي تؤكد مصداقية الرسالة ، بدلالة نزول سور النمل والقصص والإسراء ويونس وهود ويوسف والحجر ، وجميعها تحاور المشركين ، ومن المفيد معرفة ان المسلمين جميعهم من فئة الشباب ، ثم ان هذه المرحلة كانت قبل مرحلة الحصار في شعب أبي طالب ، أي بحدود العام الثالث للبعثة النبوية ،ووفق هذا التصور أيضاً لا يمكن ان يتفق الحال مع سرية الدعوة٠

٣- **الدعوة العامة** : من حيث المبدأ ان الدعوة العامة لنشر الدين هي خصيصة للنبي محمد ﷺ دون الأنبياء ، كونه أرسل الى الناس عامة وحتى الجن ، ولم يبعث لقرية أو قوم معينيين مصداقاً لقوله ﷻ : (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ)[2]، (يَا بَنِي آدَمَ)[3] ، وقوله ﷺ: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)[4] ٠

---

[1] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٨٧ ؛ النسائي ، السنن الكبرى ، ج٥ ، ص١٣٦ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٦٢ ؛ وتفسيره ، ج١٩ ، ص١٤٩ ؛ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص٣٦٤ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٥٣٥ ؛ القندوزي ، ينابيع المودة ، ج١ ، ص٢٤٢ ٠

[2] سورة الإنفطار ، الآية ٦ ٠

[3] سورة الأعراف ، الآية ٢٦ ٠

[4] الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٧ ، ص١٥٥ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٧ ، ص٢٩٧ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج١ ، ص٣٧٠ ؛ السيوطي ، الجامع الصغير ، ج٢ ، ص٢١٦ ٠

وهذه المرحلة في الدعوة هي تنفيذ لقوله ﷺ :(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)[1] ، وتعد أخطر المراحل وأعنفها ، وأشدها بلاء ، على الصعيدين السياسي والعسكري ، اذا جاز لنا ان نسميها بهذه التسمية ، فالإعداد الجيد للصحابة في دار الأرقم ، وبيان ملامح المرحلة القادمة ، ووضوح عالمية الرسالة ، جعل من هؤلاء التلاميذ الشباب ،التمكن من رفع مشعل الإيمان ، ليصلوا به بتوجيه المصطفىﷺ الى خارج مكة ، بل خارج الحجاز ، فقد ذهب بحدود ٩٠% من المسلمين الى الحبشة ، في العام الخامس للبعثة النبوية[2] ، وعرض جعفر الطيار عليه السلام لقضيته كانت بشكل وبطابع سياسي ، من خلال عرضه لما كانت عليه الأحوال السياسية والاجتماعية للنجاشي ، وبيان عيوب المجتمع المكي ، ومن ثم بيان الحالة الطبقية ، كون القوي يأكل الضعيف ، ثم داعب مكامن الأيمان عند النجاشي بقراءة سورة مريم ، الأمر الذي جعل النجاشي يطرد أصدقاءه أصحاب الهدايا ،عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد .

وأرسل علي بن ابي طالب عليه السلام لليمن قاضياً ،ومعاذ بن جبل الأنصاري معلماً لأهل اليمن ،وجرير بن عبد الله البجلي رسولاً الى اليمن ،وبعث العلاء الحضرمي وأبا هريرة الى الخليج العربي ، ودحية الكلبي وشجاع بن وهب الى ملوك الشام ،وبعث من أسلم من كبار القبائل الى قبائلهم من ناحية ، ومحاورة أهل مكة ومن تبعهم من الناحية الأخرى[3] .

ومن المفيد ذكر بعض هذه المحاورات بين النبي الكريم ﷺ ومشركي قريش واليهود في كل المجالات ، فعلى المستوى العقائدي ، يروى " ان عامر بن الطفيل ، واربد بن ربيعة أخو الشاعر لبيد بن ربيعة ، أتيا النبي ﷺ ، وقال عامر : الى ما تدعونا يا محمد ؟ فقال : الى الله ، فقال : صف لنا ربك أمن ذهب هو ، أم من فضة ، أم من حديد،أم من خشب" ،فأجابهم بقول الله ﷻ: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)[4]، ثم أنزل الله تعالى صاعقة عليهما وماتا ، وقال اليهود للنبي ﷺ :

---

[1] سورة الحجر ، الآيتان ٩٤-٩٥ .

[2] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٠٤ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٦٩ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص١٥٢ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٨ ، ص٤٢٣ .

[3] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٣٣٧ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ص١٠١ .

[4] سورة الزمر ، الآية ٦٧ .

يا محمد إنسب لنا ربك ؟ فأمسك ثلاثاً ، ثم أنزل الله سورة الإخلاص[1] ، وكان الهدف من هذه الأسئلة هو إحراج النبي ﷺ ، أو تسفيه ما يقول .

أما على المستوى السياسي ،وهو يقع ضمن العقيدة حتماً ، يروى ان قريش عقدت مجلسها في مكة وهم : عتبة وشيبة ابني ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وابو البختري ، والنضر بن الحارث ، والأسود بن المطلب ، وزمعة بن السود ، والوليد بن المغيرة ، وابو جهل بن هشام ، وعبد الله بن أمية ، وأمية بن خلف ، و العاص بن وائل ، ونبيه بن الحجاج ، وأرسلوا الى النبي ﷺ ليكلموه ، واختاروا عتبة بن ربيعة ليمثلهم وعمره ثمانون عاماً ، فقال الوليد : " يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من السعة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وانك أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ، ودينهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل منها بعضها ، قال رسول الله ﷺ: يا أبا الوليد اني أسمع ، فقال عتبة :ان كنت تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وان كنت تريد شرفاً شرفناك علينا ،ولا نقطع أمراً دونك ،وان كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وان كان الذي رأيته من الجن لا تستطيع رده ، طلبنا لك الطبيب ، وبذلنا لك المال حتى يبرئك ، ولعل الذي في صدرك شعراً ، وإنكم لعمري يا بني عبد المطلب تقدرون منه على ما يقدر عليه أحد ،فقال له رسول الله ﷺ : أفرغت يا أبا الوليد ؟ فاسمع مني : فقرأ له قوله ﷻ (بسم الله الرحمن الرحيم ، حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[2] ، والوليد مصغ اليه واضعاً يديه خلف ظهره ، وقد تغيرت ملامحه وأفكاره ، فذهب الى أصحابه ، فلما جلس قالوا له : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال :ورائي اني والله سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط ! والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعوني وأجعلوها فيَّ ، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو عليه وأعتزلوا ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه

---

[1] الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٥ ، ص١٢١ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢٠ ، ص٤٤٧ ؛ الطبرسي ، تفسير مجمع البيان ، ج١٠ ، ص٤٨٥ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١ ، ص٨٥ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٦ ، ص٤١٠ .

[2] سورة فصلت ، الآيات ١-٣ .

، وان يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه " [١] .

إذا نظرنا الى طبيعة هذا الحوار نظرة بسيطة فنجد فيه عمقاً وأدباً من خلال ، لقائه أولا بأعتى عتاة قريش وأعظمهم شركاً ، وفي مكانهم (ناديهم) ، اعتزال أحدهم ، ولنقل كبيرهم أو من يمثلهم ، ولم نجد رواية تفيد ان النبي ﷺكان مسلحاً أو معه قوة عسكرية أو حتى نصيراً معه ،وهذا يعني غاية الإطمئنان والثقة بالنفس ، ثم إنه يخاطب عتبة بأسلوب رقيق ، بقوله ﷺ يا أبا الوليد ، كي يوحي له انه نُد له ،وهو الأصغر منه سناً ، لمناداته ﷺ يا ابن أخي ، ثم انه ﷺ رفض هذه المغريات جميعها التي لا يحلم بها أحد من العرب ، واكتفى بالنصح والموعظة الحسنة من خلال التقرب لله واعتناق دينه ، وترك ما هم فيه ، أي انه ﷺعرض عليهم عقيدته ، وهديه النبوي ، بخلاف ما جاءوا به من عرض مالي وسياسي واجتماعي وغيرها من العروض الدنيوية ، أو لعله لا يتشابه مع ما يريد بأية جزئية ، بل انه لم يناقش ما جاءوا به من مغريات ، ولو من باب المناقشة و اذ كان بامكانه أخذ السلطة والجاه والمال ومن ثم القضاء عليهم ، لكنه لم يؤمر بأخذ المال والجاه والملك ، ولو انه فعل مثل هذا (حاشى لله) فماذا تقول عليه الصحابة ؟ وما هي نظرتهم فيه ؟ وكيف سينشئون؟ ويتصرفون من بعده ، بل انه لو أخذ الملك فانه سيقوم بإصلاحات بدون إيمان أو ان نسبة الإيمان لم تكن مثالية لآنه سيتعامل ويرضي المشركين ، ثم هل ان الصحابة مؤهلون لإدارة دولة في تلك المرحلة، اذا هي مرحلة تثبيت العقدة في قلوب الصحابة(رضي الله عنهم) وتعليمهم الدروس العملية في إدارة الصراع والسلطة والإغراءات ٠٠ ،تهيأة للمرحلة القادمة في بناء الدولة الإسلامية في المدينة ٠

ثم تأتي مرحلة الحصار في شعب أبي طالب ، وهذه المرحلة فرضت عليهم في العام السادس للبعثة النبوية ، والحصار كان بمثابة الاعتراف بقيام كيان دولة أو محمية أو كيان أو ما شابه ، إذْ اجتمع في الشعب بنو هاشم والمطلب وبعض قريش مسلمين وغير المسلمين رجالاً ونساءاً ، وكان النبي ﷺ يقول : (إنما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد ، أنهم لم

---

[١] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٩٠ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج١٥ ، ص٢٠٥ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٠ ، ص٣٣٧ ؛ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص٦٦ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٥ ، ص٣٥٩ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٢ ، ص٣٩٨ ٠

يفارقونا في جاهلية ولا إسلام ، ثم شبك يديه احدهما بالأخرى)[1] ، ولم يكن في الحصار سرية أو اختفاء ، بل أكدت قريش بمقاطعة هذه المجموعة بالصحيفة التي علقت بالكعبة ، وختمت بأربعين ،وقيل بثمانين ختماً من كبار قريش وتجارها[2] ، ورؤساء قبائلها، واعترفت بوصفها كيان يظم قبيلة النبيﷺ ،الذي لم يجمعها الدين بل انه استفاد من القبلية ، استمر الحصار لمدة ثلاث سنوات ، توفيت بعده مباشرة زوجته خديجة (رضي الله عنها) وعمه أبو طالب ، حيث كانا نصيراه في الشعب ، وقال النبي ﷺبعد وفاة عمه (ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات ابو طالب)[3]، في هذا الظرف كان المسلمون منقسمين على ثلاث مجاميع ، مجموعة بالحبشة ،ومجموعة في مكة ،مراقبة مضطهدة، محدودة الحركة، ومجموعة محاصرة في الشعب ٠

وهنا يمكن أن نطرح السؤال الآتي : هل كان النبيﷺ يخرج من الشِعب ؟هل عرض النبيﷺ الاسلام على الموجودين معه في الشعب ؟ هل أسلم أحد من المشركين في الشِعب ؟ وهل هرب أحد من الشِعب بسبب الحصار القاسي ؟ هل دارت بين من في الشعب بعض الصراعات بسبب المعتقد ؟ ما هو الدرس الذي استخلص من الحصار في الشِعب؟

للإجابة عن هذه التساؤلات يمكن القول : نعم كان يخرج من الشعب في موسم الحج ، ويلتقي بالمسلمين وغيرهم ، بدلالة رواية عمرو بن عبسة ، اذ يقول : " قدمت مكة ولقيت النبيﷺ في عكاظ مستخفيا عليه قومه فقلت له :ما أنت ؟ قال : نبي ، قلت وما نبي ؟ قال : رسول من الله ، قلت بأي شئ بعثك ؟ قال : بالتوحيد ، وبعد سؤال واستفهام ، قلت : أني

---

[1] ابن حنبل ، مسند احمد بن حنبل ، ج٤ ، ص٨١ ؛ النسائي ، سنن النسائي ، ج٧ ، ص١٣١ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج١٠ ، ص١٠ ؛ ابن حزم ، المحلى ، ج٧ ، ص٣٣٧ ؛ ابن قدامة ، المغني ، ج٧ ، ص٣٠٥ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٣٢٥ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٣ ، ص١٨٦ ٠

[2] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٥٠ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٣١ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٧٤ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص٢٧١ ٠

[3] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٥٧–٥٨ ؛ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٢٤ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٨٠ ؛ الطبراني ، المعجم الأوسط ، ج١ ، ص١٨٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص١٥١ ٠

متبعك ، قال انك لا تستطيع ذلك يومك ، اذهب الى قومك ، واذا سمعت أني ظفرت على مكة الحق بي : [١].

ولم يعرض النبي ﷺ دعوته على من في الشِعب كون طبيعة الظرف لا تساعد على ذلك ، وكان دوره شحذ الهمم وحث الجميع على الصبر، ولم يسلم أحد في الشعب، ولا توجد إشارة في ذلك، وكان الدخول في الشعب بعد نزول قوله تعالى (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)[٢]، اذن النزول كان في العام الثالث للبعثة[٣] ، والحصار كان بعد الإنذار بعدة سنين ، وان من في الشعب كانوا من المنذرين ٠

ولم نعثر على أية إشارة بهروب أي فرد من الشعب بسبب الرابطة القوية (رابطة الدم) والأيمان بقضيتهم ، وأثر النبي ﷺ وأبو طالب في نفوس المحاصرين ، ولم يحدث أي نزاع أو إشكال بين المحاصرين ٠

أما الدرس فكان يتضح من خلال الثبات على الحق وتحمل الصعاب ، وازدياد الإيمان في نفوس المسلمين ، بدلالة ثبوت أهل الشعب في حنين كون الدرس الذي تعلموه في الشعب كان قاسياً جداً ، واستلهموا منه أرقى دروس الصبر، ثم اطلع المسلمون على صبر وأخلاق النبي ﷺ وحكمته في التصرف عن قرب في أصعب الظروف، ولم يتململ أو يرتجف المحاصرون من الحصار رغم عدم معرفة مدة الحصار الذي استمر ثلاث سنوات عجاف ، ثم أثبت الحصار عجز قريش عن القضاء على دعوة النبي ﷺ، فازدادت قوة المسلمين ، وتعلموا كيفية التصرف في أصعب الظروف ، حتى انتهى الحصار ، وأكلت الأرضة الصحيفة ، وانشق جمع المشركين بتأثير قبلي ، إذ لبس المطعم بن عدي ، وعدي ابن قيس ، وزمعة بن الأسود ، و ابو البختري بن هشام ، وزهير بن أمية ، وهم مشركون ، أسلحتهم وأمروا بإخراج النبي ﷺ ورهطه من حصار الشعب ، ليكون الحصار درساً يضاف الى دروس الإعداد التي خص بها الرسول ﷺ المسلمين في دار الأرقم المخزومي ٠

---

[١] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٢١٥ ؛ الطبراني ، الأحاديث الطوال ، ص٣٦ ٠ الضحاك ،ابو عاصم أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني (ت٢٨٧هـ) ، الآحاد والمثاني ، تحقيق باسم فيصل الجوابرة ، دار الراية للطباعة ، الرياض ١٩٩٠م ، ج٣ ، ص٢ ٠

[٢] سورة الشعراء ، الآية ٢١٤ ٠

[٣] الإمام أحمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ج٣ ، ص٤٧٦ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج١٩ ،ص٧٣؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٤١ ؛ السيوطي، الدر المنثور ، ج٥ ، ص٩٥٠

لينزل الله ﷻ آياته مخاطباً بها نبيهﷺ عن نتيجة هذه المرحلة بقولهﷻ : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا)[1] ، وقوله ﷻ (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا)[2] ، وقوله ﷻ: (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)[3]، وهناك العديد من الآيات بهذا المعنى ، نكتفي بما تقدم منها ٠

وفي سلسلة الأحداث الصعاب نمر فيها على المستهزئين الذين عجزوا أو أرادوا أن يعجزوا النبي في بث دعوته ، وهم في أغلب الروايات خمسة أشخاص (الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ،والحارث بن الطلاطلة الثقفي) ، إذْ ماتوا شر ميتة بأمر الله في يوم واحد ، وكلهم قال : (قتلني رب محمد) ليكونوا دليلاً على قدرته ، وآية من آياته[4]، لينزل الله قوله : (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)[5] ٠

هناك سؤال قد يتبادر للباحث هو : لماذا هؤلاء العتاة أصحاب الصحيفة ، والمستهزئين ،والمنافقين ،وهم أعلامها ، لم يؤمنوا بالدين الجديد ؟ هل أنهم لا يؤمنون بالله الخالق ، أم انهم لم يعرفوا بان رسول الأمة ﷺسيظهر في بلاد الحجاز من ولد اسماعيل ؟ أم ماذا ؟

نلاحظ ان أغلبهم يعبد الصنم ليقربه الى الله ، مصداقا لقوله ﷻ : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)[6] ، وهذا إقرار بمعرفة الله[7]، وأغلبهم يعرفون انه سيبعث نبي هذه الأمة من ولد اسماعيل ، او من ولد عبد المطلب تحديداً ، وهذا ما أشرنا اليه فيما تقدم ، هل انهم لم يؤمنوا ،خوفاً على مركزهم الإجتماعي، أو على وضعهم المالي ، وهذا لا يتفق مع واقع الاسلام ، لكن واقع الحال لا يشير الى هذه الإحتمالات ، لعلهم أو أغلبهم كانوا يطمعون بالنبوة ، ويحسدونه عليها ، معتقدين ان النبوة لا تصلح الا للتجار والسادة والدهاة والشعراء والشيوخ

---

[1] سورة يونس ، الآية ٩٩ ٠

[2] سورة الأنعام ، الآية ٣٤ ٠

[3] سورة يوسف، الآية ١١٠ ٠

[4] الشافعي ، الأم ، ج٤ ، ص١٦٨ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٣٦٨ ؛ الشيخ الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي (ت٣٨١هـ) ، الخصال ، تحقيق علي أكبر الغفاري ،قم ١٤٠٣هـ ، ص٢٧٩ ؛ الطبرسي ، الإحتجاج ، ج١ ، ص٣٢١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص١٣٠ ٠

[5] سورة الحجر، الآية ٩٥ ٠

[6] سورة الزمر ، الآية ٣ ٠

[7] الطبري ، تفسير الطبري ، ج١ ، ص٥٦٠ ؛ السرخسي ، المبسوط ، ج١٦ ، ص١٢٠ ؛ الطبرسي ، تفسير البيان ، ج٨ ، ص٣٨٢ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٢ ، ص٢٢٣ ٠

الكبار ، اذ يقول أحدهم : " لا شئ عندي أبغض من النبي ، لا مما يأتي به "[١] ، ويقول الوليد بن المغيرة المخزومي: " أينزل القرآن على محمد ، وأترك أنا ، وأنا كبير قريش وسيدها ، ويترك أبو مسعود الثقفي سيد ثقيف ، فنحن عظيما القريتين"[٢] ، مصداقاً لقوله :ﷻ (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)[٣] ، واكثر مصداقية لهذا الفهم ، ان الجميع يسمي النبيﷺ قبل الاسلام (الصادق الأمين) ، فما بالهم في الاسلام يصفوه بالساحر والشاعر والمصاب بالجن المسحور ، كل ليؤثروا على الآخرين بما يتعلق بشخصية الرسول الكريم ﷺ ، أو بأكثر صراحة ما كان يريد ابو لهب من ابن أخيه ، فهل عصبيته القبلية تدعوه لقتل ابن أخيه من أجل صنم من تمر أو وثن من حجر ، بل كان مراده النبوة ليس إلا ، وهو القائل لآخيه ابي طالب يوم وليمة النبي ﷺ انه قدم ابنك عليك ،كما أوردنا سلفاً ، والحال نفسه ينطبق على رأس النفاق عبد الله بن أبي بن ابي سلول ، وعمرو بن صيفي بن مالك الأوسي ،لانهما كانا يعرفان بان السيادة بالمدينة ستكون للنبي ﷺ ، فعملوا جميعا على الإستخفاف بحق النبيﷺ بالسيادة الروحية والدنيوية[٤] .

بيعتا العقبة: لم يختلف نشاط النبي الكريم ﷺوصحابته في المراحل المتقدمة عن نشاطه فيما يتعلق بالبيعتين ، فالاتصال بأصحاب البيعة الأولى كان بشكل فردي ، وفي موسم الحج ، وضمن فترة الحصار بالشعب ، وأول من اتصل به الرسول ﷺ في سوق عكاظ هو سويد ابن الصامت احدى الشخصيات البارزة ، اذ كان صاحب شرف وجاه ، يجيد الكتابة ويقرض الشعر ، يسمى الكامل في قبيلة الأوس[٥]، ثم التقى بمجموعة أخرى في سوق ذي المجاز ، وهم ابو الحيسر (أنس بن رافع) ،وأياس بن معاذ وفتية من بني عبد الأشهل ، وهم من الأوس ايضاً ، وقدم هذا الوفد الى مكة لغرض إقامة حلف مع قريش ضد الخزرج ، الا ان النبيﷺ استثمر

---

[١] البيهقي ، سنن البيهقي ، ج١ ، ص٣٩٤ ؛ ابن قدامة ، المغني ، ج١ ، ص٤١٧ .

[٢] مجاهد ، تفسير مجاهد ، ج٢ ، ص٥٨١ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية و ج١ ، ص٢٤٢ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢٥ ، ص٨٣ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج٥ ، ص٥١ ؛ ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج٦ ، ص١٠٩ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٥٤ .

[٣] سورة الزخرف ، الآية ٣١ .

[٤] الطبري ، تفسير الطبري ، ج٥ ، ص١٦٧ ؛ القاضي عياض ، الشفا ، ج٢ ، ص٢١٧ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٣ ، ص١٥٥

[٥] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٤٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١١ ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، ج٢ ، ص١٨٠ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٣٧٨ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص١١ .

هذا الظرف وعرض عليهم الاسلام وبين لهم أثر العقيدة والاخوة في الاسلام والتكافل والأيمان ، فآمن قسم وامتنع قسم آخر حتى قال ابو الحيسر لصاحبه أياس (دعنا منك ، فلعمري لقد جئنا لغير هذا)[١] ، لينتهي هذا الاجتماع ويعود الاوس ليثرب ٠

ثم يلتقيﷺ برهط من الخزرج وعددهم ستة رجال[*]، في مكة ، ويدخل هذا اللقاء ، ببرنامجهﷺ بعرض نفسه على القبائل ، فسمعوا له ، وامنوا بشكل سريع ، وكأنهم على موعد مسبق ، أو مخطط لهذا اللقاء ، ولعل مرد القبول السريع يعود لأمرين مهمين ، أولهما حجة النبيﷺ بالإقناع ، وحنكته في الحوار، والثاني يعود للوضع المتردي وحالة الصراع بينهم وبين الاوس في يثرب ، ليرجعوا الى بلدهم ويعودوا بعد عام ويلتقوا في العقبة ، وعددهم اثنا عشر رجلاً ، سميت ببيعة العقبة الأولى أو بيعة النساء[٢]، ويرسل النبي ﷺ معهم الصحابي الجليل مصعب بن عميرﷺ سفيراً له ومعلما لمن آمن ولأهل يثرب بالدين الجديد ، ليعودوا سبعين رجلاً وامرأتين مع مصعب الى النبي ﷺفي العام الثالث ، ليبايعوا بيعة العقبة الثانية (الرضوان) ، ويختار منهم اثني عشر نقيباً يمثلون مسلمي يثرب جميعهم، وليكونوا نواة الدولة الجديدة ٠

في هذا الإيجاز الشديد للبيعتين أردت ان أشير الى الفكر السياسي والاجتماعي، واستثمارهما بأقصى درجة لتنفيذ مخطط الدولة الجديدة ، ولم أسرد الأحداث بشكل حوادث تاريخية ، ويمكن ان نستخلص مما تقدم من البيعتين الآتي:

---

[١] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٩١ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢، ص٨٥ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج١ ، ص٢٧٦ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٢ ، ص١٨١ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٥٨ ٠

[٢] لم تشير المصادر الى سبب وجيه لهذه التسمية ، فقال بعضهم انها سميت بالنساء كون ماورد فيها مشابه لما جاء بقوله ﷻ في سورة الممتحنة الآية (١٢)(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ، وهذا لا تتفق مع أصحاب البيعة كون أغلبهم ليسوا مؤمنين ، لكني وجدت ان النبيﷺ كان اذا اراد ان يبايع النساء ، يضع جفنة فيها ماء وتغمس المرأة يدها اليمنى فيه ،بدلاً من المصافحة ، فلعل الأمر كان بهذه الصيغة ، وهو أمر معمول به في عقد الأحلاف وان تغير الماء بشئ آخر ؛الإمام احمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج٦ ، ص١١٤ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج٦ ، ص٢٩ ٠

١- ركز النبي الكريم ﷺ في لقاءآته جميها على المبادئ الإيمانية التوحيدية والتنظيمية ، من خلال المكان والزمان والظرف ، فالمكان كان في العقبة وتقع بين منى ومكة على بعد ميلين من مكة[١]، وهو مكان مزدحم في موسم الحج الذي هو زمان اللقاء ، وكانت العقبة الثانية قبل الهجرة بسنتين ٠

٢- أكد نوعية الأشخاص الذين إلتقى بهم ، فكان أغلبهم من الشباب الواعي المطلع دينياً وفكرياً ،وهم لا يمثلون أنفسهم فقط ، بل يمثلون قبائلهم،ولهذا نرى ان الأوائل (سويد وإياس) قتلا قبل البيعتين[٢]، كي لا يساعدوا في نصرة النبيﷺ واستقباله في الهجرة ، ثم ان أغلب الخزرج كانوا من بني النجار فهم أخوال جده عبد المطلب(أمه سلمى بنت عمرة من بني النجار)[٣] ٠

٣- كانت لقاءآته رداً على الحصار ، ولعله ألمح لقريش انه قد يلجأ ويعتمد على قوم أشداء من غير قريش هم الاوس والخزرج، وافشال حالة الحصار التي انتهجتها قريش ٠

٤- كل لقاءآته كانت تنظيمية ، وتهيئة المسلمين الجدد الى تحمل المسؤولية الجديدة في الهجرة ، وتأسيس الدولة ٠

٥- لم يكن النبيﷺ في هذه اللقاءآت لوحده بل كان معه مجموعة من الصحابة ، منهم عمه العباس بن عبد المطلب ، الذي كان معروفاً من قبل أهل يثرب، وهذا الحضور دليل على ان بني هاشم لم يتركوه وحيداً فهم عزوته ، وكان العباس متحدث باسم النبيﷺ في اللقاء ، وهو الذي لفت انظار الحضور بان النبيﷺ سيعيش بين ظهرانيهم ، إذْ قال : "وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم ، فان كنتم أهل قوة وجلد ، وبصر بالحرب ،واستقلالاً بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة ، فارتأوا رأيكم ، وأتمروا بينكم ، ولا تفرقوا " [٤]، ولعل النبي الكريمﷺ كان يعبئهم ويعدّهم ليوم صعب٠

---

[١] ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٣٤ ٠

[٢] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٢٢٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٧ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص٢٠٣ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ . ص١١ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٢٤٧ ٠

[٣] ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص ٨٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٢٣٢ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج٥ ، ص١٢٢ ؛ الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٥هـ) ، نيل الأوطار في أخبار سيد الأخيار ، دار الجليل ، بيروت ١٩٧٣م ،ج٦ ، ص٢٠٥ ٠

[٤] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٢٢ ؛ المحب الطبري ، ذخائر العقبى ، ص١٨٨ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص٨٦ ٠

٦- حمل النبيﷺ المبايعين مسؤولية الدفاع عن الدين الجديد في يثرب قبل الهجرة، من خلال اختيار النقباء الاثني عشر ، وتهيئة الجو المناسب لقيام الدولة، إذْ خاطبهم العباس قائلاً : (وانه قد أبى إلا الإنحياز اليكم ، واللحوق بكم .فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فانتم ما تحملتم من ذلك ، وان كنتم أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فانه في عز ومنعة من قومه في بلده)[١].

٧- في كل هذا تصميم من الرسول ﷺ على الهجرة الى يثرب ، ولعلهﷺ كان يلمح لقريش بذلك ، من خلال اللقاء بالعقبة وهي ليست مكاناً مستوراً كونها في الطريق بين منى ومكة ، بل هي على جبل منى، وفي ثاني أيام التشريق[٢] ، وهو احد ايام رمي الجمرات ، يعني ان الحجيج في حركة مستمرة لتنفيذ هذه الشعيرة في يومها، فأين قريش من عدوها وهو وفريق معه يجتمع مع اثنين وسبعين في مكان ، فان صحت سرية اللقاء ،فهذا يوحي الى ان عداوة قريش صورية وداخل بناء الكعبة فقط .

٨- لا تؤيد الوقائع والمعطيات ان مجموعة بحدود مائة شاب معهم نبي الرحمةﷺ ، مبعوث من الله ،مكلفاً بنشر رسالته يختبئون ليحيكوا أمراً يهم العالم والكون فيما بعد ، وهم مذعورون خائفون متربصون ، وفي الشهر الحرام ،ويراقبهم باقي المسلمين عن بعد ، فهل كان عددهم قليلاً ؟ اذاً كيف حاربهم النبي ﷺفي بدر وصحبه لا يتجاوزون الثلاثمائة رجل ، وينتصر عليهم في حرب طاحنة ، والعدو مهيء ، مسلح ، جند لها العدو ثلاثة أضعاف قوة المسلمين .

ولعل المعطيات تؤشر الى أن المسلمين كانوا من القوة بحيث تجعلهم يجتمعون بشكل علني ، كونهم مدعومين بخبر السماء ، مصداقاً لقولهﷻ : (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) [٣] وان قريش قد سرى اليها الضعف والهوان ، وانهم لن ينالوا من المسلمين في أي معركة حتى أحد.

هذه مراحل الدعوة بإيجاز ، والتي بنيت عليه ومن خلالها دولة الاسلام الجديدة.

---

[١] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٠٢ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٩٢ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢١٧ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص١٩٧ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٣ ، ص٢٠٣ .

[٢] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٤٤٠ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص ٣٦١.

[٣] سورة الفتح ، الآية ١٨ .

التفكير السياسي

السيادة:

السيادة تعني الرياسة على من تحته والسياسة له ،وحسن تدبير لأمره ، والسيد هو الشريف الفاضل ، ومنها السيد ، وهو المالك ، والرب الخالق ، والفاضل الكريم ، والحليم ومحتمل أذى قومه ، والرئيس المقدم ، المفزع في الشدائد ، واصل السيادة من ساد يسود فهو سيد[١].

والسيد هو الله سبحانه وتعالى ، لأنه خالق كل شيء وبيده كل شيء ، ومالك كل شيء ، إلا ان الله جل وعلا أعطى السيادة للبشر ، انطلاقاً من التفوق بالخير ، فالله تعالى خاطب يحيى بن زكريا عليه السلام بقوله ﷻ (وَسَيِّداً وَحَصُوراً)[٢] .

عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت ، " قلت لرسول الله ﷺ ما هو السيد ؟ قال : هو من أفترضت طاعته كما أفترضت طاعتي " [٣].

استنتاجاً مما تقدم نخلص الى ان السيادة ، هي طاعة وقيادة سياسية وروحية وفكرية واجتماعية ، وهي دنيوية وأخروية ، منصوصة بنص رباني لا جدال فيه ، فالنبي ﷺ يقول : " أظهر الله تعالى الإسلام على يدي ، وأنزل القرآن عليّ ، وفتح الكعبة على يدي ، وفضلني على جميع خلقه ، وجعلني في الدنيا سيد ولد آدم ، وفي الآخرة زين القيامة ، وحرم دخول الجنة على الأنبياء حتى أدخلها ، وحرمها على أممهم حتى تدخلها أمتي " [٤] .

أما توكيد القرآن الكريم سيادة النبي ﷺ فيظهر في قوله ﷻ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ)[٥] ، وقوله ﷻ:(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ)[٦] ، وقوله ﷻ : (وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[٧]، وهناك العشرات من الآيات تؤكد هذا المعنى ، وان الله يعاقب من

---

(١) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، مادة (سؤدد) ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سؤدد) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٣٩ .

(٣) الشيخ الصدوق ، الأمالي ، ص٩٤ ؛ الشيخ المفيد ، الأمالي ،ص٤٤ ؛ابن شهر آشوب ، مناقب آل ابي طالب ، ج٢ ، ص٢١٧ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٣٨ ، ص٩٣ .

(٤) الطبراني ، المعجم الأوسط ، ج١ ، ص٢٨٩ ؛الشيخ الصدوق ، الخصال ، ص٤١٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١ ، ص٤٠٤ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج١٠ ، ص٣٧٥ .

(٥) سورة النساء ، الآية٥٩ .

(٦) سورة المائدة ، الآية ٥٥ .

(٧) سورة الأنفال ، الآية ١ .

يرفض هذه السيادة بقوله ﷻ : (وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً)[١] وقوله ﷻ : (وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً)[٢] ، وهذا دليل واضح بان الطاعة للرسول والعصيان مقرونة بطاعة الله ، والعصيان يعني عدم الإعتراف بالسيادة ، بل ان العصيان يذهب الى ابعد من نكران السيادة ، إذْ جعل تأخير تنفيذ أوامر الرسول ﷺ عصياناً ، مع العلم أن الطاعة هنا فكرية ، عقلية[٣] .

هذا يعني ان الله أعطى الولاية والبيعة للنبي ﷺ ، والتي تعد إقراراً صريحاً بالسيادة وبناءً على هذه المعطيات قال المصطفى ﷺ:(أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم)[٤]، والولاية من الأمور السياسية كالبيعة وهما طوعيتان ، لا إكراه فيهما ، وهما يدخلان في عملية تنظيم البلاد ، وانتظام أمور العباد ، والجهاد ، والدفاع ، وما يرجع اليه في التصرف في أمور الوظائف من خلال تعيين الولاة ، والأمراء ، والقضاة ، وكل ما يتعلق بأمور الاقتصاد .

هذا في مجال السيادة الخاصة في فترة النبوة ، لكنه ﷺ يقول : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر "[٥]، وهذا يعني ان السيادة للرسول ﷺ مطلقة سياسية وروحية ، وبتفويض سماوي لا جدال فيه ، وعليه جمع المصطفى ﷺ السيادة بشكليها في إدارة دولة المدينة .

الإستخلاف :

الاستخلاف يعني في اللغة مصدر استخلف ، فيقال استخلف فلان فلاناً ، أي جعله مكانه ،ويقال ايضاً خلف فلاناً ، واستخلفته أنا ، أي جعلته خليفتي ،والخليفة هنا الذي يخلف من قبله[٦] .

---

[١] سورة الجن ، الآية ٢٣ .

[٢] سورة الأحزاب ، الآية ٣٦ .

[٣] الشافعي ، محمد بن إدريس الشافعي المطلبي (ت ٢٠٤هـ) ، الرسالة ، تحقيق احمد محمد شكر ، المكتبة العامية ، بيروت ١٣٢١هـ ،ص٧٩ .

[٤] احمد بن حنبل ، مسن أحمد ، ج٢ ، ص٢٩٠ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ٢ ، ص٢٦٦ ؛ النسائي ، سنن النسائي ، ج٤ ، ص٦٦ ؛ الشيخ الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٥٢٩ ، الشريف المرتضى ، رسائل المرتضى ، ج٢ ، ص٢٥٣ .

[٥] البخاري ، التاريخ الكبير ،ج٧ ، ص٤٠٠ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٤ ، ص٢٧٦ ؛ الشيخ الصدوق ، الخصال ، ص٥٦١ ؛ الطبراني ، المعجم الأوسط ، ج٢ ، ص٩ .

[٦] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خلف) .

أما المعنى الاصطلاحي للإستخلاف ،فهو كما ورد على السن الفقهاء ، بمعناه اللغوي في عدة مواطن كالرئاسة والإنابة وإمامة الجماعة في الجمعة والقضاء ٠٠الخ ٠

والاستخلاف في هذا المجال لا يعني الخلافة السياسية والدينية ، وانما يعني هو شهادة للناس والفعل في أمر الولاية الإلهية ، بمعنى التكليف ، اتساقاً مع قوله ﷻ (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[1]، إذ أن الذي يتوارد للذهن هو استخلاف بشري لأعمار الكون الجديد ، لا التسلط والحكم والإمامة أو غير ذلك ، ومن هذا يتضح ان الاستخلاف من خالق حي لمخلوق حي، وجعل كل المستخلفين خلفاء ، للإصلاح وليس الخلافة على أنفسهم ، إذا لا يعقل يكون الفرد خليفة عن نفسه ، وهذا يشمل عموم البشر مؤمنهم وكافرهم ، ويؤكد هذه الشمولية ، انه لم يستخلف المؤمنين بل وعدهم بالاستخلاف ، كما في قوله ﷻ:(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ)[2] ، اذا الاستخلاف هو أمر الهي عام ومخصوص ٠

ومن جهة أخرى يوحي الاستخلاف الى انه تكليف الهي يختص بالأنبياء (عليهم السلام)، ويعني الحكم والرياسة والإمامة مصداقاً لقوله ﷻ:(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ)[3] ، ففي هذا التكليف السماوي منح الخليفة المعاجز من خلال الحكم بالنسبة للنبي داود عليه السلام، وسخر لسليمان عليه السلام الجن والريح والطير ، وسخر لموسى عليه السلام العصا وفلق له البحر ، وجعل عيسى عليه السلام أن يحيي الموتى ويشفي الأكمه والأبرص ، وأعطاهم الكتب والزبر ، حجة له على الخلق ، ثم ان جميع المستخلفين يملكون من القدرة والعلم والشجاعة وغيرها من الصفات ما لم يملكه الخليفة غير المفوض من الله ، فهل يجوز لنا ان نسميهم خلفاء الله ، ونسمي الآخرين خلفاء ، ونمنحهم نفس صفة ومعنى الاستخلاف ؟ ثم ان جميع من استخلفهم الله تعالى لغرض أعمارالكون فكرياً وعقائدياً واقتصادياً واجتماعياً ، وجمع ما من شأنه ان يخدم البشرية ويجدد النوع الإنساني وفق أطر متقدمة صالحة لبناء أمم جديدة مؤمنة بالقيم السماوية ، والقدرة على نشر هذه القيم في الأرض ، ولم تنتهي مهمتهم أو فترة استخلافهم ، فهم باقون على طول الدهر ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ولهذا كان

---

[1] سورة البقرة ، الآية ٣٠ ٠

[2] سورة النور ، الآية ٥٥ ٠

[3] سورة ص ، الآية ٢٦ ٠

الرسول محمد ﷺهو آخر خلفائه في الأرض فكان قائداً وسائقاً للبشرية[1]، وبهذا المقام الرفيع والشرف العظيم والسيادة لمطلقة ، فهوﷺ شهيد على الأمة يوم الحشر ،مصداقاً لقوله ﷻ: (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً)[2] .

ما تقدم لا ينسجم عملياً وشكلياً مع الخلافة السياسية المتأخرة ، فهم قادرون بإعجازهم ، أقوياء بإيمانهم ، معصومون من الخطأ والزلل ، حاكمون بأمر الله ، لا تنتهي مدة استخلافهم و ولا يحدها زمان ومكان ، يعمرون الأرض لخير البشر ، لا لأحد عليهم غير الله سلطاناً ، أما الاستخلاف الدنيوي فهو لا يصل الى حال المستخلفين من الرسل والأنبياء (عليهم السلام) بأي شكل من الأشكال ، ففترة استخلافهم محدودة بزمان ومكان ، مستخلفين من بشر قد مات يقومون مقامه ،غير معصومين ، القوة والعزم ليست صفة ملازمة لهم دائماً .

فالاستخلاف كما تقدم بعدة صور منها ما هو بأمر السماء ، وما هو دنيوي بشري ، ومنه ما هو تكليف عبادي في الصلاة والقضاء ..الخ ، والذي يهمنا من هذا هو الاستخلاف من النوع الأول ، والذي بهديه وفأفكاره اختط و قاد الرسول الكريم ﷺ الدولة الاسلامية الجديدة ، ومن خلالها لقيادة الكون في نهاية المطاف، كون النبي نور لا يطفأ ، وسراج لا يخبو ، وكتابه لا يخمد برهانه ، ومعزوز لا تهزم أنصاره ، وحق لا تخذل أعوانه .

القيادة :

لأعداد دولة ومجتمع عقائدي يتقبل نظاماً سياسياً واجتماعياً وإدارياً جديداً لا بد من شخص يتصف بمواصفات فريدة ، كي يتخذ على عاتقه كل هذه المهام الصعبة ، هذا اذا عرفنا ان الدولة الجديدة ستنشأ في مجتمع قبلي متعصب جاهل ينوء بمشاكل اجتماعية عظام ، ولا يملك أي شكل من الأنظمة السياسية ، والفكر السياسي ، فعوامل القوة والثروة والإرث الجائر والاستعباد تتحكم فيه الى حد كبير .

من هذه المعطيات ظهرت شخصية الرسولﷺ القيادية في كافة الميادين السياسية والعقائدية ، بل انه وضع أسسا في علم القيادة ، مستمدة من الوحي السماوي ، وما يتمتع بها من مواصفات شخصية خارقة ، فمازج بين الأمرين ليجعلها تتماشى مع واقع المجتمع الجديد ، ولعلنا نمر على هذه الأسس ، دون المرور بصفاته الشخصية كالشجاعة والنبل والخير وحب الناس والفتوة والحسب والنسب والجاه..الخ ومنها :

---

[1] الطبري ، تفسير الطبري ، ج٥ ، ص١٣٠ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج٤ ، ص٦٩ ؛ ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج٤ ، ص٣٥٦ ؛ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٢ ، ص٦٤٠ .

[2] سورة النحل ، الآية ٨٩ .

١- الأساس الديني في شخصيته ﷺ: فالتوحيد والإيمان المطلق بالدين والتحكم والتسليم للنص السماوي في كل جوانب الحياة كان الأساس في التعامل ، وحديثه النابع من ينبوع الإيمان ليملي به الفراغات في عقول المجتمع .

٢- الأساس المركزي في القيادة : من خلال الطاعة المطلقة لشخصيته ﷺ ولا طاعة لغيره الا الله ، مصداقاً لقوله تعالى(وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ)[1] .

٣- الأساس العلمي في محاكاة العامل النفسي : إذْ كان ﷺ يهتم بشكل كبير بإعادة ثقة الرعية بأنفسهم وبالله وبقيادته ، ويدفع عنهم شبح الخوف ، ويحثهم على التطلع للمستقبل الزاهر والنصر الأكيد بامر الله ، وقد اتضح هذا المفهوم في مشاركته المسلمين في حفر الخندق ضد الأحزاب ، حين ضرب صخرة استعصيت على الصحابة ، ورؤيته ﷺ قصور الحيرة ومدائن كسرى وقصور اليمن والشام[2] .

٤- غرس البذرة الطيبة في شخصية الصحابة : كونهم الطليعة المؤمنة والمستنيرة ، ولأنهم أصلح من يساهم بنشوء أمة رسالية ، ولكونهم جيلاً عقائدياً ، وحملهم المسؤولية القيادية بعد ان أعدوا فكرياً وسياسياً .

٥- مبدأ الحزم والانضباط : فقد سيطر النبي القائد ﷺ على المواقف التي مرت بالأمة جميعها، وأشراف عليها بشكل مباشر ،وكان له الأمر الوحيد في حسم المواقف وفقاً لما ترسمه قيادته ويحقق أهدافها وقوله ﷺ في الأحزاب مشهور ، إذْ قال بعد انتهائها :" لا نغزوهم ولا يغزوننا "[3].

٦- الفكر القيادي والعسكري : كان ﷺ يمتلك فكراً وتصوراً كبيراً في أمور القيادة العسكرية ، فنراه قاد كل المعارك الفاصلة ، عدا الغزوات ، فكان يحدد المهام القتالية لجيشه ، وكيفية اتخاذ المواقع ، والمواضع المثالية التي لا يصل اليها الخطأ ، فنراه في بدر واحد والخندق ، إذْ كانت تضرب له قبة على ربوة ، فكانت له قبة في تبوك من أديم

---

[1] سور الأنفال – المجادلة ، الآية ١ .

[2] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٨٢ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٣ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٣٦ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٤ ، ص١٥٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٣٩٠ .

[3] البخاري ، صحيح البخاري ، ج٥ ، ص٤٨ ؛ الطبرسي ، التبيان ، ج٨ ، ص١٢٦ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٠ ، ص٢١١ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٠ ، ص٣٨٣ .

أحمر[١] يشرف منها على كيفية القتال وسير المعارك ، وفوق هذا كان يستعرض جنوده وأحوالهم قبل الحرب ، ويحدد من يصلح ومن لا يصلح للحرب ، بل يهتم في الذراري والنساء ويحدد منازلهم في الحرب.

٧- اللطف الإلهي : كان النبيﷺ منصوراً بلطف الله ومدده ، فرغم كل ما مر بالمسلمين من جوع وتعب وعوز ، لم يقلل ذلك من حالة الثبات في قيادته الحكيمة والواعية المرتبطة بالله ، فيذكر المؤرخون ان الملائكة شاركت المسلمين في معاركهم مثل معركة بدر ،اذ يروى ان المسلمين شاهدوا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض[٢] ، وفي هذه الرواية سئل السبكي عن حكمة مشاركة الملائكة في القتال مع المسلمين ، وان بامكانهم وبريشة واحدة من جناح احدهم ان ينهي المعركة ويقضي على المشركين ، فأجاب : " ان ذلك وقع لإرادة ان يكون الفعل للنبيﷺ وأصحابه " [٣].

في هذه الأسس والصفات القيادية صورة واضحة عن شخصية الرسول ﷺ القيادية ، وأحقيته في القيادة ، بل تفرده بها في غالب الأحيان .

التكافل الاجتماعي :

المجتمع الاسلامي الجديد يمتاز بأنه مجتمع ديني بطبيعته ، وان تعاليم القرآن وسنة رسول الله ﷺ هما غذاء أبنائه اليومي ،فكان لزاماً عليهم ان يتكافلوا اجتماعياً ، فقد كان كل واحد منهم يعرف جيداً انه عضو في جسم الجماعة ، وعليه يجب ان يتعاون ويساهم في كل الأمور مع المجموع .

ولعل أول مبدأ في هذا الباب هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهذا المبدأ يقرر ذلك التكافل الاجتماعي الاسلامي ،مصداقاً لقولهﷻ :(وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[٤] ،وقوله ﷻ: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

---

[١] البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص٦٨ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٤ ، ص٤٢٣ .

[٢] خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج١ ، ص٢١٣ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٤٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص١٢٢٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص١٣٦ .

[٣] ابن حجر ، فتح الباري ، ج٧ ، ص٢٤٣ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٤ ، ص٨٢ .

[٤] سورة آل عمران ، الآية ١٠٤ .

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)[١] ، ونلاحظ في هذه الآية قدم الله تعالى التكافل على الإيمان بالله تنويهاً بأهمية التكافل ، والحث على التمسك به .

ثم ان من أوجه التكافل الاجتماعي أموال الأوقاف التي ورثّها بعض المسلمين لتكون عوناً للضعفاء من المسلمين ، فيروى ان الصحابي الجليل مخيرق من بني ثعلبة بن الفيطون ، والذي كان يهودياً قبل بدر ،فاسلم في بدر وشارك فيها ، واوصى قبل استشهاده في بدر، انه اذا مات فجميع ما يملك ومنها سبع حيطان(بساتين) في المدينة المنورة هي ملك للرسول الكريم ﷺ ، وهذه الحوائط هي (المبيت ، والصائفة ، والحسنى ، وبرقة ، والعواف ، والكلأ ، ومشربة ابراهيم)[٢]، فجعلها النبي ﷺ بعده وقفاً للمسلمين.

وهناك وجه آخر من أوجه التكافل ، ألا وهو الخمس ، فكان خمس رسول الله ﷺ يقسم على المسلمين لطفاً بهم ،وعطفاً عليهم ، باعتباره إحساس جماعي ، لكونه نوعاً من أنواع الترابط الإجتماعي والمشاركة بين الناس ، فيقدم لبعضهم المعونة في جميع مواقع الحياة .

فالتكافل يعني تحمل الجماعة أو الفرد العبء الإقتصادي عن أخيه المسلم ، وحتى غير المسلم أحياناً ، حتى يصبح أخف وأيسر ، وأبعد عن الأضرار بحال الناس ، بل ان التكافل وصل أحياناً الى فك أسرى المسلمين ، وتزويج المحتاج ، والأمر بعيادة المريض ، وإشباع الجائع ، وكل ما من شأنه أن يسهل على المحتاج مصداقاً لقول رسول الله ﷺ :(أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني(*))[٣]، وقوله ﷺ : (ان على المسلمين في فيئهم أن يفادوا أسيرهم ، ويؤدوا عن غارمهم)[٤] .

---

[١] سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .

[٢] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٦٠٥ ؛ الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٣٧٨ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٠٩ ؛ الشيخ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٤ ، ص٢٤٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٤١ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج٥ ، ص٣٠١ .

(*) العاني : هو الأسير ، العاني الأسير الذي أبقوه في الأسر بالقوة ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عنا) .

[٣] البخاري ، صحيح البخاري ، ج٧ ، ص٤ ؛ الهيثمي ، المعجم الأوسط ، ج٢ ، ص٩٢ ؛ البيهقي ، سنن البيهقي ، ج٣ ، ص٣٧٩ ؛ ابن قدامة ، المغني ، ج١٠ ، ص٤٨٩ .

[٤] الإسكافي ، ابو جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي السمرقندي (ت ٢٤٠هـ) ، المعيار والموازنة ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، الهند ١٣٩٩هـ ، ص٢٣٦ ؛ احمد بن حنبل ، مسند احمد بن حنبل ، ج١ ، ص٣٢٠ ؛ النسائي ، سنن النسائي ، ج٧ ، ص١٢٩ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢ ، ص٤١٥ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٦ ، ص٤٧ .

مما تقدم يعني ان التكافل الإجتماعي في المجتمع الإسلامي لا يحده حد أو مانع أو ممنوع ، بل انه يشمل كل مناحي الحياة ، وأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية وحتى السياسية ، فإذا تكافل المجتمع أصبح نواة طيبة لبناء أمة طيبة عظيمة قادرة على نشر الفكر والدين الجديد ٠

المسؤلية:

تعني تحمل التبعية ، عما ينتج من عمل أو تصرف أو فكر ، وتتضح المسؤولية الكبرى عند القادة أصحاب القرار ، في قيادة الأمة وتصريف أمور الرعية ورعاية شؤونها وإدارتها ، وهدايتها الى أفضل السبل واجداها في دفع الأخطار عنها ومسؤوليته في حل المعضلات التي تواجه الأمة كذلك المسؤلية تختص بتربية امة صالحة ورعاية شؤونها التربوية وتزكيتها روحياً ، وبعث السجايا الكريمة في نفوس أبنائها جماعات وآحادا ، وإبعاد كل ريب عنها لتكون خالصة الجوهر نقية صافية ، هذا فضلاً عن رعاية العلاقات الروحية في ما بين الأفراد والجماعات ، لتبقى سليمة وحميمة قائمة على أسس قوية ٠

ومن شأن المسؤلية ايضاً تحقيق الأهداف التي تتوخاها الأمة وان يرعا بها الشؤون الادارية والمالية وسد حاجات أبناء الأمة ، ومن المسؤلية الكبرى إعداد قادة وأمراء لتحمل المسؤوليات الأدنى ، ولنا في العصر الرسالي شواهد كبيرة تؤكد تحمل عظم المسؤولية مثل مسؤولية جعفر بن ابي طالب‹عليه السلام› في هجرة الحبشة وتحميل مصعب بن عمير‹رضي الله عنه› مسؤولية السفارة الى المدينة وتكليف أسامة بن زيد‹رضي الله عنه› مسؤولية قيادة احدى السرايا الى الشام ، خارج حدود الدولة الجغرافية[1] ، وهؤلاء جميعا من الشباب الذين نهلوا مفاهيم المسؤولية من معلمهم الأول صاحب المسؤلية الكبرى النبي الكريم ﷺ ٠

هذا اذا علمنا ان مهام المسؤلية جسيمه في العهد النبوي وفي دولة الرسول ﷺ، فعليه مسؤولية تحمل الرسالة والصراع المرير من اجلها لإرساء الدين الجديد ، ومسؤولية ازالة الفوارق الطبقية ، والخلافات المتأصلة ، ومسؤولية التحدي بالنسبة للخصوم من مشركين ويهود ، ومسؤولية بناء عواطف راسخة قائمة على الأساس العقائدي ، واكبر المسؤوليات وأهمها المسؤولية الحربية الكاملة كونها تشكل احد المسؤوليات المصيرية ، هذا إذا علمنا ان معارك ومغازي النبي ﷺ تقدر بين إحدى وعشرين أوسبع وعشرين غزوة وست وخمسين أوسبعين

---

[1] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص١٨٩ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٦٠١ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٢٣٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٣١٦ ٠

سرية[١] ، ومسؤوليته أمام الله والمجتمع ، تحمل مسؤولية المحافظة على المجتمع الجديد وترسيخ أسس التماسك والتعاضد الى ابعد مدى ممكن وأقصى غاية تستطاع ، ومسؤولية مهمة في إعداد جيل من الصحابة قادرين على تحمل المسؤلية في نشر الدين والحفاظ علية ٠

الأمة :

الأمة في اللغة تعني الطريقة والدين والنعمة، وأمة الرجل قومه ، والأمة الجماعة ، والأمة هو الرجل المنفرد بدينه لا يشاركه فيه أحد كقوله ﷻ : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[٢]، والأمة تعني الملك ، وتعني أتباع الأنبياء[٣] ٠

والأمة الاسلامية أمة منتدبة من الله تعالى ، انتدبها لإعلاء دينه وتبليغ وحيه ، ولتحرير باقي الأمم والشعوب ، وبهذا الوصف وصفها الله بأنها خير الأمم لقولهﷻ : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)[٤] ، وما دام أمرها كذلك ، يجب عليها ان تبني كيانها الداخلي ، وتحافظ عليه وتكافح لنيل حقها ، وتجاهد لتتبوأ مكانتها التي وضعها الله بها ، وان لا تدع في منهاجها الوهن والذل ، وان لا تدعوا الى السلم طالما انها لم تصل الى غاياتها وأهدافها ، والسلم في ظرف تأسيسها ليس له معنى ، بل انه يعني الذل والجبن والدون من العيش ،مصداقاً لقوله ﷻ : فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)[٥]، والعلو هنا يعني عظم العقيدة والخلق والأدب والعلم والإيمان ، والسلم في الاسلام يجب ان يكون من موقع القوة والاقتدار ، وهذا شرط رباني لا يجوز العمل بغيره ، ولعل في هذا الأمر برنامجاً سياسياً ، وعلى هذا الأساس خاطب الله تعالى المؤمنين (جاهدوا ، اعملوا ، اصبروا ، اعبدوا ..) ، ولم يكن الخطاب لفرد بل لجماعة ، ونعني الأمة ، والأمة لا تعني الكثرة في العدد

---

[١] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٤ ، ص١٠٢٧ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٥ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج١ ، ص٣٩٨ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٤٠٥ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٣٤١ ٠

[٢] سورة النحل ، الآية ١٢٠ ٠

[٣] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (أمة) ٠

[٤] سورة آل عمران ، الآية ١١٠ ٠

[٥] سورة محمد ، الآية ٣٥ ٠

، بل يعني بها النوع ،كون الكثرة غير محمودة مصداقاً لقوله ﷻ:(وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ، وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ، وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ، وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ، وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ، وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ..)[1] .

ثم خاطب الله تعالى هذه الأمة مبيناً بعض أوصافها وصفاتها راسطاً دورها الإنساني والأخلاقي ، بقوله ﷻ: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[2]، وقوله ﷻ: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)[3] ، وأكد الله تعالى انه هو من خطط دور هذه الأمة ولم يكن لأحد دور في تكوينها ، بل كان الدور للنبي الكريم ﷺ في إدارتها ،مصداقاً لقوله ﷻ: (هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، هُوَ اجْتَبَاكُمْ، اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ ، هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا..)[4] .

كما شهد رسول الله ﷺ في حديثه (خير القرون قرني)[5] ولا مقام أعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ، وان هذه الأمة خيرت على سائر الأمم ، ولا شئ يعادل الله بذلك ، ولا شك ان الصحابة هم المقصودون أولاً بالخطاب كونهم صدر الأمة وعمومها ، وهذا الخطاب على عموم المسلمين ولا يعني خطاباً فردياً ، ولا يخص المؤتلفة قلوبهم أو الذين شك في إيمانهم ،كون هذا المعنى لا يتفق وان يجعل من هؤلاء خيراً من حواري النبي عيسى ؑ أو الصالحين من الأمم السالفة .

مما تقدم يتضح بان مفهوم الأمة هو برنامج سياسي ، عقيدي ، إيماني ، أخلاقي ، ذات أبعاد سياسية واجتماعية وفكرية ، تحتم إدارتها من الرسول ﷺ وضع الخطط والبرامج تتفق مع أهدافها ومراميها ، فهي تعتبر بالنتيجة جانب من جوانب الفكر السياسي للنبي ﷺ.

---

[1] سور ، آل عمران– التوبة–المائدة–النحل– المؤمنون–الشعراء، الآيات ١١٠ –٨–١٠٣– ٨٣– ٧٠ – ٢٢٣ .

[2] سورة آل عمران ، الآية ١٠٤ .

[3] سورة البقرة ، الآية ١٤٣ .

[4] سور الحج –فاطر – الحج – البقرة – الأحزاب – غافر ، الآيات ٧٨ – ٣٢ – ٧٨ – ٢٥٧ – ١٧ – ٧ .

[5] زيد بن علي ، زيد بن علي بن الحسين بن علب بن ابي طالب القرشي (ت ١٢٢ هـ) ، مسند زيد بن علي ، دار الحياة ، بيروت ، لا. ت ، ص٤١ ؛ الشيخ المفيد ، الإفصاح ، ص٤٩ ؛ السرخسي ، المبسوط ، ج١ ، ص٣ ؛ الغزالي ، المنخول ، ص٥٨٤ ؛ ابن الجوزي ، الموضوعات ، ج١ ، ص١٠ ؛ الهيثمي ، الزوائد ، ج١٠ ، ص٢٠ .

مقاومة الطغاة :

الطغاة : جمع طاغٍ ، وهو من تجاوز الحد من العصيان ، والطاغية ، الظالم الذي يسهر سلطانه لظلم الرعية على ما شاء تحكماً وظلماً (سواء كان حكمه مشروعاً أوغير مشروع) ، والطاغية ، هو الأحمق المستكبر الظالم الذي لا يبالي[١].

فقد تمثل الطغيان بمشركي مكة ، ومحاولاتهم إطفاء نور الله ، من خلال استغلال الفقراء واستعباد الضعفاء من الناس ، ولما أدرك هؤلاء الطغاة طبيعة الدعوة الاسلامية وأهدافها ، وإنهم سوف لم يتمكنوا في ظلها الإحتفاظ بامتيازاتهم الظالمة التي جعلوها لأنفسهم ، وبعد ان تأكدوا ان الرسول ﷺيرفضها شكلاً ومضموناً ، وان الناس سواسية كأسنان المشط ، وان الدين جاء ليتمم مكارم الأخلاق ، وانه سوف يمنعهم من ممارساتهم اللاأخلاقية واللاإنسانية التي كانوا يحرصون عليها أكثر من حرصهم على آلهتهم التي يصنعونها من الحيس (التمر الذي ينزع نواه ويخلط بالسمن والدقيق) يأكلونها اذا جاعوا ، وفيهم يقول الشاعر :

أكلت حنيفة ربها يوم التقحم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة[٢]

في حين كان الرسولﷺ يؤكد مفهوم كرامة الإنسان وحريته ، ويناصر قضاياهم وآلامهم ، ويؤكد تعاليم الاسلام والتي في مقدمتها تحريرهم من سيطرة وغطرسة أولئك الطغاة المتجبرين ، الا انهم عملوا على محاربة النبيﷺ وتضييق المدى على أفكاره .

وعلى هذا الأساس أخذت مقاومة الطغاة أشكالاً متعددة وفقاً للدوافع ، ومنها ما يهم على سبيل المثال لا الحصر:

الدافع الديني : ان انتصار الاسلام كان يستلزم إزالة المعتقدات والعبادات الجاهليةالتي كانوا قد ألفوها واعتادوا عليها ، اذ لم تكن في عبادتهم فكرة حية واضحة ، ولم يكون لهم رجال دين متحمسون ، ينشرون الفكر الديني لديهم ،فكان دينهم لهواً ولعباً ،بل ان دينهم تردى كثيراً في قلوب أبناء الجزيرة العربية ،وكانت الوثنية أشبه بالقشرة الرقيقة التي تخفي إيمان كبير ،ظهر في دعوة الرسول الكريم ﷺ،وبالرغم من هذا الفكر الجامد إلا انه كان متغلغلاً في نفوسهم ، الامر الذي زاد من قوة المقاومة التي واجهوا بها الاسلام ، وفي القرآن الكريم آيات تبين أثر هذه الروح الممانعة المقاومة للإسلام ، كما في قولهﷻ : (مَا هَذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ

[١] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (طغى) .

[٢] الجوهري ، الصحاح ، مادة (التباع) .

يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ)[1]، وقوله ﷻ : (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ)[2] ، وقوله ﷻ: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا)[3] .

الدافع الاجتماعي : جاء الاسلام وهدد المجتمع القديم بسلبياته ، ولو ان الاسلام كان لا بد وان يؤدي الى نتائج اجتماعية وسياسية مهمة ، فلا بد لأتباع الدين الجديد ان ينفصلوا عن أتباع الدين القديم ، وان يشكل المسلمون كتلة قائمة بذاتها ، يتناصروا فيما بينهم ، بصرف النظر عن القبيلة ، بل ان هذا التكتل سيمتد الى الأسرة الواحدة ، وقد أشار القرآن الى أزمات حصلت في بعض الأسر بين الأولاد والآباء ، لقوله ﷻ : (وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)[4] ، وكما ذكر آنفاً ان الاسلام يدعو الى تنظيم اجتماعي يختلف بشكل أساسي عن التنظيم السابق للإسلام في مكة خصوصاً ، فهو يدعو الى الرحمة والشفقة والعطف والاستقامة ..الخ ، وان الاسلام أشار ايضاً الى ان مصير آبائهم الأقدمين لن يكن بخير ، فان مصيرهم النار ، كونهم كانوا ينكرون البعث والمعاد ، اذ تكرر ذلك في القرآن الكريم ، لقوله ﷻ : (وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)[5]، وقوله ﷻ :(أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[6] ، وقوله ﷻ:(بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا)[7] .

الدافع السياسي : من المعلوم ان المجتمع الجديد (الإسلامي) لا يدين بالطاعة الى الرؤساء القدماء ، بل يرتبط بالرسول الذي تأتي بواسطة أحكام الاسلام والقرآن ، مصداقاً

[1] سورة سبأ ، الآية ٤٣ .

[2] سورة الزخرف ، الآية ٢٢ .

[3] سورة لقمان ، الآية ٢١ .

[4] سورة ألأحقاف ، الآية ١٧ .

[5] سورة الأنعام ، الآية ٢٩ .

[6] سورة الرعد ، الآية ٥ .

[7] سورة الفرقان ، الآية ١١ .

لقوله ﷺ : (وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)[1]،وقوله ﷺ : (قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)[2] .

ثم ان اهل مكة وقريش بالذات كرهوا ان ينزل الوحي على رجل منهم ، لقوله ﷺ: (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ)[3] ، وقوله ﷺ: (أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[4] .

أما أساليب المقاومة وفقاً للدافع السياسي فقد اتخذ المشركون طرئق متعددة لمقاومه الرسول ﷺ والدعوة وقد أشار القران الكريم الى بعضها .

- اتهموه بأنه ساحر وان ما جاء به سحر، مصداقاً لقوله ﷺ :(وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ)[5] .
- اتهموه بالجنون كما في قولة ﷺ:(وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ)[6].
- اتهموه أيضا بالكذب وانه مفتر كما في قوله ﷺ:(أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ)[7].
- ونسبوا إليه ان أعجميا يلقنه كتاب الله ، اتهموه بان ما جاء به لم يكن جديداً عليهم ، بل هو من أساطير الأولين بقوله ﷺ : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)[8] .
- نسبوا اليه انه شاعرٌ، وانه بشر مثلهم ، فلم يصدقوا ان الرسول يمكن ان يكون بشرا ، مصداقا لقوله ﷺ: (وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ)[9] ،وقوله ﷺ :(سُبْحَانَ

---

[1] سورة الأحزاب ، الآية ٧١ .

[2] سورة آل عمران ، الآية ٣٢ .

[3] سورة يونس ، الآية ٢ .

[4] سورة الأعراف ، الآية ٦٣ .

[5] سورة الأنعام ، الآية ٧ .

[6] سورة الحجر ، الآية ٦ .

[7] سورة القمر ، الآية ٢٥ .

[8] سورة الفرقان ، الآيات ٤و٥ .

[9] سورة الصافات ، الآية ٣٦ .

رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً)[1] .

- وطلبوا منه ان يأتي بالمعجزات ، فقد ذكر ﷻ: (وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً)[2] .
- كانوا يشكون فيما جاء به من كتاب ويجحدون آيات الله و ينكرونها ويكفرون بها ،وكانوا يسخرون من المسلمين كما في قوله ﷻ: (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ)[3]، فكان اذا جلس رسول ﷺ الله مجلسا وحذر قومه مما أصاب الأمم السالفة من نقمة الله ، ينبري اليه النظر بن الحارث وهو من شياطين قريش ، فيقول: (انا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه فهلموا إلي فيحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار ثم يقول بماذا محمد أحسن حديثا مني)[4] . أمام هذه الأساليب المتنوعة لمقاومة الطغاة والشياطين ويجب على الرسول الكريم ﷺ ان يضع الخطط والسياسات والبرامج لمجابهة هذه المقاومة .

حكم الأنبياء :

الحكم هو العلم والفقه والقضاء بالعدل ، وهو الفصل بين الناس[5] ، اما حكم الأنبياء فهو حكم بأمر الوحي ، منصوص عليه بالكتاب ، لقولهﷻ : (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ)[6]، وقوله ﷻ: (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)[7] .

ثم ان الله بعث أنبياءه لكل الأمم يحكمون بالقسط بين الناس ، لقوله ﷻ: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)[8] .

---

[1] سورة الإسراء ، الآية ٩٣ .

[2] سورة الإسراء ، الآيات ٩٠-٩٢ .

[3] سورة المطففين ، الآية ٢٩ .

[4] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٣٢٠ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج١٨ ، ص٢٤٢ .

[5] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (حكم) .

[6] سورة المائدة ، الآية ٤٤ .

[7] سورة المائدة ، الآية ٤٥ .

[8] سورة يونس ، الآية ٤٧ .

وان حكم الأنبياء لم يحدد فيه العمر(السن) ، والثبات على الحكم، فمن ناحية العمر ، أوحى الله لبعض أنبياءه وهم صبيان كما أوحى الى النبي يحيى عليه السلام وهو صبي ، لقوله ﷻ:(يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا)[1] ، ويروى ان النبي سليمان قضى بإذن الله وهو ابن أحدى عشر سنة ، بعد ان أوحى الله الى داود ان يستخلف سليمان وهو صبي يرعى الغنم[2] وأوحى الى موسى بعد ان استوى وبلغ أشده ، لقوله ﷻ : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)[3]، وينطبق الحال على لوط وداود وباقي الرسل (عليهم السلام) .

ولربما يرد سؤال هو هل ان حكم الأنبياء ثابت وملزم ؟ هناك دلائل على عدم ثبات الحكم ، اذ ان في قضية واحدة حكم بها نبيين في أحكام مختلفة ، اذ نسخ كل حكم الآخر ، وخير دليل على هذا ، عندما حكم الأنبياء داود وابنه سليمان (عليهما السلام) في قضية الغنم التي نفشت في حرث القوم ، وكما وردت في قوله ﷻ: (وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ)[4] ، وملخص القصة ان زرعاً وقعت فيه غنم ليلاً فأكلته ،وكان كرماً في عناقيده ، فحكم داود عليه السلام لصاحب الكرم، وقال سليمان عليه السلام :غير هذا يا نبي الله ، قال وما ذاك ؟ قال : يدفع الكرم لصاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ، ويدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها ، حتى اذا عاد الكرم كما كان ، ثم يتوكل كل واحد منهما الى صاحبه ماله[5] ، ولا يمكن لأحدهما ان يجتهد في الحكم ، بل ان الله نسخ حكم حكم داود بحكم سليمان ، اذ لا يجوز القول بان النبي داود عليه السلام اجتهد، حيث لا يجوز ان يحكم النبي بالاجتهاد ، فقال الله ﷻ في حكم النبي سليمان عليه السلام: (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا

---

[1] مريم، الآية ١٢ .

[2] الشيخ الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٣٨٢ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٣ ، ص٤٤٦ .

[3] سورة القصص، الآية ١٤ .

[4] سورة الأنبياء ، الآية ٧٨ .

[5] الطبري ، تفسير الطبري ، ج١٧ ، ص٦٧ ، الطوسي ، التبيان في تفسير القرءن ، ج٧ ، ص٢٦٧ ؛ الطبرسي ، تفسير مجمع البيان ، ج٧ ، ص١٠٣ ؛ الشوكاني ،محمد بن علي بن محمد (١٢٥٠هـ) فتح القدير ، عالم الكتب ، بيروت،لات ،ج٣ ، ص٤٢٣ .

حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ)[١] ، وهذا يعني ان الحُكمين بشرعنا وعلمنا، لكن الله نسخ حكم داود بحكم سليمان .

وهذا يختلف بشكل كامل مع حكم نبينا محمد ﷺ، اذ لا تجوز مخالفته بأي شكل من الأشكال ، بل ان مخالفته تعتبر كفراً يجيز عليه القتل ، لقول ﷻ : (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً)[٢] ، وهذا يعني أن من يخالف الحكم يخالف الله بالنتيجة ،وخصوصاً ان الأحكام الخاصة بالتحليل والتحريم لا يمكن مناقشتها لغرض نقضها أو حتى الشك بها .

من كل ما تقدم وتأسياً على مفهوم المصطلحات التي أشرنا اليها في هذا المبحث أسس النبي الكريمﷺ نظريته السياسية في تأسيس الدولة الجديدة وأدارتها وصناعة الإنسان لجديد.

---

[١] سورة الأنبياء ، الآية ٧٩ .

[٢] سورة النساء ، الآية١٠٥ .



الفصل الثالث

تأسيس الدولة الإسلامية

فكرة تأسيس الدولة والإعداد لـها

لغرض معرفة الأفكار الأولى في صيرورة دولة النبي ﷺ الإسلامية يجب ان نقف عند بعض الأحداث التي من خلالها نستنتج هذه الأفكار التي دلت بشكل أو بآخر على الأفق السياسي في فكر النبي ﷺ بخصوص تشكيل الدولة وحسب التسلسل التاريخي وهي:

١. **الخطاب السماوي** : من خلال إشارات القرآن الكريم من الدعوة الإسلامية التي بشر بها النبي ﷺ لم تكن محلية و لكنها ذات صفة عالمية ، إذْ أشار الله بقوله ﷻ : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)[١] وقوله ﷻ: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)[٢] . وقوله ﷻ : (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ) [٣] ، وهناك العديد من الآيات التي تؤكد عالمية الرسالة ، وعدم تخصيصها على الإطلاق لقبيلة أو قوم ، على الرغم من أن النبي ﷺ أرسل الى قومه في بادئ الأمر إلا ان نطاق دعوته اتسع لتستوعب كل الإنسانية لقوله ﷺ: (بعثت إليكم خاصة والى الناس عامة)[٤] ، وقوله: (بعثني الله رحمة وهدى للعالمين)[٥] ، ويقول ﷺ: (بعثت للأسود والأحمر) ، والمقصود بالأسود

---

[١] سورة الأنبياء ، الآية ١٠٧ .

[٢] سورة الفرقان ، الآية ١ .

[٣] سورة ص ، الآية ٨٧ .

[٤] النسائي ، أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي الشافعي (ت ٣٠٢هـ) ، خصائص أمير المؤمنين ،تحقيق محمد هادي الأميني ، مطبعة نينوى الحديثة ١٣٧٩هـ ، ص٨٦ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٢ ، ص٣١٢ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٨ ، ص٣٠٢ . القندوزي ، ينابيع المودة ، ج١ ، ص٣٢٢ .

[٥] الإمام احمد بن حنبل ، مسند أحمد ، ج٥ ، ص٢٥٧ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٦ ، ص٢٦٠ ؛ ابن كثير ، تفسير بن كثير ، ج٣ ، ص٢١١ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٢ ، ص٣٢٤ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج٣ ، ص٦١٠ .

العرب لأن غالب ألوانهم الأدمة فهم سمر سود ، والحمر هم العجم ([1]) فرسالات الأنبياء من قبله كانت لأقوامهم ، وان رسالته كانت أعم وأشمل من باقي الرسالات ، وهي أيضا تتفق مع الشرائع السابقة وتستوعب أممها ٠

٢. **الهجرة الى الحبشة** : وكانت في السنة الخامسة من المبعث النبوي الشريف ، هاجر بها المسلمون من مكة إلى الحبشة هجرتين ، وكان عددهم ثلاثة وثمانين رجلاً و احدى عشرة امرأة ، كانت الهجرة الأولى بزعامة عثمان بن مضعون ﷺ ، عادوا بعد سماعهم إسلام أهل مكة حين سجدوا مع رسول الله ﷺ على أثر قصة الغرانيق ، والثانية بعد شهرين من الأولى بزعامة جعفر بن أبي طالب(عليه السلام) ([2])، واستمرت حتى فتح خيبر ، وحين عاد جعفر ومن معه وكانوا ستة عشر رجلاً عدا النساء ، قبله رسول الله ﷺ بين عينيه وقال (ما أدري بأيهما أفرح بقدوم جعفر أو بفتح خيبر)([3]) وكانت خيبر في السنة السابعة من الهجرة ، أي أنهم امضوا في الحبشة بحدود خمسة عشر عاماً ، ومن المفيد ان نذكر لأغراض البحث وفاة سبعة من الصحابة ، وتنصر صحابي واحد في الحبشة هو عبيد الله بن جحش بن رباب بن يعمر الآسدي، ابن عمة رسول الله ﷺ أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، زوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب(رضي الله عنها) فزوجها النجاشي الى الرسول ﷺ ودفع صداقها من ماله([4]) ٠

([1]) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٩١ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٣ ، ص٣ ؛ الشيخ الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٨٠ ؛ ابن حزم ، المحلى ، ج١١ ، ص٨١ ؛ السرخسي ، المبسوط ، ج٥ ، ص٣٨٠ ٠

([2]) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ و ص٢٣ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري و ج٢ ، ص٣٢٨ ؛ ابن شهر آشوب ، مناقب آل ابي طالب ، ج١ ، ص٣٣٣ ؛ ابن الأثير ، اسد الغابة ، ج٣ ، ص٢٥٣ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٨ ٠

([3]) ابن هشام ،السيرة النبوية ،ج٢ ، ص٨١٨؛ ابن سعد ،الطبقات الكبرى ،ج٢،ص١٠٨ ؛ البلاذري ،أنساب الأشراف ،ص٢٢٣ ؛الطبراني ،الأحاديث الطوال ،ص٤٥ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين،ج٤ ،ص٤٦ ٠

([4]) ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٨٨ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٤١٤ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٢ ، ص١٨١ ٠

يتفق معظم المؤرخين المسلمين على أسباب الهجرة الى الحبشة ، إذْ استندوا على أقدم نص تاريخي بهذا الشأن وهو رسالة عروة بن الزبير الى عبد الملك بن مروان إذْ يقول فيها : " أما بعد فانه (يعني النبي ﷺ) لما دعا قومه لما بعثه الله من الهدى والنور الذي انزل عليه لم يبعدوا من أول ما دعاهم وكادوا يسمعون له حتى ذكر طواغيتهم ، وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال ، انكروا ذلك عليه وكرهوا ما قال ، وأغروا به من اتباعهم ... ثم أئتمرت رؤوسهم بان يفتنوا من تبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم ،فكانت فتنة شديدة الزلزال على من اتبع رسول الله من أهل الاسلام ، فافتتن من افتتن وعصم الله منهم من شاء ، فلما فعل ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله ﷺ ان يخرجوا الى أرض الحبشة ، وكان بالحبشة رجل صالح يقال له النجاشي لا يظلم احد في أرضه .. وذهب اليها عامتهم لما قهروا في مكة .. "([١]) ، هذا يعني ان القبائل المكية اتفقت على ان تثب على كل من أسلم من قبائلهم ، ويفتنونهم عن دينهم ، ويعذبونهم بالحبس والضرب والجوع وبغير ذلك من الأساليب الوحشية واللاانسانية ٠

وقد ذكر الله في كتابه الكريم الآيات القرآنية التي تشير أو توحي الى دوافع هجرة ، وذكر منها الاضطهاد الشديد على المسلمين ، ومحاولات المشركين لفتنتهم ،مصداقاً لقوله ﷻ :(الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)([٢]) ، وقوله ﷻ : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)([٣]) ، وقوله ﷻ: (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ)([٤]) ٠

لا نستطيع من خلال هذه الآيات التأكد من انها نزلت في الهجرة الى الحبشة ، إلا ان المؤرخين يجمعون على ان الإضطهاد الشديد والفتنة وقعت على المسلمين قبيل الهجرة وبعدها ، مما يحملنا على الاعتقاد بان معظم هذه الآيات لا تتعلق بالهجرة الى

---

[١] الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٦٨ ؛ تفسير الطبري ، ج٩ ، ص٣٢٨ ؛ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٢ ، ص٢٣٢ ٠

[٢] سورة العنكبوت ، الآيات ١-٣ ٠

[٣] سورة النحل ، الآية ١١٠ ٠

[٤] سورة البروج ، الآية ١٠ ٠

الحبشة ، وتحملنا على ترجيح ان اُضطهاد وخوف الفتنة لن يكونا السبب الرئيس للهجرة الى الحبشة .

فلو تمعنا في أسماء من هاجر نجدهم أسماء صحابة كبار ومن اكبر القبائل ، ولم يتعرضوا للإضطهاد أو الفتنة ،وأنهم رجال يملؤهم المعتقد الإيماني الصحيح ، فلم نجد أية رواية أو إشارة أو تلميح تدل أو تشير الى اضطهاد جعفر بن أبي طالب (بني هاشم)، أو عثمان بن عفان ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وخالد بن سعيد بن العاص (بني عبد شمس) ، أو الزبير بن العوام (بني أسد)، أو عبد الرحمن بن عوف (بني الحارث بن فهر) أو عثمان بن مظعون وإخوانه (بني جمح) ، أو هشام بن العاص(بني سهم) ، أو أبو عبيدة عامر بن الجراح (بني الحارث) ، أو أبو سبرة بن ابي رهم (بني عامر بن لؤي) أو عامر بن ابي وقاص (بني عبد بن قصي) ، أو عبد الله بن مسعود(بني هذيل ،حليف لبني عبد بن قصي) ، او المقداد بن عمرو (بني قضاعة حليف بني عبد بن قصي)[1] ، وهكذا بقية الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين) ، هؤلاء لم يعذبوا أو يفتتنوا ، او يمارس ضدهم ما يكره ، ولم نجد بينهم من عذب في رمضاء مكة ، او اضطهد مثل من اضطهد الموالي كبلال بن رباح ، وصهيب بن سنان الرومي ، وعمار بن ياسر ، وخباب بن الأرث ، وعامر بن فهيرة ،(رضوان الله عليهم أجمعين)[2]، هؤلاء من عذب وأرهق ، وناله البلاء ، لكنهم لم يفتتنوا أو يرجعوا عما آمنوا به ، فكيف بالآخرين !

وإذا جاز لنا القول ان هذه أسباب تدعوا للهجرة ، لكنها ليست بالتحديد هجرة الحبشة ، لأنها لا تنسجم والشخصيات التي ذكرنا آنفاً ، ويمكن ان نجد بعض الأسباب للهجرة الى الحبشة ، منها :

---

[1] لمزيد من المعلومات ، أنظر ، الجيزاني ،رحمن حسين علي ، الهجرة الى الحبشة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية ، ابن رشد ٢٠٠٤م ، ص٤٣-٥٠ .

[2] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٥٠٤ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١٨٣ ؛ الطبري ، المنتخب من ذيل المذيل ، ص١٥٥ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص١٩٦ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٤٩٢ .

١- ليس للمسلمين نصير في شبه الجزيرة العربية في هذه الحقبة الزمنية : كون الدعوة في بداياتها ، وكان التعرض واضحاً لتسفيه الديانة السابقة ولما يعبدون من دون الله ، فكان من بمكة يناصب المسلمين العداء، هنا لا بد من مكان جديد آمن للحفاظ على حياة المسلمين ، و يوفر لهم حرية الحركة ، بعيداً عن معسكري الصراع (إمبراطوريتي الفرس والروم) ، ولو أن النجاشي يتفق مع الروم في العقيدة ، لكنه يبدو ان العلاقات الاجتماعية والتجارية كان لها أثر كبير في استضافة المهاجرين ٠

٢-كان لبعض المهاجرين علاقات تجارية وصداقات مع ملك الحبشة ، كعبد الرحمن ابن عوف وهشام بن العاص السهمي، وجعفر بن أبي طالب [١] وهذا واضح من خلال خطاب والده ابي طالب بن عبد المطلب لملك الحبشة النجاشي ، إذْ كان يخاطبه بدون تكلف ، فنراه يوصية بقصيدة([٢]) بعثها مع بعض المهاجرين ، بعد ان لقي المهاجرون المساعدة والنصرة ، يقول فيها :

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر وعمرو وأعداء النبي الأقارب

وهل نال إحسان النجاشي جعفر وأصحابه أم عاق عن ذلك شاغب

وتعلم أبيت اللعن انك ماجد كريم فلا يشقى لديك المجانب

وانك فيض ذو سجال غزيرة ينال الأعادي نفعها والأقارب

وهذه إشارة الى النبي الكريم ﷺ آمن على المسلمين بجوار النجاشي و بحاميته ٠

٣-وهناك سبب رئيس آخر هو الحفاظ على حياة المسلمين كقوة إسناد أو إنقاذ محتملة ، مع ملك الحبشة المسلم ، والإفادة منهم في حالة حصول حرب أو استخدام العنف بالسيف من قبل المشركين لقمع الدعوة في مكة ، أو خوفاً من تعرض المدينة فيما بعد للعدوان من الشمال الرومي أو الشرق الساساني ، وهذا السبب المهم تؤيده طول مدة بقاء المسلمين في الحبشة، مع العلم ان المسلمين خلال زمن الهجرة انتقلوا من

---

[١] العمروسي ، فايد ، طائر الجنة جعفر بن أبي طالب ، دار الشروق ، بيروت ١٩٧٣م ، ص٢٤-٢٥ ٠

[٢] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٢٢ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٢ ، ص٦٢٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٧٦-٧٧ ؛ بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن ، مع المصطفى ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٢ م ، ص١٠٧ ٠

مكة الى المدينة ، وأسسوا دولة ، وجيش ، ودخلوا عدة معارك وغزوات انتصروا فيها ، وكان بالامكان عودتهم ،لكنهم لم يعودوا ، إلا بقرار من الرسول ﷺ في العام السابع الهجري .

٤- أورد بعض المستشرقين أسباباً أخرى لهجرة الحبشة ومنهم ، مونتجومري وات([1]) ، ان أسبابا اقتصادية دعت للهجرة ، استناداً لرسالة عروة بن الزبير سالفة الذكر ، والتي يقول في جزء منها (كانت الحبشة متجراً لقريش يتجرون فيها ، ويجدون فيها رفاغاً من الرزق ،وأمناً ومتجراً حسناً)([2]) ، وهذا لم يظهر للعيان ، إذ لم نجد أية إشارة الى ان المهاجرين كانوا يرسلون المساعدات والأموال للنبي ﷺ ومن معه ، هذا من جهة ، وكان النبي ﷺ يحرص على العقيدة والإنسان أكثر من حرصه على التجارة ، فلا بد ان تكون الهجرة لأمر يخص الدعوة للدين وتثبيته والحفاظ عليه ، ولأغراض أخرى ، مثل الإيحاء لأهل اليمن بخطورة التجارة مع مكة ، وان الأوضاع فيها غير مستقرة ، وهذا يشجعهم على المتاجرة مع الأحباش ويحرم أهل مكة منها ، وهذا هدف سياسي بغرض اقتصادي تجاري ، يخص الأحباش لا المسلمين ، وهذا دليل على النضج الفكري والسياسي للنبيﷺ .

٥- لعل النبي ﷺ أراد من هذه الهجرة أن يميل الأحباش وهم نصارى تابعون عقائدياً للروم لجانبه من خلال وفد المهاجرين ،وهم نصارى ، وان اهل مكة كانوا يميلون للفرس ، والمسلمون كانوا يريدون انتصار الروم على الفرس([3]) ، ولعل موقف الفرس بعدائهم للروم لا يرض الأحباش ، وفي هذا تفكير سياسي عسكري ، ولعله أشبه بالاتفاقية غير المعلنة أو الموثقة .

---

[1] محمد في مكة ، ص١٨٢ .

[2] الطبري ، تاريخ الطبري، ج٢ ، ص٦٨ ؛الأصبهاني ، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي (ت٥٣٥هـ) ، دلائل النبوة ، تحقيق محمد محمد الحداد ، دار طيبة ، الرياض ١٤٠٩هـ ،ص١٦٥ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص١٦٥ ؛ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٢ ، ص٣٢٢ .

[3] البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٨ ، ١٢٩ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢١، ص٢٠ ؛ الشيخ الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص٢٦٩ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج١٢ ، ص٢٤ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج٨ ، ص٢٢٧ .

هناك رؤى وأسباب أخرى في غير المجالين السياسي والتجاري للهجرة أوردها مونتجومري وات ([1])، وهي تدخل ضمن محاور البحث ٠

ولو عدنا الى ما تقدم من أسباب نجدها سياسية عسكرية احترازية اقتصادية ، تهدف جميعا بالنتيجة الى تكوين وبناء كيان سياسي مستقل للمسلمين ٠

٣-حصار الشعب

وكان في السنة التاسعة من المبعث النبوي ، وأستمر بحدود ثلاث سنوات ، ولو تأملنا قليلاً في موضوعة حصار الرسول ﷺ ومن تبعه من مسلمين وغير مسلمين في شعب أبي طالب([2]) ، نلاحظ ان النبي ﷺ ومن معه شكلوا كتلة لها كيان مستقل ، لها قاعدة ، وخطاب سياسي ، الأمر الذي جعل من مشركي قريش أن يكتبوا صحيفة المقاطعة ، ويوقعها أشرافهم، عملاً بمبدأ المعاهدات (البروتكول) بين فرقين ،لتعلق في جوف الكعبة وليطلع عليها كل من زار البيت ، ومن المعلوم ان زوار البيت هم ليسوا من مكة أو الحجاز فقط ،بل من كل أنحاء الجزيرة العربية وما جاورها من الأمم ، هذا الإجراء جعل من كيان النبي ﷺ وأصحابه كيانا يحسب له حساباً ، ولا يتعامل معه بسرية على انه مجموعة أفراد ، وهذا ملمح كبير يؤكد الكيان السياسي للنبي ﷺ وأصحابه ٠

٢-الخروج الى الطائف :

---

(1) محمد في مكة ، ص١٨٢ -١٨٩ ٠

(2) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص١٦ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١١ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٧٤ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٢٠٠.

خرج النبي ﷺ الى الطائف في السنة الثانية عشر من البعثة النبوية الشريفة ، وأقام فيها مدة شهر [1] ، وبسبب تفاعل الأحداث أقتنع الرسول الكريمﷺ بضرورة البحث عن ميدان آخر لنشر الدعوة ، فلم يكن إلا الطائف وهي تبعد عشرة فراسخ من مكة[2] ، وجل أهلها من ثقيف وحمير وقوم من قريش ،وفيها قبيلتان بارزتان هم بنو مالك وعلاقتهم بقبيلة هوازن ، والأحلاف وعلاقتهم بأهل مكة ، ولا توجد إشارة تفيد بان النبي ﷺ قرر الهجرة لغرض غير نشر الدعوة وتحصينها ومنعها ، ولعل هذا السبب يشير ان العلاقة بن مكة والطائف لم تكن على ما يرام ، وان أهل مكة كانوا يستغلون أهل الطائف ، وان لأهل مكة مصالح كبيرة في الطائف ، إذ ان كثيراً من بساتينها كانت ملكاً لأهل مكة ، ولبعضهم أموال وقروض تعطى بالربا الفاحش الى قوم من ثقيف من بني ضمرة وكانت أموال الربا عظيمة [3] ، والحركة التجارية بينهما كانت كبيرة ، فكان يريد ان يفصل بينهم ، ويهدد تجارة المكيين مع اليمن كونها تقع على الطريق التجارية بينهما ، فاوض فيها الرسول ﷺ ثلاثة من آل عبد ياليل(*) ، فلم يجد منهم القبول والترحاب ، بل وبتأثير أهل مكة أغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، فاجتمع عليه الناس وألجأوه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة ، ومنع بنو ثقيف عنه من آمن به[4] ، إلا ان محاولته كانت جادة في إيجاد مكان بديل عن مكة لإقامة كيان سياسي جديد ٠

٣. عرض نفسه على القبائل :

---

[1] ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١٢ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٨١ ؛ ابن شهر أشوب ، المناقب ، ج١ ، ص١٧٣ ٠ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٣ ، ص٣٩٠ ٠

[2] ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٨ ٠

[3] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٩ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٣ ، ص٧٠ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١ ، ص١٩٩ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج١ ، ص٢٦١.

(*) هم عبد وحبيب ومسعود أبناء ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، كان عبدسيداً شريفاً مطاعاً ، كان رأس قوم ثقيف الذي قدموا على النبيﷺ فاسلموا ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٥٠٦ ؛ ابن ماكولا ، الإكمال ، ج٦ ، ص٢٠٢ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٤٨ ٠

[4] الطبري و تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٨١ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٢٩٠ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٦ ، ص٢١١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص١٦٦٠

منذ ان كان النبي ﷺ في الشعب كان يخرج في الأشهر الحرم في موسمي العمرة والحج ، ليعرض نفسه على القبائل في الأسواق الموسمية التي كانت تقام في هذه الأشهر ، فيروى انه ﷺ عرض نفسه على كندة ،ومحارب بن حفصة ،وبني سليم ، وبني البكاء ، وبني عبس ، وبني النضر ، وفزارة ، وغسان ، مرة ، وبني الحارث بن كعب ، وبني عذرة ، والحضارمة ، وبني كلب ، وبني حنيفة ، وبني عامر بن صعصعة ([1]) ، وكان لا يسألهم إلا أن يؤوه ويمنعوه ، ويقول ﷺ : " لا أكره أحداً منكم ، وإنما أريد ان تمنعوني مما يراد بي ، حتى أبلغ رسالات ربي" ، ولم يستجب منهم أحد ([2]) ٠

وكان يمنعهم عمه ابو لهب الذي كان يتبعه لهذه الأسواق ، ويقول لهم انه كاذب سحار([3]) ، وكان يخرج معه من الصحابة ابو بكر الصديق ﷺكونه رجلاً له علم في الأنساب([4]) ، وكان يلتقي برؤسائهم ، ويسأل عن ألمع رجالهم ومن يشتهر منهم ، ويذكر صفات بعضهم ومحاسنهم ليحثهم على قبول الدعوة ٠

وكان أهل هذه القبائل يفهمون ان دعوة النبيﷺ إليهم هي سيادته عليهم ، إذ يروى ان بحيرة بن فراس أحد بني عامر بن صعصعة يردد ويقول : " والله لو أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب " ، وقال : " إذا كنا معك ، وآويناك أيكون الأمر لنا

---

(1) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٨٧ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٤١ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٨٢ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٢٠٨ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٣ ،ص ، ٢٢٥ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ج١ ، ص٣٨ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٣٢٥ ٠

(2) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢١٦ ؛

(3) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٣٦ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٢٠٨ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٣ ،ص ، ٢٢٥ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ج١ ، ص٣٨ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢٠١ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٣٢٥ ٠

(4) ابن حبان البستي ، الثقات ، ج١ ، ص٨٠ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ج١ ، ص٣٧ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص١٦٢ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٣٣٥ ٠

من بعدك؟"([1])، وهنا المطلب لا يعني النبوة بل الرئاسة ، كونهم يؤونه رئيساً أو زعيماً وليس نبياً لكون النبوة أمراً سماوياً ، ثم انه وعدهم بكنوز كسرى وقيصر ، وان ممالكهم ستفتح لهم، وكان ﷺ يقول: " أريد منهم كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب ، وتؤدي بها العجم الجزية "([2]) ، فإذا كان الأمر بهذه الصورة ، فإنها تعني أمة كبيرة ودولة قوية حصينة ، لها القدرة على ضم هذه الحواضر ، وليس لقوم أو مجموعة صغيرة ٠

ويدخل ضمن هذه الفقرة بيعتي العقبة ، ولو ان من شارك في البيعتين نقباء من قبيلتي الأوس والخزرج ، إلا ان قسماً كبيراً منهم كانوا شباباً غير معروفين ، مصداقاً لرواية الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري ،التي يقول فيها : " واجتمعنا عند النبي ﷺ من رجل ورجلين فلما نظر الى وجوهنا العباس بن عبد المطلبؓ ، قال للنبي ﷺ :" يا ابن أخي لا أدري ما هؤلاء القوم الذين جاءوك ، واني ذو معرفة بأهل يثرب ؟ ٠٠ فقلنا على ما نبايعك ؟ قال ﷺ : تبايعوني على السمع والطاعة ٠٠ ولا تأخذكم بالله لومة لائم ، وعلى ان تنصروني إذا قدمت عليكم وتمنعوني ما تمنعون عنه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم "([3]) ٠

كان خطاب الرسول ﷺ للقبائل في هذه الحقبة ليس لغرض الإيواء لديهم ، وحمايته من أعداء الله وأعداءه ، بل كان يفرض عليهم أقوى الشروط ، والتي لا يرضاها

---

[1] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٨٩ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٨٤ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج١٩ ،ص ٩٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص١٧١

[2] الإمام أحمد بن حنبل ، مسند احمد بن حنبل ، ج١ ، ص٢٢٧ ، الترمذي وسنن الترمذي ، ج٥ ، ص٤٤ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢٣ ، ص١٤٩ ؛ الثعالبي ،ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المالكي(ت ٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (المسمى تفسير الثعالبي)،تحقيق عبد الفتاح ابو سنة وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤١٨هـ ،ج٥ ، ص٥٦ ٠

[3] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٣٢٠ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص١١ ؛ الإمامة والسياسة ، المنسوب لابن قتيبة الدينوري ، ج١ ، ص٨٤ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٩٦ ؛ ابن كثير ، سيرة النبوية ، ج٢ ، ص١٩٢ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٢٩٢ ٠

العربي في الحجاز (البدوي) ، كقوله ﷺ : " لأهل البيعتين (الأوس والخزرج) تبايعوني على السمع والطاعة المطلقة والنصرة كما تنصرون أهليكم بل أنفسكم ، ومحاربة من أحارب ومسالمة من أسالم ([1])٠

٤- **الهجرة الى يثرب:** وكان خروجه ﷺ من مكة يوم الاثنين الأول من ربيع الأول ، بعد ثلاثة عشر عاماً من مبعثه([2]) ، بعد الكثير من المنجزات في مكة ، والمتمثلة بإظهار الدين الجديد الذي يتفق مع حاجات مجتمعه الجديد ، إذْ حول الحياة البدوية الى حياة حضرية في مكة والمدينة ، والذي عد هذا المبدأ المفتاح للتغيير الشامل ، وغير الأخلاق والعادات البالية بالاتجاهات الإنسانية الخلاقة ، وضع الأساس والمبدأ الجديد لتنظيم المجتمع ،وليجعل من رابطة الدين بديلاً عن رابطة الدم والقرابة ، وليخلق منهم أمة ، وقال : (المسلمون من قريش ويثرب أمة واحدة من دون الناس)([3]) ، ولم يخص بها المسلمين فقط ، لا مجموعة أو عصابة تتقاذفها الأطماع والمصالح والثارات ، وخلق مبدأ التضامن بين مناصريه (أفراد المجتمع) مع قيادته العليا ، وإعداده الصحابة كل حسب ملكاته ،كل هذه المنجزات وضعت أولاً على إنها نظريات طبقت في مكة والمدينة ، مع هذا فقد أعد مكان دولته وساحة نضاله في يثرب ،ليجعل منها مسرحاً للنشاط السياسي والتجاري والديني ، وليؤسس بها أول دولة للإسلام ٠

ويبدو من سياق الأحداث في مكة أن مشركي قريش لم يكونوا على علم دقيق بنوايا الرسول الكريم ﷺ بخصوص تأسيس دولته ، كونهم لم يحسوا بخطر المخططات المستقبلية للرسولﷺ ، ولهذا كان صراعهم معه لا يتجاوز الكلام ، كونهم كانوا يأملون

---

(1) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٣١١ ؛ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٦١٩ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٣ ، ص١١١ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١٤١ ٠

(2) الطبري ، تفسير الطبري ، ج٦، ص١١٢ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج٣ ، ص٤٢٦ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٤ ، ص٥٠٥ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٢ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج٧ ، ص١٧٧ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٢ ، ص٢٥٨ ، الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج٨ ، ص١٧٨ ٠

(3) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ٣٤٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٢٧٣ ، ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٣ ، ص ٢٧٩ ؛ الأحمدي الميانجي ، مكاتيب الرسول ﷺ ، ج٣ ، ص٦ ٠

بإقناعه وتهدئته ، وعرضت عليه الكثير من المغريات (وردت ضمن سياق البحث سابقاً)، معتقدين انه ﷺ بعث لينشر دين جديد فقط ،ومصداقاً لهذا الرأي ، لم يشرع المشركون ويفكروا بقتل النبي ﷺ إلا قبل الهجرة بأيام قليلة ، بالتحديد يوم معرفتهم بمبايعة أهل العقبة الثانية وإرسال مصعب بن عمير رضي الله عنه معهم ليثرب ، فلما بلغهم ذلك قالوا لقوم من أهل يثرب : " قد بلغنا انكم قد جئتم الى صاحبنا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ، وانه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا ان تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم " ([1]) فحلف لهم من هناك من مشركي يثرب ، بأنه ما كان من هذا الأمر شيء ، وما علمناه ، وكان بينهم الصحابي سعد بن عبادة رضي الله عنه والمنذر بن عمير رضي الله عنه ٠

ولما عادت قريش الى مكة واستوثقت من الخبر طلبوا المنذر فلم يدركوه ، وأدركوا سعد بن عبادة ، فعذبوه ، ولما بلغ خبره جبير بن المطعم والحارث بن حرب بن أمية فتشفعا له وخلصاه ، كونه كان يجير تجارتهم قبل إسلامه في يثرب ([2]) ٠

وعرفوا بخطر مخططات الرسول ﷺعليهم أيضا ، يوم الهجرة الى يثرب ، إذْ مكروا به وأئتمروا على أن يقتلوه في فراشه ليلاً ،مصداقاً لقوله ﷻ :(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)([3]) فأنجاه الله ، وأمره الله تعالى بأن لا يبيت في فراشه تلك الليلة ، فأمر ابن عمه علي بن ابي طالب عليه السلام لينام في فراشه ،ويخرج هو مهاجراً مع صديقه ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، (وقصة هجرته ﷺ معروفة) ٠

---

[1] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ، ج٣ ، ص٣٠٧ ؛ الإمام أحمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج٢ ، ص٤٦٣ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٩٤ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٠٥ ٠

[2] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٠٧ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٢٣ ؛ احمد بن حنبل ، مسند احمد بن حنبل ، ج٣ ، ص٤٦٢ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٩٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٢٠٠ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٣ ، ص٢٠٦ ٠

[3] سورة الأنفال ، الآية ٣٠ ٠

وبهجرته ﷺ الى يثرب التي سماها المدينة المنورة ، بدأت مرحلة جديدة في التاريخ الإسلامي ، وبداية لذلك النصر العظيم الذي تحقق للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، ويحق لنا أن نسميها بمرحلة المدينة ٠

وبهذه الهجرة أصبح الأمر لأهل مكة والمدينة واضحاً ، وان الحرب ستقع بينهم أن عاجلاً أو آجلاً ، ولهذا الأمر الذي يتطلب ان توضع الخطط ، في مجالات العقيدة والقيادة والسياسة والعلاقات الاجتماعية والتجارية ٠

وكان أهل المدينة مختلفين متنازعين ، ومتحالفين مع اليهود ، يحتاجون الى من يروضهم ويهيئهم لقبول التصالح فيما بينهم ، وبالتالي لقبول الدين الجديد ، وصولاً الى قبول النبي ﷺ والمهاجرين ٠

فأعد لهم اثني عشر نقيباً ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج ([1]) في العقبة وكان إعدادهم تنظيمياً وعقائدياً وسياسياً ، وجعلهم مسؤولين عن قبائلهم أفرادا وجماعات ، وفي جميع المواقف سلماً أو حرباً ، وهذا يدخل أيضا ضمن التنظيم والبناء الاجتماعي للمجتمع الجديد ٠

ثم أرسل معهم من يعلمهم الدين الجديد ، ويقوى عرى العلاقة الإيجابية بينهم ، على ان تكون الشخصية المرشحة لهذه المهمة تمتلك مقومات خاصة وغير عادية ، مثل قوة العقيدة ، ومعرفة وافرة بالدين والشرع ، وان يكون على علاقة مسبقة مع القبيلتين ، وأن تكون له القدرة على الإقناع ، و الشجاعة و تحمل الصعاب ، وما يستجد من أمور تحتاج الى قوة تحمل وصبر شديدين ، كون العلاقة بين القبيلتين غير طبيعية في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، فأرسل معهم الصحابي الجليل الشاب الغني الزاهد مصعب بن عمير (*) ،ان اختيار مصعب بن عمير ﷺ

---

[1] النقباء هم ، أسيد بن حضير وابو الهيثم بن التيهان (من بني عبد الاشهل) ، وسعد بن خيثمة وكلثوم بن الهدم (من بني عمرو بن عوف) ، وأسعد بن زرارة (بني النجار) ، وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة (بني الحارث) ، ورافع بن مالك (بني زريق) ، والبراء بن معرور (بني سلمة بن سعد) ، و عبد الله بن عمرو بن حرام(بني حرام) ، وعبادة بن الصامت (بني عوف) ، و المنذر بن عمرو (بني ساعدة) ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص ٦٠٣ وما بعها ؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٢٧١ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص٧١ ٠

ليكون أول سفير في الإسلام للنبيﷺ في المدينة الدعوة الإسلامية في ظروف بالغة التعقيد لم يكن من الأمور البسيطة ، ويمكن ان نجمل الدوافع لإرسال مصعب بما يأتي :

١- كان مصعب قد صاحب النبيﷺ في بيعة العقبة الأولى والثانية ، وتعرفه على النقباء الإثني عشر اذ ان النبي الكريمﷺ حرص على اصطحاب شخصيات حوارية مثل شخصية عمه العباس وأبي بكر ومصعب (رضي الله عنهم) لمعرفتهم بتجار أهل المدينة لتعاملهم معهم ، ومصداق هذا الفهم هو نزوله عند أسعد بن زرارة نقيب نقباء العقبة حال وصوله للمدينة ([1])

٢- معرفة مصعب بأهل المدينة (الأوس والخزرج) ، من خلال مهنة التجارة لوالده، ولو ان المصادر لا تشير الى سفر مصعب بمهام تجارية للمدينة قبل الاسلام ، إلا انه بالتأكيد تعرف على بعض التجار منهم من خلال التعامل التجاري .

٣- ملكاته الشخصية في إدارة مثل هذه المهام ، فأرسله بمفرده كونه محاوراً جيداً ، ويملك وسائل الإقناع، ومصداقها إنجازه المهمة بالشكل المتميز ، وانه جدير بهذه المهمة الخطيرة ، .

٤- لعل الرسول ﷺ أراد أن يوحي لأهل المدينة أن نفس هذا الشاب المعطر الثري ، انقلبت على ذاتها ، بعدما أدركت الإيمان بالله الواحد الأحد ، وانه يقدر ان يحاور عقول أقرانه الشباب ، فأستجاب له أسيد بن حضير قائلاً : " أن هذا رجل شريف

(*)هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة العبدري القرشي ، لقب بالمهدي ، ومصعب الخير ،والمقرئ، كان أبوه من أثرياء قريش ، أسلم في دار الأرقم ، استشهد يوم أحد بسبب سهم أصابه ، وكان حامل لواء الرسولﷺ فيه ؛ الزبيري ، ابو عبد الله مصعب (ت٢٣٦هـ) ، نسب قريش ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٣م ، ص٢٥٤ ؛ خلفية ابن خياط ، طبقات خليفة ، ص١٤ ، ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١٠٣ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٣٧ .

[1] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٤٣٩ ،البرقي ، ابو جعفر احمد بن محمد (ت٢٧٤هـ) ، كتاب المحاسن ، تحقيق جلال الدين الحسيني ، دار الكتب الاسلامية ، طهران١٣٣٠هـ ، ج٢ ، ص٣٣٢ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٣٦١ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج٧ ، ص٢٧٣ .

"، إذ انه كان يطوف في مجالس الخزرج فيؤمن به الصبيان والشباب ، وقال عنه سعد بن معاذ : " ان هذا الرجل أفسد شبابنا " ([1]) ٠

٥-لعل إختيار مصعب لهذه المهمة كان شخصياً ، لزهده ([2])، وأراد ان يوحي لأهل المدينة ان إدراك حقائق الأمور الإيمانية تحرر العقل من لوثة الوثنية والشرك ، وانه لا يتردد من ترك كل ما من شأنه ان يبعده عن طاعة الله عز وجل ٠ولعل هناك أسباباً أخرى لم نطلع عليها كون مصعب بن عمير استشهد في بداية تأسيس الدولة ، ولم يكثر المؤرخون في سيرة هذا الصحابي الجليل وعائلته ٠

حدود دولة الرسولﷺ

ارتبط نشوء دولة الرسولﷺ في المدينة بنشأة سلطته ، ونجاحه في تقوية وتوسيع هذه السلطة لتشمل جميع سكان المدينة في بداية الهجرة ، حتى سميت مدينة الرسولﷺ ، وكانت مظاهر السلطة الغالبة هي السلطة الروحية ، وانه رسول الله الى الناس ، ومن واجبهم الطاعة والامتثال لأوامره ونواهيه ، كونها في حقيقة الأمر هي أوامر الله تعالى ، وكان التوسع في السلطة يقرن بتوسع جغرافية الدولة ٠

وبناء على هذا التصور وضع الرسول ﷺ كل ملكاته الغيبية والشخصية وعلاقاته القبلية والإجتماعية في خدمة إنشاء الدولة الجديدة ،فوضع لها أسس رئيسة هي :

١- التخطيط لمهام القيادة ، وتحديد مقر الدولة ليكون مركزاً للقيادة والعبادة ٠

---

[1] ابن حبان ، الثقات ، ج١ ، ص٩٨ ؛ الطبرسي ،ابو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ) ، أعلام الورى بأعلام الهدى ، دار احياء التراث ، قم١٤١٧هـ ، ج١ ، ص١٤٠ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٩ ، ص٨٢ ؛ ابن قدامة ، المغني ، ج١ ، ص٢٠٧ ٠

[2] منتهى عودة طلال ، نقباء الرسول الاثنا عشر ، رسالة ماجستير ، غير مطبوعة ، جامعة بغداد ،كلية التربية / ابن رشد ،٢٠٠٠م ، ص٨٨ ٠

٢- تنظيم العلاقات السياسية العامة لكل من في داخل المدينة (يثرب) ٠

٣- تنظيم العلاقات السياسية بين المهاجرين والأنصار ، وحل المشاكل التي رافقت الهجرة الى يثرب ٠

٤- تهيئة التشريعات المستلزمات المالية ، لتعزيز عملية التأسيس ٠

٥- التخطيط لما يحمي الدولة الناشئة وقيادتها ، وحماية حركة رعاياها سياسياً وأمنياً ، من خلال تأسيس جيش عقائدي ٠

وسيأتي تفصيل هذه الأسس لاحقاً في سياق البحث ٠

أما حدود السلطة فكانت على المهاجرين والأنصار بصورة رئيسة في بادئ الأمر ، غير أن طبيعة الحال تفرض على الجميع بما فيهم اليهود المثول لسلطة الرسول ﷺ السياسية ، وان هذه السلطة تمتد بصورة تدريجية ، ولو محدودة ، لتمارس التأثير على سكان المدينة كافة ، ثم أخذ هذا التأثير يتسع ويتنامى مع انتشار الاسلام وزيادة قوة المسلمين ، حتى أصبح الرسول ﷺ صاحب السلطة العليا في المدينة، وغدت المدينة دولة ذات كيان سياسي مؤثر وقد تحقق ذلك للرسول بعد كتابة صحيفة المدينة٠

ما ان وضع الرسول ﷺ أسس التنظيمات لدولة المدينة ، توجه الى تنظيم سياستها الخارجية والتوسع أفقياً في حدود الدولة ،فحاول أولاً عزل مشركي قريش عن حلفائها من القبائل المقيمة حول المدينة ، وذلك بالتحالف معها وتوثيق الصلاة بها ، وقد وضع الرسول ﷺ خطة سياسية لهذا الغرض ، تتمثل بالقوة والمناورة ، وقد عرفت عند المؤرخين بالسرايا والغزوات ، وكذلك الوسائل الدبلوماسية في الدعوة والحوار والتحالف مع كافة مراكز القوى في شبه الجزيرة العربية ، ولغرض تحقيق ذلك الهدف سار المنهج السياسي وفق الآتي:

١-إخضاع القبائل التي تعيش حول المدينة أو على الطريق بين المدينة ومكة عن طريق القوة ، مثل قبائل غفار وضمرة وجهينة[1] ، والتي كانت لا تعرف إلا القوة للطاعة ،فمثلاً كانت غزوة الأبواء في الشهر الثاني عشر من هجرته على

---

[1] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٩ ؛ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج١ ، ص٢٦٦ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص١٤٣ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ج١ ، ص٣٢٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (أجرب) ، ج١ ، ص١٠١ ٠

بني ضمرة ، فصالحوه وأذعنوا له ، وبعث عمه الحمزة بن عبد المطلب ﷺ في سرية أسد البحر الى جهينة([1]) ٠

٢-ولما تمادت قريش في استلاب أموال المسلمين في مكة المكرمة بعد الهجرة الشريفة أراد النبي ﷺ أن يشعر المشركون بقوته ، وإعادة ما أستلب بالقوة ، فكانت موقعة بدر في العام الهجري الثاني ، ولعل هذا أحد أسباب المعركة ، وليس السبب الوحيد ، التي تعد المفصل الرئيس في ترتيب القوى العسكرية في الحجاز عموماً ، وأنها الخطوة المستقبلية الأولى باتجاه مكة ٠

٣- استمر المسلسل الجهادي وصولاً الى معركة الخندق في السنة الخامسة ، وفشل المشركين في غزو للمدينة ، فاستثمر النبي ﷺ هذا الحدث المهم ، وعمل بشكل جدي وحاسم على تحييد القوى التي شاركت قريش في الخندق كغطفان وفزارة وأشجع وسليم ومرة وأسد ، أوكسبها لجانبه ، فقام بمهاجمة وإجلاء بنو النضير الى خيبر ، هؤلاء الذين وصفهم المؤرخون بقولهم : " ان هؤلاء الزعماء "زعماء بنو النضير" هم الذين حزبوا الأحزاب على الرسولﷺ ، فذهبوا الى مكة فدعوا قريشاً الى حرب الرسول ﷺ ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ومن معه "([2]) ،ومن ثم تبعهم الى خيبر ، وبهذا انتهى أكبر خطر كان يواجه دولة الرسول ﷺ الفتية ٠

٤-عمل على اخراج قوة قريش من دائرة الصراع ، والإستفادة من طاقاتها السياسية والعسكرية ، لتحقيق الهدف المركزي وهو بناء الدولة ، فكان صلح الحديبية في السنة السادسة ، بعد ان اتجه الى مكة بقوة قدرها ألف وأربعمائة من الصحابة

---

[1] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٦ ؛ خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٠ ، الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١٢١ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٤٧ ٠

[2] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٠٠ ؛ الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٤٤١- ٤٤٣ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٢٣ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج١ ، ص٢٦٥ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٣٣ ٠

معتمراً ، لا يريد حرباً ، وساق معه سبعين بدنة[1] ، بهذه الفعالية أراد الرسول ﷺ ان يبين قوته للمشركين في مكة ، وباشارته ﷺالى انه جاء معتمراً لا محارباً ، أراد ان يجعل منهم أقل معارضة لدخوله مكة وأداء العمرة ، وصارت قريش بين معارض وموافق لدخوله ، ودارت حوارات طويلة بين الفريقين ، ثم قال الرسول الكريم ﷺ : " يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ..."[2] ، الأمر الذي يعني انه كان متجاوزاً قريش وغير آبه بهم ، وانه يريد مخاطبة من بمكة من العرب ، ثم أرسل عثمان بن عفان ﷺ لحوار المشركين وأرسل عشرة من الصحابة بينهم عبد الله بن سهيل بن عمرو[3] لزيارة أهليهم في مكة ، وهو ابن من سيفاوض المسلمين في الصلح[4] ، ثم بثت قريش إشاعة مقتل عثمان ﷺ ، لمعرفة رد فعل النبي ﷺ الذي أمر بالمناجزة ان صحت الإشاعة ، وهذه الأشارات تفيد وتعضد سيطرة النبي ﷺ في مكة وان دخولها فتحاً لا تعدو إلا مسألة وقت ، مصداقا لقول النبيﷺ لبديل بن ورقاء الخزاعي مبعوث قريش : (فان شاؤوا مادتهم مدة

---

(1) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص١٠٠ ؛ خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٤٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٤٥ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٧١ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٢٢١ .

(2) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٧٥ ؛ أحمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج٤ ، ص٣٢٣ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٧٢ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٢٠ ، ص١٦ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٦٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص١٨٩ .

(3) الواقدي و المغازي ، ج٢ ، ص٦٠٢ -٦٠٣ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٢ ، ص٢٨١ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٣ ، ص١٨١ ؛ ابن كثير ، الإصابة ، ج٤ ، ص١٠٦ .

(4) الصحابة العشرة بالإضافة الى عبد الله بن سهيل هم : كرز بن جابر الفهري ، وعبد الله بن حذافة السهمي ، وابو الروم بن عمير العبدري ، و عياش بن ابي ربيعة ، وهشام بن ابي العاص بن وائل السهمي ، وابو حاطب بن عمرو ، وعمير بن وهب الجمحي ، وحاطب بن ابي بلتعة ، وعبد الله بن أمية ؛ الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٦٠٢ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٥ ، ص٤٨ .

يأمنون فيها ، ويخلون فيما بيننا وبين الناس)([1]) ، وبعد هذا بعثت قريش سهيل بن عمرو للمفاوضة ، وتوقيع صلح الحديبية بعد تقديم الاعتذار للرسول ﷺ عما بَدر من رجالهم بقوله : " يا محمد الذي كان من حبس أصحابك وما كان من قتال من قاتلك لم يكن من رأي ذوي رأينا ولا ذوي الأحلام منا " ([2]) ، ويذكر ان الرسول ﷺ نفذ ثماني عشرة سرية وغزوة ما بين غزوة الأحزاب وصلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة ([3]) ٠

٥-بعد ان نجح الرسول ﷺفي صلح الحديبية توجه شمالاً الى خيبر ، وهي تبعد مائة ميل أو خمسة أيام من ناحية الشام عن المدينة المنورة ([4]) ، ولم يكن قتالهم سهلاً ، إذ كان يخرج منها كما يروي الواقدي ([5]) كل يوم عشرة آلاف مقاتل ،وهذا الرقم قد تكون فيه مبالغة ، عدا حلفائهم من اليهود في فدك ووادي القرى وتيماء فضلاً عن القبائل العربية الموتورة كغطفان ، وكان الرسول ﷺ قد أعد خطة محكمة لمباغتتهم ،في مقدمتها انه لم يصحب معه إلا من يرغب في الجهاد لوجه الله وليس لمطمع آخر ، اذ ان بعض الأعراب جاؤوا الى الرسول ﷺ وقالوا : " نخرج معك الى خيبر ، إنهاريف الحجاز طعاماً وودكاً وأموالاً ، فقال الرسول ﷺ لا تخرجون معي إلا راغبين في الجهاد ، فأما الغنيمة فلا "([6])

---

[1] الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٥٩٣ ؛ ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج١١ ، ص٢١٩ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير، ج٢٠ ، ص١١ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج٥ ، ص٣٤٦ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٦ ، ص٧٦ ٠

[2] الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٦٠٤

[3] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٦١ -٩٤ ٠

[4] الإدريسي ، نزهت المشتاق في اختراق الآفاق ، مادة (خيبر) ج١ ، ص٣٥٢ ؛ ياقوت معجم البلدان ، مادة (رجيع) ، ج٣ ، ص٢٩ ٠

[5] الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٦٣٧ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٥ ، ص١١٨ ٠

[6] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٩٥ ؛ الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٦٣٤ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري و ج٢ ، ص٢٩٩ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص١٢٧ ؛ ابن كثير البداية والنهاية ، ج٤ و ص٢٢١ ٠

، ولعل هذا الشرط كان يقصد به ، أن لا يخّون اليهود بعض المقاتلين الطامعين ، أو لعله أراد ان ينتفع بها المجاهدون الحقيقيين وليقوي من وضعهم ، ويؤسس بالغنائم للمسلمين بيت مال ولو فكرته كانت في بداياتها ، اذ عزل نصف الغنائم لنوائبه وقسم الباقي ([1]) ونجح بذلك وأحتل حصونهم ، وأزال خطراً كبيراً من الساحة ، وفي هذه الخطوة يكون الرسول ﷺ قد وسع مساحة الدولة مائة ميل باتجاه الشمال([2]) ، أي وصل الى حدود أمبراطورية الروم ، وأصبحت للمسلمين القوة والقدرة على التحكم بسير القوافل التجارية المتجهة الى بلاد الشام ، وإجبار القبائل في الطريق على احترام سلطة وإدارة دولة المدينة ، وعقد عدة تحالفات معها .

٦- السيطرة على فدك ووادي القرى وتيماء صلحاً ، وتبعد فدك عن المدينة ثلاثة أيام ،وتبعد عن خيبر يومان ، أما وادي القرى فيبعد عن المدينة خمسة مراحل(*) ، وتيماء أربعة أيام ، جميعها باتجاه الشمال الشرقي للمدينة ، وتقع عليها الطرق المؤدية الى الكوفة([3]) ، بهذا الفتح سيطر المسلمون على الشمال والشمال الشرقي من إقليم الحجاز ، ليجعلوا من دولة الرسول ﷺ الصغيرة المحدودة في المدينة المنورة دولة واسعة الآفاق تسعى الى ضم كافة أقاليم شبه الجزيرة، وسير الرسول ﷺ بعد فدك عشرة سرايا حتى مؤتة .

٧- الصراع مع الإمبراطورية البيزنطية ،بعد ان توسع سلطان دولة المدينة باتجاه الشمال ، جعل حكام بيزنطة يعتريهم الخوف من الخطر القادم من الجنوب ،

---

[1] ابن سلام ، الأموال ، ص٥٧-٥٨ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٥٠٢ ؛ ابن شبه النميري ، تاري المدينة ، ج١ ، ص١٧٦ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٢٠ .

[2] تكون المسافة التي توسعت بها الدولةشمالاً بحدود ١٨٥ كم ، اذا علمنا ان الميل يساوي ١٨٤٨ متر .(محمد قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ج١ ، ص٨١) .

(*) المرحلة : مسير نهار بسير الأبل المحملة ،ومقدارها أربعة وعشرين ميلاً هاشمياً ، أو ثمانية فراسخ ، وتساوي ٤٤٣٥٢ متراً ؛ محمد قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص٤٢١ .

[3] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٤٢-٢٤٥ ؛ البكري ، معجم ما استعجم ،مادة(خيبر) ، ج٢ ، ص٥٢١ ؛ الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج١ ، ص٣٥١-٣٥٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (فدك) ، ج٤ ، ص٢٣٨ .

فعملوا بعض التحالفات مع قبائل شمال الحجاز مثل لخم وجذام والقين وبهراء وبلى وغيرها، وحاولوا التحرش بالدولة الفتية ، فأرسل اليهم النبي ﷺ حملة سنة ثمان للهجرة بقيادة الأمراء الثلاثة (زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة)(رضي الله عنهم) ،وهي غزوة مؤتة وتقع في بلقاء الشام([1]) ، ولو ان أسبابها غير متفق عليها من قبل المؤرخين ،ألا ان هدفها كان جلياً ، وتفاصيلها معروفة ، ولو ان هذه الغزوة لم تلق النجاح ، إلا أنها كانت إنذاراً شديداً للجارة الإمبراطورية الرومانية، وأنها لم تكن الغزوة الأخيرة ، بل ان الرسول ﷺ بشر بها كما ورد في معركة الخندق ٠

٨-فتح مكة ، في العاشر من المحرم سنة ثمان للهجرة النبوية ،بسبب خلاف بين حليفي المسلمين ومعهم خزاعة وقريش ومعهم كنانة ، فأعانت قريش كنانة على خزاعة خلافاً لشروط صلح الحديبية ([2])، ومكة تبعد عن المدينة عشر مراحل ،أي (٢٤٠ ميلاً = ٤٠٠ كم)([3]) ، وهنا دخل أهل مكة الاسلام طوعاً ، بعد أن استخدم الرسولﷺ مع أهلها سياسة التسامح ، واحترام الحقوق ، بل ان الرسول ﷺ قام بالعفو عن النفر الذين أهدر دمهم حين دخول جيشه مكة بسبب مواقفهم المشينة منه أو من الدعوة الإسلامية بعد ان جاءوه يعلنون ندمهم ورغبتهم في

---

[1] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص١٢٨ ؛ ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٥٢ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١٢٣ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٦٥ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٣١٨ ، الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٧٥٨ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٣ ، ص٤٣ ٠

[2] ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١٢٥ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص٢٩٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٥٨ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٣٢ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٢٤٢ ٠

[3] البكري ، معجم ما استعجم ، مادة (الدومة) ، ج٢ و ص٥٦٥ ؛ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١ ، ص١٤١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (مكة) ، ج٥ ، ص٨٧ ٠

اعتناق الاسلام ، كأبي جهل بن هشام ووحشي بن حرب وهند بنت عتبة وغيرهم كثير[1] ٠

وقبل ان يغادر النبي ﷺ مكة ، قام بتعيين وال عليها لإدارة أمورها بالنيابة عنه كون مكة غدت جزءاً من الدولة الإسلامية ، وهنا تجلى الفكر السياسي للرسول ﷺ في تعيين الوالي ، إذ لم يعين لها والياً من كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، وأصحاب الرأي والسابقين في الاسلام ،بل عين فيها شخصاً من بني أمية هو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ،وجعل له مرتباً يومياً مقداره درهماً واحداً لقاء عمله،ليجعل من هذا الوالي خطيباً بالناس فيقول : " يا أيها الناس ، أجاع الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقني رسول الله ﷺدرهماً كل يوم ، فلست بي حاجة الى أحد "[2] ، ولعل تعيين هذا الوالي كان بدافع تأليف قلوب أهل مكة ، واجتذابهم للإسلام ، ولعله أراد ان يوحي اليهم زيف زعمائهم الجبابرة ، وإنهم في الاسلام لا يساوون في حسابات القيادة شيئاً ، وان الحاكم (الوالي) هو أجير عامل يأكل من تعبه ،و لا يعتمد على السلب

أما على الصعيد السياسي فقد أدى فتح مكة الى توسع دولة الاسلام ، فلم يعد يصح وصفها بدولة المدينة ، لأنها اتسعت أفقياً ،إذ امتدت من حدود الشام شمالاً حتى منتصف شبه الجزيرة العربية ، ولعل سياسة الرسول ﷺ أصبحت أكثر وضوحاً من خلال سير الأحداث ان مساحة هذه الدولة لن تتوقف عند هذه الحدود ، كونها دولة عقائدية تبشيرية ، ومن ثم ان حدودها يجب ان تمتد وتتسع بمقدار إمتداد واتساع سلطان الدعوة الإسلامية ٠

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٤٠٩ –٤١٩ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١٦٥ ؛ ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج١٢ ، ص٤٢٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٣٣١ ؛ ابن حجر ، فتح الباري و ج٤ ، ص٥٢ ٠

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٤، ص٩٢٦ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٢٥٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٤٢٢ ٠

(٢)استخدم المنجنيق أول مرة في الاسلام في حصار الطائف حيث كان عمرو بن مسعود وغيلان بن سلمة يتعلمان صنعة المنجنيق في جرش ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٣١٢ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص٢١٢ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٢٣١ ٠

٩-معركة حنين والسيطرة على الطائف ، وكان ذلك في العام الثامن للهجرة ، وعندما كان الرسول ﷺ في مكة وصلته أنباء استعدادات ثقيف وهوازن لحربه ، وتجهيزهم لقتاله ، فقد جهز جيشه لقتالهم في حنين ، وبعد سجال حربي انكسر جيش أهل الطائف ، فحاصرهم الرسول ﷺبضعة وعشرين يوماً ، إذْ استخدم ولأول مرة ([1])المنجنيق والعرادات(*) والدبابات(**)في قتالهم ورمي حصونهم ، وحرق بساتين الأعناب ، الأمر الذي أدى الى هرب الرقيق والضعفاء ، ولما لم يجد الحصار نتائجه السريعة انسحب النبي ﷺ للجعرانة([2]) ، ولما وجد أهل الطائف أنهم لم يستطيعوا مقاتلة النبيﷺ ، جاء وفد هوازن الى الرسولﷺ معلنين إسلامهم ، طالبين ان يعيد لهم أسراهم ونساءهم وأولادهم وأموالهم ، فأوضح لهم النبي ﷺ انه ليس

(*) العرادات ، هي آلة أشبه بالمنجنيق لكنها أصغر حجماً ، تنصب على الأبراج أو الأماكن المرتفعة قرب الأسوار ، يرمى بها الأهداف البعيدة ، واستعملها المسلمون في السفن أيضاً ، وتفنن المسلمون في استخدامها في الحروب ، اذ كانوا يضعون فيها القوارير وفيها القطران أو العقارب ، فما أن تقع القفارورة تتكسر وتخرج العقارب لترهب وتشغل العدو؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٨٨ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، مادة(عرد) ٠

(**) الدبابات : وتسمى الضبور ، والقفع ، والدراجات ، وهي عبارة عن هيكل من الخشب يغشى بعدة طبقات من الجلد المنقع بالخل ، لصيانتها من النار ، أو تغلف بالرصاص أو= =النحاس ، يدخل تحتها الرجال في الهجوم لنقب الأسوار والحصون ، وتستخدم في حالة الإنسحاب ؛ الفراهيدي ، كتاب العين ، مادة (قفع) ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (درج) ٠

(١) استخدم المنجنيق أول مرة في الاسلام في حصار الطائف حيث كان عمرو بن مسعود وغيلان بن سلمة يتعلمان صنعة المنجنيق في جرش ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٣١٢ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص٢١٢ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٢٣١ ؛ الذهبي ، ميزان الإعتدال ، ج٢ ، ص٤١٣ ٠

(٢) الجعرانة : هي ماء بين الطائف ومكة ، وهي الى مكة أقرب ، بها قسم رسول الله غنائم حنين (البكري ، معجم ما استعجم ، مادة (الجعرانة) ، ج٢ ، ص٣٨٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (الجعرانة) ، ج٢ ،ص١٤٢) ٠

(*) الأوقية : على عهد الرسول ﷺ كانت الأوقية =أربعون درهماً ، والدرهم = ٣٢غم ، وعليه تكون الأوقية =١٢٨٠غم ؛ العاملي ، إبراهيم سلمان ، الأوزان والمقادير ، مطبعة صور الحديثة ، بيروت١٩٦٢م ، ص١٧ ٠

بامكانه تلبية طلبهم ، وعليهم ان يختاروا بين النساء والأولاد أو الأموال ، فاختاروا الأولاد والنساء ، وكانت غنائم حنين (ستة آلاف من السبي ، وأربعة وعشرين ألف بعير ، ومن الغنم لا يدرى عددها ، حتى قالوا أربعة وعشرين ألفاً ، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية(*))([1]) ، وقد استفاد الرسول ﷺ من كثرة الغنائم في توزيعها على المؤلفة قلوبهم من زعماء القبائل ، فأعطى كل منهم مائة من الإبل([2]) ، وهكذا استطاع الرسول ان يؤلف قلوب هوازن ، لتطمع ثقيف من بعد وتعلن إسلامها ٠

يتضح مما تقدم ان النصر الكبير الذي حققه الرسول ﷺ في فتح مكة ، والانتصار بعد ذلك في معركة حنين على قبيلتي هوازن وثقيف ،قد أثمرا في النهاية في دخول الطائف في إطار الدولة الإسلامية ، وبذلك شكلت مدن الحجاز الثلاث النواة التي ستوحد حولها جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية في المستقبل القريب ٠

١٠-تبوك وتحدي الإمبراطورية البيزنطية للمرة الثانية ، بعد خضوع أطراف بلاد الشام ، أرسل المصدقين(الجباة) الى مختلف القبائل لجباية الزكاة ، في الشهر المحرم من السنة التاسعة للهجرة . وإرساله بعض السرايا لإظهار قوة الدولة الجديدة ، كسرية علي بن ابي طالب الى طيئ ، وعيينة بن محصن الى بني تميم ([3]) ، في هذا الوقت وصلت أخبار الى الرسول ﷺ عن طريق التجار الأنباط بان الروم يعدون العدة ومعهم قبائل لخم وجذام وغسان وعاملة لمهاجمة المسلمين([4])٠

---

(٣)ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص١٥٢ ؛ خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ص٢٤٠ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٣٥٦ ؛الواقدي ،المغازي ، ج٢ ، ص٩٤٣-٩٤٤ ٠

[2] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص١٥٢ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المنمق ، ص٤٢٣ ؛ ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج٢ ، ص٥٢٩ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٦٣ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص٣٥١ ٠

[3] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٥٦ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص١٦٠ - ١٦٤ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٥٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٢٤٢ ٠

[4] الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٩٨٩-٩٩٠ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص١٦٠ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٣ ، ص٧٣ ٠

حشد الرسول ﷺ لهذه الحملة ثلاثين ألف مقاتل ، معهم عشرة آلاف فرس ، وبقيادته ﷺ، لمواجهة الروم ، وقائدهم هرقل وهو بحمص ، فأقام في تبوك وهي من أعمال الروم ، ومكث فيها عشرين ليلة لم يلق فيها قتال ، فأرسل سرية الى الاكيدر بدومة الجندل ، فأسره ، وصالحة الرسول ﷺ على الجزية ٠

تعد تبوك آخر حملة يقودها الرسولﷺ، قام من خلالها بتأكيد قوة دولته في الشمال ، وهذا يعني انه غدا سيد الجزيرة العربية ، عاد بعدها الى المدينة ليستقبل الوفود ، ويرسل البعوث ، وينشر الاسلام في جميع نواحيها ليوحد الناس في إطار دولة الاسلام٠

١١-إرسال البعثات الى حكام البلاد المجاورة ، بعد النصر الذي تحقق منذ صلح الحديبية توجه الرسولﷺ الى توجيه الرسائل الى شيوخ القبائل العربية ، وحكام البلاد المجاورة ، ويبدو ان الوضع السياسي للرسول ﷺكان متسقاً مع ما وصل اليه من توسع وقوة ، وبعد ان افلح في تحييد قريش ، أصحاب التأثير القوي في الجزيرة العربية باجمعها ، فليس من الصعب عليه من أن يرسل بعوثه الى حكام البلاد المجاورة ، ولو ان بعض المؤرخين قد قدم وأخر في موعد هذه البعوث فمنهم من قال في عمرة الحديبية ، ومنهم من قال بعد تبوك ، إلا ان الصحيح ان الرسل بعثت والرسول ﷺ ما بين الحديبية ووفاته ([1])وهو في مركز سياسي وعسكري قوي ، ويتمتع بتأييد كبير في الحجاز خصوصاً ، ودولة متماسكة ونظام مؤهل لضم مثل هذه الشخصيات للإسلام ٠

بعث رسول اللهﷺ رسلاً وكتب معهم كتباً الى الملوك يدعوهم فيها الى الاسلام ، فبعث عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى ، ملك فارس ، وبعث دحية ابن خليفة الكلبي الى قيصر، ملك الروم ، وبعث عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي، ملك الحبشة ليطلع على أحوال المسلمين المهاجرين اليه ، وبعث حاطب ابن أبي بلتعة الى المقوقس ، عظيم القبط ، ملك الإسكندرية، وبعث شجاع بن وهب الاسدي الى الحارث بن ابي شمر الغساني ملك تخوم الشام ، وبعث عمرو ابن العاص السهمي

---

[1] الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٣ ، ص٢٨٨ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٣٩٨ ؛ ابن كثير ، ج٤ ، ص٢٩٩ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٣٦ ٠

الى جيفر وعباد ابني الجلندي ، الازديين ، ملكي عُمان ،وبعث سليط بن عمرو العامري الى ثمامة بن أثال ، وهوذة بن علي الحنفيين، ملكي اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى العبدي ، ملك البحرين([1]) ٠

لم يستجب لدعوة الرسول ﷺ قسم منهم واستجاب القسم الآخر ، وكان ممن استجاب ملكي عمان ، وملكي اليمامة ، وملك البحرين وأعلنوا إسلامهم ، وبإسلامهم أصبحوا ضمن الدولة العربية الإسلامية ، وتحت سلطة الرسول ﷺ ،واستجاب النجاشي ملك الحبشة ٠

١٢-عام الوفود ، وهو العام الهجري التاسع ، فبعد تبوك تزايد قدوم القبائل من كل حدب وصوب على النبي ﷺ في المدينة لمبايعته على الاسلام ، فقد قدمت وفود أسد وفزارة ومرة وثعلبة وتميم وبكاء و مراد وكلاب وقشير وكنانة وثقيف وبهراء وشيبان وبني الجارود من عبد القيس ، وعموم عبد القيس ومحارب وعبس وهلال ، وعامر بن صعصعة وحنيفة وبكر بن وائل وجعدة وطيء و باهلة وتغلب ومزينة وبني رؤاس و بني بكين بن وائل وعقيل بن كعب و لحي وأشجع وسليم ([2])٠

بايعت هذه الوفود الرسول ﷺطوعاً بعد قدومها المدينة ، وكان المبايعون يتكلمون بالنيابة عن قبائلهم ، وبهذا تكون البيعة ملزمة لهم ولمن ورائهم من أفراد قبائلهم ، وكان الرسول ﷺ يستضيفهم طوال اقامتهم في المدينة ، ويقدم لهم الهدايا عند مغادرتهم، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، فقد أعطى النبيﷺ لكل فرد من وفد بني مرة اثنتي عشر أوقية من الفضة ، واعطى لكل فرد من وفد بني ثعلبة خمس أواقي من فضة ،وأعطى وفد بني البكاء أعنزاً عفراً ، واعطى وفد مراد اثنتي عشرة أوقية من الفضة وحلل من نسيج عمان ونجب ، مع العلم ان هذه القبائل قدمت من

---

[1] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٦٠٦ -٦٠٧ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٧٧-٧٨ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٦٤٤-٦٤٥ ؛ الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٥٥٥-٥٥٦ ؛

[2] ابن هشام السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٥٥٩ -٥٩٩ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٩١-٣٥٩ ٠

أطراف شبه الجزيرة كاليمن وعمان والبحرين وبعض بلاد الشام وأطراف العراق وكندة ([1]) ٠

وبعث معهم من يساعدهم من الصحابة (رضي الله عنهم)في إدارة البلاد خصوصاً في الأمور الدينية التشريعية والأمور المالية وجباية الصدقات ، فبعث علي بن ابي طالب الى أهل نجران ، وبعث عدي بن حاتم الطائي الى بني أسد ، وبعث المهاجر بن المغيرة الى صنعاء ، وبعث العلاء بن الحضرمي الى البحرين ، وبعث زياد بن لبيد الى حضرموت ، وبعث أبو موسى الاشعري الى زبيد ، وبعث سعيد بن القشيب الازدي الى جرش وبحرها(*)، وبعث خالد بن سعيد بن العاص الى كندة والصدف ، وعمرو بن سعيد بن العاص على خيبر وتبوك وتيماء ،وبعث وسليط ابن سليط بن عامر بن لؤي على اليمامة ، وجعل الحكم بن سعيد بن العاص على سوق المدينة ، وعثمان بن ابي العاص الى الطائف ([2])٠

وأرسل القضاة إليهم للفصل بين الناس ، فقد بعث علي بن أبي طالب الى اليمن ، وبعث أبي بن كعب الى غافر من اعمال الشام ، ومن ثم بعث معاذ بن جبل الى اليمن أيضاً ، وبعث حذيفة بن اليمان الى الازد ودبا في البحرين ، وبعث معقل بن يسار الى الطائف ، وبعث عمرو بن العاص لعمان([3]) ٠

---

[1] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٩٨ –٣٢٧ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٦٥٤ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٩٠ ٠

(*) جرش مدينة عظيمة ، وولاية واسعة في اليمن تقع على البحر الحمر ، نزلها تبع أسعد بن كليكرب ، وقال لقومه أجرشوا هنا أي ارتاحوا ، فسميت بهذا الأسم، وهي غير جرش الاردن ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٢٦ ٠

[2] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٦٠٠ ؛ خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ص٦١ ، الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٣ ، ص١٤٧و٣٢٨ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج١ ، ص٣٥٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٣٨ ٠

[3] الشافعي ، كتاب الأم ، ج٦ ، ص٢٧٤ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٥٨٥ ؛ أحمد بن حنبل ، مسند أحمد ، ج٤ ، ص٢٦ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٨ ، ص١٦٤ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ج١ ، ص٣١٨ ٠

وبهذه المرحلة الممتدة بين ثلاثة وعشرين سنة امتدت دولة الاسلام من الشام شمالاً الى اليمن جنوباً وبلاد عمان والبحرين من الجنوب الشرقي ، في حين ان حدودها الغربية كان بحر القلزم (البحر الأحمر) ، وهذا يدل على ان قائد الدولة يتمتع بقدرات وامكانات غير عادية ومقاييس غير متعارف عليها ، وصحابة أفذاذ شعارهم الطاعة والولاء ، وحب الشهادة كحبهم للحياة٠

قانون الدولة

قبل الولوج في ماهية القانون الخاص بدولة الرسول ﷺ وبنوده وما نص عليه ، يجب التعرف على المسرح الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في عاصمة الدولة منذ اللحظة الأولى لدخول النبي ﷺ وصحابته في المدينة المنورة ، ولو بشكل مبسط ، والتي على أساسها وضع القانون ، الذي يحمل أسس العلاقات في الدولة الناشئة ، ولو أن قانون هذه الدولة وضعته السماء ، وأنيط بالرسول ﷺ تنفيذه في مجتمع لم تكن للرسول ﷺ فيه سلطة أو حكومة ، فكان أهل المدينة استنادا الى المعطيات الإجتماعية والدينية والسياسية مؤلف من ثلاث مجموعات هي :

١- **المسلمون** : وهم المهاجرون والأنصار (الأوس والخزرج) ، فالمهاجرون يوالون الرسول ﷺ بحكم إسلامهم وإيمانهم بالله ورسولهﷺ ، أما الأنصار فهم ملتزمون بحكم مبايعتهم الطوعية له في البيعتين على السمع والطاعة ،كون البيعة (عقد رضائي)[1]، وحمايته شخصياً ، وهو يمارس نشاطه ، ويناصرونه حتى في حالة التوسع في نشر الدعوة الإسلامية ، إلا ان هؤلاء لم يشكلوا أغلبية كبيرة في المجتمع الجديد ٠

٢- **المشركون** : وهم من الأوس والخزرج ،وموقف هؤلاء إجتماعياً وسياسياً مع أبناء جلدتهم من المسلمين ،طبقاً للأعراف والقوانين القبلية ، من حيث التعصب ، وعلى مبدأ (أنصر أخاك) ، واحترام حقوق بعضهم البعض ، ولهؤلاء السلطة

---

[1] الإمام مالك ، الموطأ ، ج٢ ، ص٩٨٢ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٨ ، ص٨٨ ؛ ابن شبه النميري ، تاريخ المدينة ، ج٤ ، ص١٦٥ ؛ الإمامة والسياسة ،المنسوب لابن قتيبة الدينوري ، ج١ ، ص٦١.

على منح الجوار لمن يطلب ، واقامة التحالفات مع القبائل الاخرى ، كأفراد وجماعات ([1]) ٠

٣- **اليهود** : وهم يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريضة وغيرهم من اليهود ، وهم حلفاء الأوس والخزرج ، مسلمهم ومشركهم ، وهؤلاء ملزمون باحترام عهود وحقوق حلفائهم ،ويبدو إنهم اظهروا ترحيباً بمقدم الرسول ﷺ مهاجراً للمدينة ، إذ يروى ان المسلمين كانوا ينتظرون الرسول ﷺيومياً لاستقباله ، وكانوا اذا تأخر يعودون ليحضروا في صباح اليوم التالي ، ولما رجع المسلمون من انتظار الرسولﷺمهاجراً إليهم ، وعند زوال الشمس شاهده أحد اليهود فصرخ بأعلى صوته من فوق أطم فارع(حصن عال) ، فراح ينبه ويفزع أهل المدينة قائلاً :(يا بني قيلة(*) هذا جدكم قد جاء)([2]) ، فخرج أهل المدينة لإستقباله ٠

مما تقدم يتضح ان اليهود لم يظهروا في البداية عدم الرضا من هجرة المسلمين الى المدينة ، ولو بشكل علني ،اعتقاداً منهم ان المهاجرين سيجلبون لهم الأمن والاستقرار ، بعد ما ضعف نفوذهم وسطوتهم ، وكذلك ستعم المدينة حالة من الهدوء والاستقرار بسيطرة القادمين الجدد ، بعدما كانت عاصفة بالصراعات الشديدة بين الفئات المختلفة ، أو لعلهم أرادوا ان يكونوا على مقربة من الرسولﷺ لمعرفة ماذا سيحل بهم ، كون نواياهم من الإسلام كانت سيئة بشكل مسبق ، وهذا ما ظهر فيما بعد بشكل جلي ٠

سلطان الرسولﷺ :

---

[1] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ و ص٣٩٨ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٤ ، ص٨٢ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٥ ، ص٣٨ ، السيوطي ، الدر المنثور ، ج٢ ، ص٦٦ ٠

(*) بنو قيلة ، هم الأوس والخزرج ، سمتهم العرب باسم أمهم قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن قضاعة بن زيد بن ليث بن سعد بن اسلم بن الحاف ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٤١٩ ؛ الطبري ، المنتخب في ذيل المذيل ،ص٦٨ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص١٧٤ ٠

[2] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٣٤١ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٣٣ ؛ خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ص٢٩ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١٠٦ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج١٢ ، ص٤١٤ ٠

١- السـلطة السياسـية : كانـت سـلطة الرسـول ﷺ فـي المدينـة لا تتعـدى المسـلمين مـن المهـاجرين والأنصـار بشـكل رئيس ، وقـد بـدأت علـى أنهـا سـلطة روحيـة تأخـذ مـن الإيمـان منهجاً لها ، وعلـى المسلمين وجوب الطاعة الكاملـة لما يأتيهم من الرسول ﷺ من توجيهات وأوامر ، كون حقيقة هذه الأوامر من الله تعالى ، وبالتالي لا يجوز لمسلم عصيانها أو ان يخرج عليها ٠

فالله تعالى هو خالق الكون والإنسان والحياة منه المبعث واليه المنتهى وله كل شـئ ، وهـذا بيـان بأحقيـة السـيادة لـه ، وتخويلـه الرسـول ﷺ بتنفيـذها وفقـاً لـلأمـر السماوي باعتباره النبي ﷺ المرسل ، (اذاً فهو المالك لكل شئ وهو الحامي والراعي للمصالح العامة وفيه يتجسم المجتمع ككل)([1]) ٠

وقد تجسدت هذه الأوامر بآيات القرآن الكريم والتي نزلت على الرسول ﷺ بصورة تدريجية ، بينت الطاعة لله تعالى والرسول ووجوبها على المسلمين ، لقوله ﷻ : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ)([2]) وقوله ﷻ : (مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)([3]) ٠

وفـي بيعـة العقبـة الثانيـة ، ومبايعـة الأنصـار للرسـول ﷺ ، ومـا كتـب بيـنهم مـن عهـود ، حتـى ان العبـاس بـن عبـادة الأنصـاري([4]) خاطـب قومـه قـائلاً : " يـا معشـر الخزرج أتدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : أنكم تبايعونـه علـى حـرب الأحمـر والأسـود مـن النـاس ، فـان كنـتم تـرون أنكـم أن نهكـت أمـوالكم مصـيبة

---

[1] ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج١ ، ص٢٢٥ ؛ الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج١٦ ، ص٢٣٣ ؛ صالح العلي ، التنظيمات الإجتماعية والإقتصادية في البصرة ، بيروت ١٩٦٩م ، ص١٠٣ ٠

[2] سورة النساء ، الآية ٦٤ ٠

[3] سورة النساء ، الآية ٨٠ ٠

[4] هو العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن بدر بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ، كان أحد النقباء في العقبتين ، أسلم وولده الحمزة بن العباس ، شهد بدراً وأحد وقتل فيها شهيداً ، له حوارات كثيرة يوم العقبة الثانية ؛ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٢٣ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٣ ، ص١٠٨ ٠

وأشرافكم قتلاً أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله وان فعلتم خزي الدنيا والآخرة "([1]) ، ويقول للرسول ﷺ في البيعة : " والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن غداً على أهل منى بأسيافنا ، فقال ﷺ : لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا الى رحالكم"([2]).

وهذا يعني ان الأنصار لم يبايعوا النبي ﷺ كونه نبياً مرسلاً ، ويؤمنون برسالته ، ويأوونه في مدينتهم ، بل أنهم بايعوه وكما تفيد النصوص أعلاه على الرئاسة ، وكونه قائداً سياسياً ، يطيع أوامره ويمتثل لها السيد في قبائلهم والرجل العادي ، ولعل مصداق هذا الرأي ، هو أول أمر سياسي تنظيمي أصدره قبل هجرته ان يخرجوا من بينهم اثني عشر نقيباً ، ليكونوا كفلاء على قومهم في المدينة ، من أجل ضمان وحدتهم وتنظيمهم حتى أوان الهجرة من مكة الى المدينة٠

إلا إن هذه السلطة توسعت بحكم تحالفات الأوس والخزرج مع اليهود ، فجعلت اليهود بشكل وآخر ينضوون تحت سلطة الرسول ﷺ ، ثم إستمرت هذه السلطة بالتوسع والنمو مع إنتشار الاسلام ، وزيادة قوة المسلمين ، الأمر الذي جعل الرسول ﷺ صاحب السلطة العليا في المدينة ، وجعلت من المدينة مركزاً لكيان سياسي قوي ومؤثر ٠

٢-**برنامج الرسول ﷺ السياسي** : ما ان وصل الرسول الكريم ﷺ الى المدينة المنورة ، و المدينة كانت بأحوج ما تكون الى إشاعة روح التعاون والسلام والحب بين أهلها في إطار الاسلام ، فعمد الرسول ﷺ الى إشاعة هذه القيم، فيروى انه بعد وصوله مباشرة إنجفل الناس اليه ، فخطب ﷺبهم قائلاً : " يا أيها الناس ، افشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا الليل والناس نيام ، تدخلون الجنة بسلام "

---

[1] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٦٠٩ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج١ ، ص١١٠ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٣ ، ص١٠٨ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢١٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص١٨٩ ٠

[2] ابن هشام السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٠٥ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٩٤ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٥١١ ٠

([1]) ، ويبدو ان الرسول ﷺ أدرك ان هذه القيم تحقق وحدة أهل المدينة وتقوية وتوسيع السلطة والنظام فيها.

٣-المساواة والحياد : منذ اليوم الأول لوصول الرسول ﷺ الى المدينة أراد أن يعطي لمجتمع المدينة درساً في المساواة والحياد المطلق ، وكان ذلك من خلال إيجاد مقر لسلطته ومسكنه ، فيروى ان كل القبائل والشخصيات في المدينة رحبت بمقدمه ، فتلقاه زيد بن لبيد وفروة بن عمرو و رجال من بني بياضة ، واعترضه سعد بن عبادة و المنذر بن عمرو و رجال من بني ساعدة ، واعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة ورجال من بني الحارث ، وأمسكوا في زمام ناقته ﷺ قائلين : (يا رسول الله أقم عندنا في العدة والعدد والمنعة) ، فكان يعتذر منهم بقوله : (خلوا سبيل الناقة أنها مأمورة)([2]) ، وهذا بلاغ منه ﷺ على انه لا يريد أن ينزل عند أحدى القبائل أو الشخصيات كي لا يكون لها الشرف والجاه دون الآخرين ، وبهذا يكون مبدأ الحياد والمساواة قد فقد .

٤- **الوحدة والتضامن والبساطة** : أعطى الرسول ﷺ لأهل المدينة درساً في الوحدة والتضامن والمشاركة والبساطة ،من خلال شروعه ببناء مسجد المدينة ليكون مركزاً للفعاليات الدينية لأداء الصلاة ، والسياسية لإيجاد رابطة للجماعة الإسلامية ،وإدارة الدولة ، والأمور العامة للأمة الجديدة ، إذ شارك في العمل جميع المسلمين دون استثناء الصغير والكبير ، الشيخ والشاب ، المهاجر والأنصاري ، المرأة والرجل ، فيروى ان الشموس بنت النعمان بن عامر الأوسية قالت : " نظرت الى رسول الله ﷺ حين قدم المدينة ، وأسس مسجده ، فرأيته يأخذ الحجر أو الصخر العظيم، فيقهره الى بطنه ،

---

(1) احمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج٢ ، ص١٥٦ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٣ ، ص١٢ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢٥٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٢٥٥ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٦ ، ص٦٥ .

(2) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ و ص٢٣٧ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج١ ، ص١٣٤ ؛ الطبرسي ، أعلام الورى ، ج١ ، ص١٥٢ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٨٠ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢٥٥ .

فنأتي لنأخذه منه ، فيقول : دعه وأحمل غيره " ([1]) ، ولما شاهدوا الرسول ﷺ يشاركهم بهذه الصورة قال قائلهم :

لئن قعدنا والنبي يعمل   لذاك منا العمل المضلل

فيجيبهم الرسول ﷺ قائلاً :

لا عيش إلا عيشة الآخرة   اللهم أرحم الأنصار والمهاجرة(٢)

وعمل الرسول ﷺ لمسجده عضادتيه من الحجارة ، وسواريه من جذوع النخل ، وسقفه من جريدها ، هذه صورة المسجد البسيطة ، كان بإمكان الرسول ﷺ جلب العمال ، والمواد الجيدة لبناء المسجد ،ويكون شكل المسجد بغير صورة بنائه ، إذ لم تكن قصور الحيرة واليمن والشام ومصر بعيدة عليه ، بل ان في المدينة ذاتها حصوناً منيعة ، وقصوراً مشيدة كثيرة ، إلا انه أراد إثارة الحماس بين المسلمين ،فاندفعوا يعملون بجد ونشاط ، هذا فضلاً عن أنه يمتلك من القدرة المالية ما يكفيه لذلك وأكثر ، ومصداق هذا التحليل ، انه بعث زيد بن حارثة وأبا رافع (رضي الله عنهما) الى مكة المكرمة ، وأشترى لهما بعيرين وأعطاهما خمسمائة درهم ليقدما فاطمة الزهراء وأم كلثوم إبنتيه ، و أم سلمة زوجته ، (رضي الله عنهن) واسامة بن زيد ﷺ، ليجمع شمل عائلته الصغيرة ، ويتفرغ لإدارة شؤون المسلمين([3]) ٠

أراد النبي ﷺ بهذا أن يبين لهم شخصية القائد في الاسلام ، وأن يكون شعوره بالمسؤولية تجاه العمل يتعدى حدود صدور الأوامر ،لا سيما إذا كان يرتبط بالهدف الأقصى ، والمصلحة العليا للإسلام والمسلمين ، وأن يكون معهم كأحدهم ، فلا يستعلي ، ولا يحجب عنهم ، وليكون هو الدرس العملي للمسلمين ٠

---

[1] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٣٤١ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٣ ، ص١٩٠ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٢٤ ، ص٣١٧ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٤٨٨ ٠

[2] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٤٤ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢٥٧ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٣٠٦ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج٧ ، ص١٩٢ ٠

[3] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٣٧ ؛ الطبري ، المنتخب في ديل المذيل ، ص٩٣ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٥٨٢ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٣ ، ص٢٧٦ ٠

٥-**تأثير بيئة المدينة في حياة المهاجرين :** بالنظر لما قدمه الأنصار من مؤاساة ، وحسن الإستقبال ، وتقديم كل ما من شأنه أن يساعد المهاجرين على العيش والتعايش بشكل اعتيادي ، ويجعلهم لا يشعرون بالفرق بين بيئتهم الأولى مكة والمدينة ، مع هذا كان المهاجرون يجدون صعوبة في الموائمة مع بيئة المدينة ، لإعتبارات مناخية واجتماعية ، فكانت أرض المدينة موبوءة وكثيرة المستنقعات ، وكان تكثر فيها الأمراض ، حتى وصفتها أم المؤمنين عائشة(رضي الله عنها) وقالت: (قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض الله)([١]) ، الأمر الذي أمرض العديد من الصحابة ، كأبي بكر الصديق و بلال الحبشي(رضي الله عنهما) ، وأصابة البعض من الصحابة حمى المدينة (لعلها الملاريا)، فكانوا لا يصلون إلا وهم قعود([٢]) ، حتى صرف الله تعالى عن نبيه وأصحابه البلاء ٠

لعل هذا المرض والبيئة السيئة كان يذكي في نفوس المهاجرين الحنين الى وطنهم (مكة) ، ويروى ان بلال الحبشي كان كلما زالت عنه الحمى ، يرفع عقيرته(الصوت الباكي) ويقول([٣]) :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي وحولي أذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون شامة وطفيل(*)

وكان النبي ﷺ يزور الصحابة ، حتى دعاه الأمر وقال : "اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء " ، وقال ﷺ: (اللهم أحبب إلينا المدينة كحبنا مكة وأشد ، وصححها ، وبارك لنا في صاعها

([١]) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٤٢٦ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٢ ، ص٢٣٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٢٦٩ ٠

([٢]) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٤٢٧ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٣١٩ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٣ ، ص٣٩٨ ٠

([٣]) الإمام مالك ، الموطأ ، ج٢ ، ص٨٩١ ؛ الإمام أحمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج٦ ، ص٨٣ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٢ ، ص٢٣٥ ؛ ابن حبات ، الثقات ، ج١ ، ص١٣٨.

(*)مجنة : موضع ماء تقام به سوق في الجاهلية بالقرب من مكة ، شامة وطفيل : جبلان مشرفان على مجنة ؛ البكري ، معجم ما استعجم ، مادة (هرشي) ، ج٤ ، ص١٣٥١ ٠

ومدها ، وانقل حماها وأجعلها بالجحفة)([1]) ، ولعل هذا الوباء كان أحد أسباب المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ٠

وفق هذه الخارطة الدينية والإجتماعية والسياسية دخل الرسولﷺ المدينة ، وتوجب علية ان يضع قانوناً يسع ويستوعب كل هذه التحديات وما سيواجه من صعوبات في طريق بناء الدولة ، وتخطيط مستقبلها ٠

قانون دولة المدينة :

سمي هذا القانون بعدة تسميات ، فسمي دستور المدينة ، وسمي الصحيفة ، وسمي الوثيقة ،وسميت عقداً ، وسميت اتفاقا ، وسماها آخر معاهدات ، وهنا لا يسع المقام لمناقشة هذه التسميات ، وقد أجاز الباحث لنفسه ان يسميه (**قانون دولة المدينة**) ، كون بنوده تغيرت في دولة الخلافة الراشدة ، وما تلتها من دول ،بسبب تغيير المعطيات والرؤى والقوى ، وان هذا القانون تضمن كل ما يثبت ويعزز ويعالج إدارة الدولة الناشئة ، سواء كان في داخلها ، أو خارجها ، في المجالات السياسية والاجتماعية والإقتصادية والدينية ،ثم ان هذه الوثيقة (القانون) تعد من أهم الوثائق التاريخية والقانونية ، والتي لم تدرس بشكل مفصل ودقيق ، لاستخلاص ما فيها من دلائل ، وأحكام ، وغايات سامية جاء بها الاسلام ، وهل أنها جاءت لتلبي حاجات الناس في المدينة ؟ أو أنها كانت بصيغة تطلبتها مرحلة معينة ؟ أوهي محطة من محطات تأسيس دولة للإسلام ؟ أم انها كتبت بأمر إلهي ، وهي واجبة الطاعة ؟ وهل انها كتبت بعد مفاوضات بين الأطراف المشتركة فيها ، أم انها فرضت من الرسول ﷺ بأمر سماوي ؟هذه مجرد تساؤلات لم يكثر المؤرخون في البحث والتفصيل والتحليل فيها ٠

وهذا القانون كتبه رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود ، وعاهدهم ، وأقر لهم دينهم وأموالهم ، وشرط لهم وإشترط عليهم ، وهنا نص القانون([1]):

---

[1] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٤٢٧ ؛ الإمام أحمد بن نبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج٦ ، ص٥٦ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص٢٢ ؛ البلاذري و فتوح البلدان ، ج١ ، ص١١ ؛

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم :

١- إنهم أمة واحدة من دون الناس .

٢- المهاجرون من قريش على ربعتهم (*)، يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٣- وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٤- وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٥- وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٦- وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٧- وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٨- وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

---

[1] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٣٤٨ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٨ ، ص١٠٦ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢٦٠ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٣٣١ ؛ الأحمدي الميانجي ، مكاتيب الرسول ﷺ ، ج٣ ، ص٦ .

(*)الربعة : ثبوت الشأن والحال التي هم عليها ، يتعاقلون : المعقلة : الدية ، ويتعاقلون يتشاركون في دفع الديات ، العاني : الأسير ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ربع –عقل –عنا) .

٩- وبنو النبيت[١]على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ٠

١٠- وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ٠

١١- وان المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم ، وان يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل[٢] ٠

١٢- لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ٠

١٣- وان المؤمنين والمتقين على من بغي منهم وابتغى ، دسيعة[٣] ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم٠

١٤- ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ولا ينصر كافراً على مؤمن ٠

١٥- وإن ذمة الله واحدة : يجير عليهم أدناهم ، وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ٠

١٦- وان من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا تناصر عليهم٠

١٧- وأن سلم المؤمنين واحدة : لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم ٠

١٨- وان المؤمنين يبئ[١] بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله وان المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه .

---

[١] النبت : هم قوم من الخزرج ابناء عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة ؛ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٤٢٠ ؛ خليفة بن خياط ، طبقات خليفة بن خياط ، ص١٤٩ ٠

[٢] المفرح : المثقل بالعيال والدين ، ولا يجد قضاءه العقل : الدية ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (فرح –عقل) ٠

[٣] الدسيعة : مائدة الرجل ، و هي كل مكرمة يفعلها الرجل ، ولعل المراد هنا الولائم التي تقام لظلم الناس ، من خلال اطعام الأغنياء وعلية القوم ، وليس لإشباع الجياع ،فترى ولائمهم منبراً للشعراء وبهذا المعنى تقول أم جميل بنت حرب بن أمية:

زين العشيرة كلها في البدو منها والحضر
ضخم الدسيعة ماجد يعطي الجزيل بلا كدر

الفراهيدي ، العين ، مادة (دسع) ؛ ابن طيفور ، بلاغات النساء ، ص٤٠ ٠

١٩- وان كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً بالقسط والمعروف٠

٢٠- المتقون على أحسن هدى وأقومه ٠

٢١- وان لا يجير مشرك مالاً لقريش ،ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ٠

٢٢- وان من أغتبط([2])مؤمناً قتلاً عن بيئة فانه قود به ، إلا أن يرضي ولي القتول ، وان المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا القيام عليه ٠

٢٣- وانه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ([3]) ولا يأويه ، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ٠

٢٤- وانكم مهما اختلفتم فيه من شئ فان مرده الى الله عز وجل ومحمد رسول الله ﷺ ٠

٢٥- وان يهود بني عوف أمة مع المؤمنين : لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ([4]) إلا نفسه وأهل بيته ٠

٢٦- وان ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف ٠

٢٧-وان ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته ٠

٢٨- وان لبني الشطيبة (بطن من جفنة) مثل ما ليهود بني عوف وإن البر دون الإثم

---

[1] يبئ : من البواء وهي المساعدة أو التناوب في الغزو في سبيل الله ،كقول كعب بن عجرة الأنصاري:

ولا نكل على الأوتار حتى   يبئ بها ولا برم جثوم
وقومك في المدينة قد أبيروا   فهم صرعى كأنهم هشيم

البلاذري ، أنساب الأشراف ، ص٢٩١ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري و ج٣ ، ص٥٦٣ ٠

[2] أغتبط : الذي يقتل بلا جناية أو ذنب ، ويتوجب قتل الجاني ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عبط) ٠

[3] المحدث : الشخص الذي يحدث اضطراباً في الأمر القائم ، أو الذي جنى على غيره جناية ، أو المبتدع ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (حدث) ٠

[4] الوتغ : الهلاك ، ويوتغ : تعني يهلك ويأثم ، ويقال أوتغه الله : أي أهلكه الله ٠(الجوهري ، الصحاح ، مادة (وتغ)٠

٢٩- وان بطانة([1]) يهود كأنفسهم ٠

٣٠- وان يثرب حرام جوفها([2]) لأهل هذه الصحيفة ٠

٣١- وان ليهود جشم مثل ما ليهود بني عوف ٠

٣٢- وان جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ٠

٣٣- وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف ٠

٣٤- وان ليهود بني الحرث مثل ما ليهود بني عوف ٠

٣٥- وان ليهود بن ساعدة مثل ما ليهود بني عوف ٠

٣٦- وان موالي ثعلبة كأنفسهم ٠

٣٧- وان اليهود ينفقون مع المسلمين ما داموا محاربين ٠

---

[1] البطانة : خلاف الظاهر ، والبطانة :الوليجة ،أي الدخول و وأبطنت الرجل : جعلته من خواصك ٠ لجوهري ، الصحاح ، مادة (بطن)٠

[2] ورود كلمة جوفها في هذه المادة لا تعني شئ ، ولا تستقيم مع الهدف، فأي جوف في يثرب حرام على أهلها أولاً كونهم معنيون في الصحيفة ، ولعل في الأمر تصحيف ، إذ ان الكلمة لعلها تكون الجرف ، وهو موضع يبع ثلاثة أميال باتجاه الشام ، وفيها عيون ماء عذبة مثل عين الجشم وعين جمل ، ولعل هذا المكان كان مضطرب أو لقريش والروم مطمع به ، بدلالة ان الجرف شهد الكثير من الأحداث المهمة ، ففيه حدث يوم كبير من من أيام المدينة قبل الاسلام ، سمي يوم الجرف أو وقعة الجرف ، بين هذيل وسليم ، وهو ذات المكان الذي عسكر فيه أسامة بن زيد ﷺ في سريته المعروفة (سرية أسامة) ، وفيها قبره ،وهو نفس المكان الذي نزلت فيه قريش يوم الخندق ،ولعل لليهود فيه أطماع ، أو صراعات ، إذ نرى كعب الأحبار النضيري اليهودي يقول في الجرف:

ولنا بئر رواء جمة من يردها بإناء يغترف

كل حاجاتي بها قضيها غير حاجاتي على بطن الجرف

ويقول الشاعر خالد بن زهير الهذلي في الجرف :

رويداً رويداً اشربوا ببشاءة إذا الجرف راحت ليلة بعذوب

ابن سعد و الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٧٢ ؛ابن شبه النميري ، تاريخ المدينة ، ج١ ، ص١٥٢ ؛الطبري ، تاريخ الطبري و ج٢ ، ص٤٦٢ ؛ ياقوت و معجم البلدان ، مادة (جرف) ، ج٢ ، ص١٢٨ ٠

٣٨-وانه لا يخرج أحد منهم إلا بإذن محمد وإنه لا ينحجر (التأم) على ثأر جرح ، وانه من فتك نفسه فتك وأهل بيته ، إلا من ظلم وإن الله أبر من هذا ٠

٣٩-وان على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وان بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ، وانه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وان النصر للمظلوم ٠

٤٠- وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم٠

٤١- وانه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ٠

٤٢- وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث و اشتجار يخاف فساده فإن مرده الى الله عز وجل ومحمد رسول الله ، وان الله على اتقى ما في هذه الصحيفة وأبره ٠

٤٣- وانه لا تجار قريش ولا من نصرها ٠

٤٤- وان بينهم النصر على من دهم يثرب ٠

٤٥-وإذا دعوا الى صلح يصالحونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا الى مثل ذلك فان لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم[1] ٠

٤٦-وان يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن من أهل هذه الصحيفة وإن البر دون الإثم ٠

٤٧-لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وان الله على ما أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره ، وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن في المدينة ' إلا من ظلم وأثم وان الله جار لمن بر واتقى٠

محمد رسول الله

الفكر السياسي والاجتماعي في قانون دولة المدينة:

---

[1] لعل بهذه الفقرة شئ من البلاغة في الصياغة ،كون اللفظ الرسالي غزير المعاني ، ويحتاج الى تدبر ، فلعل الصلح المقصود هنا ليس صلح الحرب أو القتال ، كون الرسول ﷺ هو القائد والمقرر في هذه الأمور ، فالمقصود هنا هو الصلح في سداد الديون بالتراضي أو التراضي في فك أسارى بعضهم بعضاً لتعدد الحروب بين الأوس والخزرج ٠

لعل مواد القانون تختص بالجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعامة ، إلا ان من المفيد في هذا المبحث ان نعرج على الفكر السياسي لمفهوم الأمة مثل التنظيم وحقوق الأفراد ، ويمكن إجمالها بما يأتي :

١- أقر القانون ان المسلمين أمة واحدة ، وهذا أمر سماوي ، لقوله ﷻ:(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)[1] ، وقوله ﷻ : (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ)[2] ، وقد وردت مفردة الأمة في القرآن الكريم (٦٤) مرة ، ومن الجانب الدنيوي فعلى الرغم من إختلاف انتماء القبائل المنضوية تحت لواء هذه الأمة ،واختلاف طموحاتها ، واختلاف حالاتهم المعيشية ، ثم أنها كانت من أشد القبائل حرباً وكراهية لبعضها البعض ، فإن لهذا الأمر أبعاده السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحقوقية ، ولها انعكاس على التكوين ، وعلى عموم الحياة العامة ٠

٢- يتضح من هذا القانون ان الأمة الناشئة في المدينة تختلف عن القبيلة ، من حيث الرابطة ، مثل الدم والقرابة ، وان الوحدة في المجتمع الإسلامي اتخذت من العقيدة الرابطة الرئيسة ، إلا ان الرابطة الرئيسة في الأمة الجديدة تجاوزت حدود الرابطة العقائدية ورابطة الدم ، ليحل محلها الولاء السياسي ، وهنا أصبح مفهوم الأمة أوسع من مفهوم الجماعة الدينية ، أو التجمع القبلي ٠

٣- شكلت هذه الأمة أطاراً سياسياً جديداً تعيش فيه الفئات المسلمة وغير المسلمة جميعها، التي ارتضت قيادة الرسولﷺ ، وارتضت أن يمثل الإسلام (فكرية الإطار)[3] الذي تعيش فيه حياتها السياسية ٠

٤-ان الأمة في هذا القانون أوجدت إطاراً سياسيا مفتوحاً ، وأعطت الحق للأفراد والقبائل الاخرى حرية الدخول والانظمام إليها ، إذا ارتضت الحياة وفق إطارها ، وهذا يعني بداية مشروع للتطور والتوسع ، والانتقال من دولة تضم قبائل معينة الى دولة تبعتها كافة القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية ، وحتى ضمت أفراداً (عمال حكام فارس في اليمن والبحرين) من غير العرب خاطبهم الرسول ﷺ

---

[1] سورة الأنبياء ، الآية ٩٢ ٠

[2] سورة المؤمنون ، الآية ٥٢ ٠

[3] رضوان السيد ، الأمة والجماعة والسلطة ، دار أقرأ ، بيروت١٩٨٤م ، ص٥١ ٠

برسائل ، أعلنوا إسلامهم والإنظمام تحت لواء دولته ، كما هو حال أسيبخت مرزبان هجر فأبقاه على ولايته ، وباذان عامل كسرى على اليمن([1])

٥- هذه الأمة جعلت المسلمين(مهاجرين وأنصار) نواة الدولة المركزية ، وهم العاملون الرئيسون على تحقيق أهدافها والجهاد من أجلها ، وساعدت الفئات الاخرى للعب الدور المساعد والمساند للمسلمين ، وفقا لما ورد في القانون([2])٠

٦- تضمن القانون إقرار المهاجرين من قريش على عاداتهم وسننهم ، في الديات والدماء ،وهي مأخوذة أصلاً من الحنيفية ، لكنها نسخت وأبقت على الإستثناء في الحالات التجارية والشخصية ، ولعل هذا نابع من سياسة التدرج في الأحكام ، وفقاً للمعطيات المتسقة مع الواقع المعاش ٠

٧- القانون لم يلغ النظام القبلي بشكل كامل ،بل اعترف به خصوصاً في مجال الإلتزامات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، لكنه حاول جعله يتماشى مع مفهوم الأمة ، كون الأمة تشكلت من مجموعة قبائل وعشائر ، وليس من أفراد مستقلين([3]) ، فقد تشكلت الدولة من خمس بطون من الخزرج هم (بنو عوف وبنو ساعدة وبنو الحارث وبنو جشم وبنو النجار) ، ومن بطنين من الأوس هما (بنو عمرو بن عوف وبنو النبت) ، ثم أسلمت باقي البطون بعد الخندق ، وأشارت الصحيفة الى اليهود على إنهم حلفاء لبطون الأوس والخزرج ، وليس بصفتهم الشخصية([4]) ، وقد أبقى القانون على إلتزامات العشائر على ما كانت عليه سابقاً على أساس التكافل في دفع الدية ، وفداء الأسير ٠

---

(1) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٦٣ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٦، ص٣٢٨ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٩٥ ؛ الطبري ، المنتخب من ذيل المذيل ، ص١٦٢ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص١٠٦ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٩ ٠

(2) فلهاوزن ، يوليوس ، تاريخ الدولة العربية ، نقله من الألمانية ، محمد عبد الهادي أبو ريدة ، سلسلة الألف كتاب ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص١٢ ٠

(3) فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص١٢ ؛ رضوان السيد ، الأمة والجماعة والسلطة ، ص٥٤ ٠

(4) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٣٤٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٢٧٣ ٠

٨- أما في مجال الحقوق ، فقد نص القانون على ان الجميع متساوون في منح الجوار ، لأن ذمة الله واحدة ، ويجير عليهم أدناهم ([1]) ، والقانون لم يعط هذا الحق لغير المسلمين من أفراد الأمة بالقول: "وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن " ([2]) ، كون المسلمين والمشركين في حالة حرب ٠

٩- وقد أكد القانون على احترام حقوق الولاء ، فنص على (ان لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه) أي من غير موافقته ، منعا للبس والخلاف ،ثم نص على (أن لا يأثم أمرؤ بحليفه) و (انه لا يكسب كاسب إلا على نفسه)([3]) ، وبهذا توكيد المسؤولية الفردية في الدولة الجديدة ، ولا يتحمل الفرد مسؤولية غيره ، ولا يحاسب على جريرة غيره٠

١٠-تضمن القانون التعاون بين الجميع من أجل إيقاع العقاب على الجاني ، والدفاع عن المدينة في حالة الأخطار والكوارث ، وان المسؤولية تقع على الجميع بكل فئاتهم ، وبهذا ابتعاد عن العصبية القبلية ٠

١١-أوضح القانون ، وأكد ان المسألة الحربية كانت تشكل هاجساً كبيراً عند المسلمين في المرحلة المستقبلية ، وتشير الى عدم الاطمئنان من ناحية اليهود ، لذا حدد التزاماهم بشكل دقيق ٠

العلاقات التي تبناها الرسول ﷺ في المجتمع الجديد

المؤاخاة :

---

(1) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٣٣ ؛ الإمام احمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج٢ ، ص١٨٠ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢٦٠ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٣٢١ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٥ ، ص٢٤٣ ٠

(2) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٣٤٩ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٣٢٢ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ،ج٣ ، ص٣٨٢ ؛

(3) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٣٥١ ؛ ابن سلام ، الأموال ، ج٣ ، ص٢٢٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٢٧٦ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٩ ، ص١٧٢ ٠

من المعلوم ان المسلمين الذين هاجروا الى المدينة انقطعوا بشكل كامل عن قومهم ، وعن إخوانهم(١) ، وعن عشائرهم بصورة حقيقية وعميقة ، وقد واجههم حتى أحب الناس إليهم بأنواع التحدي والأذى ، وقد انقطعت علاقتهم بذوي رحمهم ، وصاروا وكأنهم لا عصبة لهم ،وقد شعر بعضهم قد أصبح وحيداً ، فلا نصير ولا عشيرة ،ولا مال ، مصداقاً لقوله ﷺ : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ)(٢) .

ويروى ان المشركين في مكة استولوا على أملاك من هاجر منها، وعدا هذا كان البعض منهم يعد من المساكين وذوي الحاجة أصلاً ، وأمام هذا الحال كانت الأخوة بين المهاجرين والأنصار ، ويذكر ان الأخوة في بادئ الأمر كانت باقتراح من الأنصار ، فاستشاروا الرسول ﷺ فوافق ، فكانت أجابه الأنصار بقولهم : (سمعنا وأطعنا)(٣) ، ومن هنا بدأت الأخوة في المدينة ، لتسد هذا الفراغ بالنسبة إليهم ، وللبعد عن الشعور بالوحدة ، ولتنبعث في نفوسهم الآمال والثقة بالمستقبل ، حتى بلغ بهم عمق تأثير المؤاخاة ان يتوهموا عموم منزلة الأخوة حتى تصل الى الإرث ، فورث المهاجر الأنصاري(٤) ، حتى نزل قوله ﷻ:(وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(٥) ، حتى وصل الحال إذ كان أحدهم لتكون معه المرأتان فيخير أخاه المهاجر في أحداها(٦) .

---

(١) ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج٢ ، ص٤٨٨ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج١١ ، ص١٠ ؛ الشيخ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج١ ، ص٤٣٨ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية ٧٢ .

(٣) البخاري ، الأدب المنفرد ، ص١٢٣ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٤ ، ص٢٩٠ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٣ ، ص١٩٦ ؛ الطبرسي ، تفسير مجمع البيان ، ج٧ ، ص٣٦١ .

(٤) الإمام الشافعي ،محمد بن إدريس المطلبي (ت ٢٠٤هـ) ، الرسالة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، المكتبة الوطنية للطباعة ، بيروت، (لات) ، ص٥٨٩ ؛ الجصاص ، أحكام القرآن ، ج٢ ، ص٢٣٣ .

(٥) القرآن الكريم ، سورة الأنفال ، الآية ٧٥ .

(٦) ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج٢ ، ص٤٨٨ ؛

ويبدوا ان الرسول ﷺ عد المؤاخاة صيغة مرحلية ، ولا يمكن ان تكون حالة مستمرة ، ويروي البلاذري ، ان الرسول ﷺ (خط لأصحابه في كل أرض ليست لأحد ،وفيما وهب له الأنصار من خططها)([1]) ، من هذه العبارة نجد ان الرسول ﷺ لم يمنح الأراضي للمهاجرين إلا بعد موافقة الأنصار ، وهذا دليل على التدرج في تسلم السلطة ، ولكي لا يحرج صحابته الأنصار ، كون أغلب القبائل لم تؤمن بعد .

أثر هذا الموقف النبيل من الأنصار في قلوب الصحابة ، فقد عبروا عن عظيم امتنانهم تجاه هذه الأخوة بقولهم للرسولﷺ : (يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن من مواساة في قليل ،ولا أحسن بذلاً في كثير ، كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ ، حتى خشينا أن يذهبوا بالأجر كله ، فقال ﷺ لهم :لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم لهم)([2]) ، لعل أصحاب هذا القول هم من مهاجرة الحبشة ، أي انهم لهم خبرة في المهاجرة ، ومن المفيد الإشارة الى ان من عاد من مهاجرة الحبشة قبل الهجرة الى المدينة ثلاثة وثلاثين مهاجراً ([3]) .

فيما تقدم إتضحت الأسباب الرئيسة للهجرة ، إلا ان بعض المؤرخين أوكلوا الهجرة الى أسباب آخرى مهمة ، بقوله : (ليذهب عنهم وحشة الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض)([4]) ، ويتضح ان أسباب المؤاخاة اجتماعية واقتصادية ،ولو ان المستشرق الفرنسي كلود ليفي شتراوس([5]) ، يقول ان المسلمين لا يمكنهم أن يتصوروا أو يعقلوا بهذه الأسباب ، فذهب بالقول الى أن المؤاخاة هي إلغاء

---

(1) فتوح البلدان ، ج١ ، ص٥ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢٥٨ .

(2) الأمام أحمد ، مسند أحمد بن حنبل ،ج٣ ، ص٢٠٠ ؛ ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج٢ ، ص٤٩٠ ؛ الترمذي ، صحيح الترمذي ، ج٤ ، ص٦٥ ؛ النسائي ، سنن النسائي ، ج٤ ، ص٥٣ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢٦٥ .

(3) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج١ ، ص٥٨ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٠ ؛ المقدسي ، البدأء والتاريخ ، ج٤ ، ص١٨٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٢٨٠ ؛ رحمن حسين علي ، الهجرة الى الحبشة ، ص١٣٨.

(4) السهيلي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد (ت٥٨١هـ) ، الروض الأنف ، المطبعة الجمالية ، مصر ١٩١٤م ، ج٢ ، ص١٨ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج٧ ، ص٢١٠.

(5) Claude Levy Strauss , Tristes Tropiqus, Paris 1955 ,p437 .

للآخر ، وانهم لا يمكنهم قبول من يخالف إيمانهم من اليهود ، أو لا يمكنهم تصور سلوك فائق عن سلوكهم ، فأوجدوا الأخوة الإسلامية ، لكن القارئ يعد ان هذا الطرح مع سلبيته هو إعتراف صريح بكينونة وقيام المؤاخاة ٠

ولعل هذه الأسباب ليست من الأهمية بمكان بحيث تجعل النبي ﷺ يأخذ هذه الخطوة المهمة ، لعدة أسباب منها :

١- ان المهاجرين ليسوا من عامة الناس في مجال العقيدة والإيمان ، وعندهم الشهادة في سبيل العقيدة أجمل من الحياة ، ويذهب المفسرون(١) الى ان الله ﷻ وصفهم بقوله : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)(٢) ، ومن هم بهذا الوصف لم ترهقه الغربة والوحدة ، ثم انهم فيما بعد فارقوا الأهل والعشيرة بشكل نهائي ، فمن سكن منهم الكوفة والبصرة وبلاد الشام ومصر والبحرين واليمن وغيرها ، فهذه المدن والأمصار أبعد وأشد فراقاً من المدينة التي ليست ببعيدة عن مكة من ناحية ، وهم متأكدون بعودتهم لها فاتحون ، وكذا حال مهاجرة الحبشة ، إذ أمضى قسم منهم أكثر من خمسة عشر عاماً في أرض الغربة ٠

٢- ان مؤاخاة أولى كانت للمسلمين في مكة قبل الهجرة الى المدينة ، فيروى ان النبي ﷺ آخى في مكة بين المسلمين، فآخى بين ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة ، وبين عبد الله بن مسعود والزبير بن العوام ، وبين عبيدة بن الحارث وبلال بن رباح ، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وبين ابي عبيدة عامر بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة ، وبينه وبين علي بن أبي طالب(٣) ، وهذا يعني ان المؤاخاة أمر معمول فيه في بداية الاسلام ، لقوله : ﷻ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)(١) ٠

---

(١) النسائي ، السنن الكبرى ، ج٦ ، ص٣١٣ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٤ ، ص٥٩ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج٢ ، ص٥٥٧ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٢ ، ص٦٢ ٠

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ ٠

(٣) ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٧٠-٧١ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص١٩٧ ؛ المزي ، ابو الحجاج يوسف المزي (ت٧٤٢هـ) ، تهذيب الكمال ، تحقيق بشار عواد معروف ،

٣-ان المؤخاة في المدينة كانت في الشهر الخامس من قدومه في المدينة ، وقيل في الشهر الثامن، ويروى ان المؤاخاة كانت قبل بدر ،هذا الرأي يجمع عليه المؤرخون[٢] ٠

٤-لعل المؤاخاة كانت بأسباب وفوائد شرعية ، على أساس زيارة الأخوان ، والمبيت المستمر عند الأخوين ، وجواز مخاطبة المرأة الأجنبية ، والحاجة والسؤال هنا يترتب عليه مصلحة الجماعة ، وهناك أسباب شرعية أخرى أوجبت الأخوة لا يتسع المقام لذكرها٠

أسس العلاقات التي تبناها الرسولﷺ :

في مبحث الفكر السياسي والاجتماعي والحقوق المتقدم ، ذكرنا مجموع العلاقات العامة ، والخطوط العريضة مع أبناء الأمة الجديدة ، وفي هذا المبحث نورد العلاقات مع فئات المجتمع الجديد كل على حدة ، وهي كما يأتي :

١- **علاقاته مع المهاجرين** : كانت علاقة الرسول ﷺ مع المهاجرين على قدم المساواة مع أشقائهم الأنصار ، ولم يفرق بينهم ، إلا في السبق في الاسلام ، فهم أول من آمن به ، وقد تحملوا المشاق والجهد ، وتركوا أموالهم وأملاكهم في مكة ، فيروى ان بني جحش هاجروا بأجمعهم الى المدينة وغلقوا أبواب دورهم ، وليس بها من ساكن ، فاستولى عليها ابو سفيان بن حرب وباعها ، وبهذا يخاطبه عبد الله بن جحش بقصيدة[٣] يقول فها :

إبلغ أبا سفيان عن أمر عواقبه ندامة
دار ابن عمك بعتها تقضي بها عنك الغرامة
وحليفكم بالله رب الناس مجتهد القسامة

مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٣هـ ، ج٢٠ ، ص٤٨٤ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج٤ ، ص١٨٢ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٨ ، ص٢٧٣ ٠

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٠ ٠

(٢) ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٧٠ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٣٥٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٢٧٧ ؛ السمهودي ، وفاء والوفا ، ج١ ، ص٢٦٧ ٠

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٣٤٧ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص١٠٢ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٤ ، ص٢٩٢ ؛ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص٣٠ ٠

إذهب بها إذهب بها طوقتها طوق الحمامة

ومبعث هذه الخصوصية مردها الى الله تعالى ، إذ فرقهم عن باقي المسلمين وخصهم بعدة آيات ، كما في قوله ﷻ :(وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ)([1]) ، وقوله ﷻ:(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ)([2])، فعلى رأي أغلب المفسرين([3]) ان هذه الآية نزلت في المهاجرين من مكة الى المدينة ٠

فإذا كان الله تعالى قد خصهم بهذه المنزلة بهذه الآيات وغيرها ، وميزهم من الباقين ، فمن المؤكد أن الرسول ﷺيخصهم أيضاً ، ويضعهم في المكان الذي وضعهم به الله تعالى ، والخصوصية هنا إعتبارية ومعنوية ، وهذه الخصوصية جعلتهم ان يكونوا أكثر عطاءاً وتضحية ، وأقدر على قيادة الأمة من بعده ، فلهم فضائلهم ، وللآخرين فضائلهم ٠

٢- علاقته مع الأنصار :

ما ان حل الرسول ﷺفي المدينة ضيفاً على بني عمرو بن عوف وهم بنو النجار من الأوس أخوال جده ﷺ عبد المطلب ، أعلن سلطاته ،وعمل أولاً على أزالة أسباب الصراع والقتال المستمر بين قبائل المدينة ،الأوس والخزرج ، ومن الشواهد على هذه السياسة ، يروى ان أسعد بن زرارة أحد نقباء الخزرج في العقبة ، خاف أن يأتي للسلام على الرسول ﷺ ، لأنه كان يخشى أن يثأر منه الأوس كونه قتل أحد أبنائها في بعاث ، فلما علم الرسول ﷺ بالسبب ، قال لسعد بن خيثمة وابن

---

[1] سورة النحل ، الآية ٤١ ٠

[2] سورة آل عمران ، الآية ١١٠ ٠

[3] الإمام أحمد ، مسند أحمد بن حنبل ، ج١ ، ص٢٧٣ ؛ ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج٢ ، ص٤٨٨ ؛ النسائي ، السنن الكبرى ، ج٦ ، ص٣١٣ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٤ ، ص٥٩ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٧ ، ص٥٩ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٢ ، ص٢٩٤ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٦ ، ص٣٧٢ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج٢ ، ص٥٥٧ ؛ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٣٩٩ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٢ ، ص٦٢ ٠

عمه رفاعة بن مبشر ([1]) " أجيروه ، فقالوا : أنت يا رسول الله ، فأجره فجوارنا من جوارك ، فقال رسول الله ﷺ : يجيره بعضكم ، فقال سعد بن خيثمة : هو في جواري ، ثم ذهب سعد الى أسعد بن زرارة في بيته ،وجاء به مخاصر يده في يده ظهراً حتى انتهى به الى بنو عوف ، ثم قالت الأوس : كلنا جار له يا رسول الله " .

هذا يشير الى انه ومنذ اليوم الأول سعى ﷺ الى أزالة أسباب العداء ، وممارسة سياسة الحكم المحايد ، ورمي الخلافات والمنازعات الى الخلف وجعلها من الماضي المتروك ، واقامة مجتمع موحد يقوم على أساس الود والمحبة .

وفي الوقت نفسه أعطاهم منزلة عظيمة ، وسماهم الأنصار ،لتكون لهم شرفاً وعزاً بأنهم هم الذين ناصروا الله ورسوله ، بل ان الرسول ﷺ مّيزهم من المهاجرين ، إذ جعل لهم راية خاصة بهم في المعارك والغزوات ، فكان صاحبها في بدر واحد وحنين والأحزاب وفتح مكة سعد بن عبادة الأنصاري([2]) .

ومن أجل أن يميزهم خصهم الرسول ﷺ بشكل أكثر في المعارك والغزوات ، يروى انه ﷺ كان يناديهم في (معركة أحد) ويشحذ فيهم الهمم والنصرة ، فيناديهم ويقول للأوس :(يا بني عبد الله) ، ويقول للخزرج :(يا بني عبيد الله)وهذه كنى لأجدادهم الأوائل ([3]) ، وناداهم ﷺ في (معركة حنين) بقوله : (يا أصحاب سورة البقرة)، ويروي ابن عباس رضي الله عنه ويقول في معركة حنين : "كنت رجلاً صيتاً ، فقلت

---

[1] هو سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن أمرئ القيس ، كان صاحب البيت الذي نزل به الرسول ﷺ لمدة أربعة أيام ، ويسمى بيته (بيت العزاب)، استشهد في بدر ؛ ابن سعد الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٣٣ ؛ خليفة بن خياط ، طبقات خليفة بن خياط ، ص١٥٠ ، البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٤ ، ص٤٩ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص١١ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٤١ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ١ ، ص١١٢ .

[2] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٤٤٦ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١٣٨ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص٢١٥ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٥٥ .

[3] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص١٤ ؛ الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٤٧ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٢ ، ص٧٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٣٣٥ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٥ ، ص٢٢٨ .

بأعلى صوتي : (يا أصحاب السمرة) " ، وهي شجرة بيعة الرضوان ، وكأن عطفتهم على المشركين حين سمعوا صوتي كما تعطف البقر على أولادها ، وهم يتنادون يا لبيك يا لبيك ، فاقتتلوا والرسول ﷺ يتطاول عليهم من بغلته([1]) ٠

ومن جانب آخر ضمن الرسول ﷺ للأنصار حقوقهم بتحالفاتهم القبلية مع غير المسلمين ، ولو بشكل مرحلي ، إلا ان هذه الشواهد تؤكد المكانة العالية للأنصار في سياسة الرسول ﷺ ٠

٣-علاقته مع اليهود:

اليهود في المدينة كانوا في تحالف مع الأوس والخزرج ، ورحبوا بمقدمه لعله يدفع عنهم بعض الضيم من حلفائهم ، ويوفر لهم جواً من الاستقرار والأمان ، وكانت علاقة الرسول ﷺ بهم في بادئ الهجرة تتفق وعلاقته مع الأنصار ، وهذا مثبت في قانون المدينة من خلال :

١- اعترف القانون بحرية اليهود الدينية ومواليهم وأنفسهم ٠

٢- وسمح لهم ممارسة طقوسهم ٠

٣- وضمن لهم المساواة في المعاملة ، والحماية ٠

٤- فقد نص القانون على ان من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصر عليهم([2]) ٠

٥- ان الرسول ﷺ جعل من اليهود أمم بقوله : (ان بني عوف أمة مع المؤمنين)(٣) ، وان ابن سلام ، ذكر هذه الرواية بشكل أوسع وبدلالة كبيرة الإختلاف فيقول: (وأن

---

[1] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص١٥١ ؛ الإمام أحمد ، مسند أحمد ، ج١ ، ص٢٠٧ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص١٠٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص٦٣ ، ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج٣ ، ص٢٨٢ ٠

[2] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ و ص٢٤٩ ؛ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢٦٠ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية و ج٢ ، ص٣٢١ ٠

[3] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٣٠٥ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ،ج١ ، ص٢٦٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٢٧٥ ٠

يهود بني عوف ، ومواليهم ، وأنفسهم ، أمة من المؤمنين)(١) ، ولعل وصف يهود بني عوف بهذا الشكل يراد منه استمالتهم للإسلام ، كونهم من العرب ، وهم أقرب من باقي اليهود للمسلمين ٠

هناك ملاحظة مهمة يجب عدم إغفالها ، تفيد بان القانون لم يذكر يهود بني قينقاع والنضير وبنو قريضة بالاسم الصريح ، وقد أشر الى بطون من اليهود متحالفة مع الأوس والخزرج ، ويبدو من السياق العام ان الرسول ﷺ أراد ان لا يجعل لهذه القبائل اليهودية أهمية وذات شأن ، فلم يورد أسماءها بشكل صريح ،وإنهم في تلك الفترة لم يكن لهم سطوة أو جاه ، إلا أنهم كانوا معنيين في القانون ، كونهم جزءٍ من سكان المدينة ، وإشارة الأحداث فيما بعد ان بنو قينقاع أول من نقض الموادعة بالمدينة ، وكانوا حلفاء عبد الله بن ابي سلول، فأجلاهم الرسول ﷺ عن المدينة(٢) ٠

هذا الجلاء الجماعي يعني ان بني قينقاع باجمعهم اشتركوا بارتكاب جريمة ، إذ ان القانون قرر المسؤولية الفردية بالنسبة لليهود ، فالفرد هو الذي يتحمل مسؤولية إذا ظلم أو أثم فانه لا يوتغ إلا نفسه ، وأهل بيته (٣) ٠

وبهذا يقول المستشرق ماركوليوث (٤) أن محمد في بادئ الأمر عامل اليهود مثل معاملته للمسلمين حتى السنة السادسة للهجرة ، يعني تاريخ نقضهم للموادعة ٠

---

(١) ابن سلام ، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الازدي (ت٢٢٤هـ) ، كتاب الأموال ، صححه وعلق هوامشه محمد حامد الفقي ، مكتبة التجارة الكبرى ، القاهرة١٣٥٣هـ ، ص٢٠٤ ٠

(٢) ابن سلام ، الأموال ، ص٢٠٧ ؛ الواقدي ، المغازي ، ج١ و ص١٧٦ ؛ خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٧ ؛ مسلم النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج٥ ، ص١٥٩ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٣٠ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٢١٣ ٠

(٣) أنظر المادة (٢٦) من القانون أعلاه ٠

(٤) **Margaliuth, Mohammed and the Rise of Islam , London 1905, P 63 .**

مساهمات المرأة في بناء الدولة

شاركت الصحابيات (رضي الله عنهن) الرسول ﷺ وصحابته في كل الأمور التي من شأنها إدامة الجهد لبناء الدولة ، كون الإسلام فرض على المرأة ما فرضه على الرجل ، ولم يستثن منها شيء ، ولو أن بعض الفقهاء أفتى بعدم جواز الجهاد على المرأة ، وهذا أمر خلافي ولا ينسجم تماماً مع الشواهد التي سترد في ثنايا البحث ، هذا من الناحية العقيدية ، أما من الناحية العملية في بناء المجتمع الجديد فان النبي ﷺ فتح مسارب الأمل في نفوس كوكبة من الشاعرات في الأمة الفتية لبناء حياة جديدة فضلى في مجتمع اسلامي ليكون نبراساً للأمم القادمة .

ولعلنا في هذا المبحث يجب أن نتطرق الى أهم النواحي التي شاركت فيها المرأة، وبيان شحنة الإبداع التي أوقدها النبي ﷺ في شخصية المرأة ، ولتكون صورة المساهمات والمشاركات جلية ، ويمكن تحديد مجالاتها وهي :

١- **في مجـال الشـعر:** مشاركة المرأة في الجانب الإعلامي من خلال ما قيل من الشعر ورواية الحديث ، فمن المعلوم أن رواية الحديث من قبل المرأة معلوم ،وجاء ذكرهن في كتب الحديث وعلى لسان الكثير من المحدثين ، أما ما يعنينا هنا هو الشاعرات اللائي أجادت قريحتهن في مدح النبي ﷺ باعتباره الرسول القائد ، ومدح الصحابة ، وذكر بطولاتهم في الذود عن حمى الإسلام لكونه مشروع الدولة الجديدة ، ولنا في هذا المقام ذكر قسماً منهن :

- أم المؤمنين خديجة بنت خويلد(رضي الله عنها) زوج النبي ﷺ،كانت رقيقة الشعر جداً ، ومن شعرها في بيان فضل النبيﷺ تقول([1]) :

هذا محمد خير مبعوث أتى فهو   الشفيع وخير من وطئ الثرى
يا حاسديه تمزقوا في غيظكم فهو   الحبيب ولا سواه في الورى

- الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى(رضي الله عنها) ، أخت الرسول الكريم ﷺ في

الرضاعة ، وهي شاعرة متمكنة قالت في النبيﷺ الكثير من الشعر منه قولها([2]) :

يا ربنا ؟ إبق لنا محمدا   حتى أراه يافعاً وأمردا
ثم أراه سيداً مسدداً   وأكبت أعاديه معاً والحسدا
وأعطه عزا يدوم أبدا

- أروى بنت عبد المطلب(رضي الله عنها) عمة رسول اللهﷺ وكانت شاعرة مجيدة([3]) ، ففي حب النبيﷺ تصف عطفه وبره بأهله والمسلمين وهي من صفات القائد

---

(١) المجلسي ، البحار ، ج١٦ ، ص٢٨ ؛ الشيخ الأميني عبد الحسين (ت١٣٩٢هـ) ، الغدير ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت١٣٩٧هـ ،ج٢ ، ص١٧ .

(١) ابن حجر ، الإصابة ، ج٨ ، ص٢٠٦ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج١ ، ص٣٨١ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٣٢٥ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٢٣ ، ص٣٢١ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٨ ، ص٩ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج١١ ، ص٨٦ .

الشجاع ، وهي من النساء اللواتي عاضدن رسول الله ﷺ بالكلمة وكانت تحض على نصرته تقول:

ألا يا رسول الله كنت رجائنا   وكنت بنا برا ولم تكن بنا جافياً

فدا لرسول الله أمي وخالتي   وعمي ونفسي قصرة وعياليا

صبرت وبلغت الرسالة صادقاً   وقمت صليب الدين أبلج صافيا

ولها قصائد عديدة ترثي بها النبي ﷺ نورد منها بيتاً لإعمام الفائدة تقول فيه :

ألا ياعين جودي واسعفيني   بدمعك ما بقيت وطاوعيني

- أروى بنت الحارث بن عبد المطلب(رضي الله عنها) ابنة عم النبي ﷺ التي شهدت لها سوح المعارك وهي تشد عزم المقاتلين وترد على من أراد الشر بهم والإنتقاص من بطولاتهم من شعرائهم ، وهي من الشاعرات المجيدات([1]) .

ويروى أن هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان قبل اسلامهما ، لما قتل وحشي الحمزة بن عبد المطلب عليه السلام بمعركة أحد ، وقفت على صخرة مشرفة ونادت بأعلى

صوتها ثم قالت([2]) :

نحن جزيناكم بيوم بدر   والحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان عن عتبة لي من صبري   أبي وعمي وشقيق بكر

شفيت نفسي وقضيت نذري   شفيت يا وحشي غليل صدري

فأجابتها أروى بن الحارث قائلة :

خزيت في بدر وغير بدر   يا بنت وقاع عظيم الكفر

---

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٥٠ ؛ خليفة بن خياط ، طبقات خليفة بن خياط ، ص ٦٢ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٣ ، ص٤٠١ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص٣٧٤ .

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٦٠٨ ؛ ابن طيفور ، بلاغات النساء ، ص٢٨ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٥٥٩ ؛ المحب الطبري ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، ج٢٥٢ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٤٢٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٧٣

أصبحك الله غداة الفجر   بالهاشميين الطوال الزهر

بكل قطاع حسام يفري   حمزة عمي وعلي صقري

وهذا يعني أن أروى بنت الحارث ، أخت عبيدة بن الحارث أول شهيد في بدر كانت قد حضرت معركة أحد ، وبالتأكيد لم تكن لوحدها ٠

- صفية بنت عبد المطلب(رضي الله عنها) عمة رسول الله ﷺ وهي شاعرة بليغة لها عدة قصائد في مدح النبي ﷺ في مكة المكرمة ٠

جاء السرور مع الفرح   ومضى النحوس مع الترح

أنوارنا قد أقبلت   والحال فيها قد نجح

بمحمد المذكور في   كل المفاوز والبطح

لو أن يوازي احمد   بالخلق كلهم رجح

ولقد بدا من فضله   لقريش أمر قد وضح

هذا النبي محمد   ما في مدائحه كلح

ولصفية بنت عبد المطلب قصائد ترثي بها النبي ﷺ في قصيدة منها([1]) :

يا عين جودي بدمع غير منحدر   ولا تملي وبكي سيد البشر

ولا تملي بكاك الدهر معولة عليه   ما غرد القمري في السحر

ولها قصيدة ترثي أخاها الحمزة بن عبد المطلب ﷺ ، الذي استشهد في معركة بدر تقول فيها([2]) :

أسائلة أصحاب أحد مخافة   بنات أبي من أعجم وخبير

فقال الخبير ان حمزة قد ثوى   وزير رسول الله خير وزير

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة   الى جنة يحيى بها وسرور

---

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٣٢٩ ؛ ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ج١ ، ص٢٠٩ ؛

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٦٦٩ ؛ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٦٨ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٤ ، ص٢٣٩ ٠

- أم حبيب نعم بنت سعيد بن يربوع(رضي الله عنها) زوجة الصحابي الجليل شماس بن عثمان، شاركت في أحد مع زوجها شماس ، ولما استشهد شماس مع الحمزة نعتهما ،وكان نعيها إظهاراً للبطولة ، وحسن الشمائل وجليل الأفعال قائلة([1]) :

يا عين جودي بفيض ليس إبساس على كريم من الفتيان أباس

صعب البديهة ميمون نقيته حمال ألوية ركاب أفراس

صعب البديهة مشبوب أظافره مواسب أهرت الشدقين جساس

أقول لما أتى الناعي له جزعاً أودي الجواد وأودي المطعم الكاس

قد كان حمزة ليث الله فاصطبري فذاق يومئذ من كأس شماس

- سعدى بنت كريز خالة عثمان بن عفان ، كانت شاعرة مطبوعة ، وفي شعرها دعاية للدين والإسلام ، ففي قصيدة تناشد ابن أختها عثمان بن عفان تقول فيها([2]):

عثمان يا عثمان يا عثمان لك الجمال ولك الشان

هذا نبي معه برهان أرسله بحقه الديان

وجاءه التنزيل والبرهان فأتبعه لا تغتالك الأوثان

وتقول في إسلام عثمان بن عفان :

هدى الله عثمان الصفي بقوله فأرشده والله يهدي الى الحق

فتابع بالرأي السديد محمدا وكان بن أروى لا يصد عن الحق

وأنكحه المبعوث إحدى بناته وكان كبدر مازج الشمس في الأفق

فداءك يابن الهاشميين مهجتي فأنت أمين الله أرسلت للخلق

وبالإمكان ذكر العديد من القصائد التي قيلت في مدح وحب النبي والسجايا العظيمة فيه والصحابة الكرام ، ولعل أغلبهن شارك في المعارك ، وحتى في مكة قبل

---

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ص٦٦٦ ؛ج٣ ، ص٢٤٥ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٥٥٦ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٧ ، ص٢٣٨ .

(٣) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٣٩ ، ص٢٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٧ ، ص٢٢٣ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٨ ، ص١٧٧ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٣ ، ص٧٧ .

الهجرة النبوية الشريفة، إلا ان المقام لايتسع لذلك ، وبالإمكان أن نورد أسماء العديد من الشاعرات اللائي أنشدن بحب النبيﷺ والإسلام ،وكن خير وسيلة إعلامية في زمان قل به الناصر والمعين ،واشتد أذى المشركين على الصحابة ، وهن[1] :عاتكة بنت عبد المطلب(رضي الله عنها) ، وهند بنت أثاثة بن عباد بن عبد المطلب(رضي الله عنها) ، وعاتكة بنت زيد بن عمرو(رضي الله عنها) ، وأم سلمة (رضي الله عنها)زوج النبي ﷺ ، وأم أيمن(رضي الله عنها) مولاة النبي ﷺ، وهند(رضي الله عنها) عمة الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، ورقيقة بنت صيفي بن هاشم ، وهي التي أخبرت الرسول ﷺ بان قريش تأتمر لقتله ، فنام علي ابن أبي طالب عليه السلام مكانه ليلة الهجرة [2] ٠

٢- **في المجال الطبي** : لا يخفى على الجميع ان الوضع الطبي في مجتمع الحجاز كان متردياً إذا لم نقل معدوماً ، ولم نعثر على الكثير من الأسماء للأطباء سوى الحارث ابن كلدة وما ذكرنا في الفصل الأول ٠

ومن المفيد ذكر بعض حالات الإستطباب التي كانت سائدة في المجتمع الحجازي ، فيروى ان الرجل إذا أراد الدخول الى قرية فخاف وباءها أو جنها ، وقف على بابها ، وضع يده خلف أذنه ونهق نهيق الحمار عشرة أصوات ، ويسمونه

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص١٤٤-١٤٨ ؛خليفة بن خياط ، طبقات خليفة ، ص١٧٤ ؛الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٢٤ ، ابن عبد البر ، الإستيعاب ، ج١ ، ص٣٦٧ ؛ ص٣٦٤ ؛

(٢) هي هند بنت عمرو بن حرام الأنصارية ، قتل في أحد زوجها (عمرو بن الجموح) وأخيها (جابر) وابنها (خلاد بن عمرو) حملتهم على بعير لها لتقبرهم في المدينة ، فقابلتها أم المؤمنين عائشة ، فقالت لها : وما وراءك ؟ فقالت : اما رسول اللهﷺ فصالح ، وكل مصيبة بعده جلل واتخذ الله من المؤمنين شهداء ، ثم سألتها : وما هؤلاء ؟ فقالت: أخي وزوجي وابني ، جئت بهم لأقبرهم في المدينة؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص ٤٠٤؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٤ ، ص٢١٤ ٠

(التعشير) ، ثم علق على رقبته كعب أرنب ليحميه من سطوة الجن أو المرض ، وبذلك قال الشاعر[1] :

ولا ينفع التعشير ان حم واقع   ولا زعزع ولا كعب أرنب

ويروى أن عروة بن الورد العبسي أراد الدخول الى خيبر وكان فيها مرض ، فعشر من كان معه ، ورفض عروة التعشير ، وقال[2] :

لعمري لئن عشرت من خيفة الردى   نهاق حمير أنني لجزوع

وقالوا ألا إنهق لا تضرك خيبر   وذلك من فعل اليهود ولوع

وكان النبي ﷺ قد شارك المسلمين القتال ، وكانت له معجزات في استطباب بعض الصحابة ،فمثلاً فقئت عين الصحابي قتادة بن النعمان في أحد ، وسقطت عينه على جبهته ، وكان قتادة يحب النساء ، وخاف أن تعافه زوجته ، فذهب الى النبيﷺ فردها بيده الكريمة ، فكانت أحسن عينيه ، وبهذه الحادثة يقول عاصم بن عمرو بن قتادة بن النعمان[3] :

أنا ابن من سالت على الخد عينه   فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لأول أمرها   فيا حسن عين ويا حسن ما رد

وحدثت القصة نفسها مع الصحابي الجليل ابو ذر الغفاري في معركة أحد ايضاً ، فرد النبي ﷺ عينه ٠

---

(١) ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج١ ، ٢٦٩ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (برقة ثادق) ، ج١ ، ص٣٩٢ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٩ ، ص٣٩٤ ، الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج١٠ ، ص٦ ٠

(٢) البكري ، معجم ما استعجم ، مادة (شيطان) ، ج٣ ، ص٨١٩ ؛الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (عشر) ٠

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٤٥٢ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١٨٩ ؛ القاضي عياض ، الشفا ، ج١ ، ص٣٢٣ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص١٩٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٣٨ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص١٩٨ ٠

ويروى ان الصحابي الجليل أبو رهم الغفاري ضرب بسهم في نحره ، فمسح الرسول ﷺ نحره فشفي في الحال، فسمي (المنحور) ([1]) .

وأمام التخلف المدقع في المجال الطبي في مجتمع الحجاز ، وبين الإعجاز الرباني والرحمة الإلهية التي من الله بها على سيد الخلق ، فأهتم الرسولﷺ وشجع طبقة من النساء الطبيبات ، وكلمة الطبيبات مقصودة كون المهام التي أوكلت لهن تطبيب وتداوي المقاتلين في المعارك ، ومن المعلوم نتائج وجراحات المعارك ، التي لا يمكن وصفها بأنها جراحات بسيطة ،إذاً كلمة الطبيبات تتفق والتسمية ، ومن هذه النماذج العظيمة التي شاركت النبيﷺ المعارك :

- ليلى الغفارية(رضي الله عنها) ، امرأة أبي ذر الغفاري ، قالت كنت امرأة أخرج مع النبيﷺ إذا غزا أداوي الجرحى([2]) .
- أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام(رضي الله عنها) ، أم أنس بن مالكرضي الله عنه ، كانت تقول كان النبيﷺ يغزو ومعه نسوة من الأنصار، تسقي المرضى ، وتداوي جراحهم ، فقلت لرسول الله : أخرج معك الى الغزو ؟ قال: يا أم سليم لم يكتب على النساء الجهاد ، قالت : اداوي الجرحى ، وأعالج العين ، وأسقي الماء ،فقالﷺ : نعم ([3]) .
- أم كبشة العذرية(رضي الله عنها) ، وكانت استأذنت رسول اللهﷺ على الخروج الى الغزو لتعالج الجرحى ، وتداوي المرضى ، وتسقي الماء([4]) .
- أم عطية(رضي الله عنها) ، قالت غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات أداوي الجرحى ، واصنع لهم الطعام ، وأخلفهم في رحالهم ([1]) .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٢٤٤ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤، ص٣٥٠ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٤ ، ص٢٥٠ .

(٢) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٥٤٨ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٨ ، ص٤٤ .

(٣) ابن حبان ، الثقات ، ج٣ ، ص٣٦١ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٢٥ ، ص٢٨ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٥ ، ص٣٢٤ .

(١) الضحاك (ت٢٨٧هـ) ، الآحاد والمثاني ، تحقيق باسم فيصل أحمد الجوابرة ، دار الدراية للطباعة ، بيروت ١٩٩١م ،ج٦ ، ص٢٤٢ ؛

- رفيدة (كعيبة) بنت سعد بن عتبة الأسلمية (رضي الله عنها)، كانت تداوي الجرحى في المعارك ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة(الضائع) من المسلمين الذي لا أحد له ، وكان لها خيمة في مسجد رسول الله ﷺ ،وهي أشبه بالمستشفى الثابت ، ولما أصيب سعد بن معاذ ﷺ بأكحله يوم الخندق ،رماه حبان بن العرقة ، فقال رسول الله ﷺ : احملوه الى خيمة رفيدة لتداوي جرحه ، ولأعوده من قريب ، فكان رسول اللهﷺ إذا مر به يقول:كيف أمسيت واذا أصبح كيف أصبحت، فيخبره(٢) ٠

٣- **في مجال القتال** : لم يمنع الاسلام المرأة من المشاركة في الغزو والقتال ، فيروى ان الرسول الكريمﷺ كان يقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرجت معه ، ويجوز خروج اثنتين أو أكثر ، وفي أحيان كان يخرج ببعض نسائه دون قرعة ، فيقمن بسقي الماء للمقاتلين ، ويداوين الجرحى ، ويساعدن على نقل الجرحى والشهداء(٣) ، فكانت القرعة على أم المؤمنين أم سلمة(رضي الله عنها) وأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) في غزوتي بني المصطلق (المريسيع) ٠

ومن النساء اللائي شاركن في القتال الفعلي مع رسول اللهﷺ :

- أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو الأنصارية(رضي الله عنها) ،شهدت العديد من المشاهد مع رسول اللهﷺ ، فهي أحدى أثنتين من النساء المشاركات في الشعب يوم العقبة ،مع أم منيع أسماء بنت عمرو بن عدي بن ثابت الأنصارية من بني سلمة(رضي

---

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٤٥٥ ؛ مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، ج٥ ، ص١٩٩ ٠

(٣) الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٥١٠ ،ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٣٢٤ ؛البخاري ، الأدب المنفرد ، ص٢٤٠ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٤٩ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ٢٩٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص١٢٩ ٠

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٦٤ ؛الإمام الشافعي ، الأم ، ج٥ ، ص١١٩ ؛ الأمام أحمد ، مسند أحمد ، ج٦ ، ص١١٧ ؛ النسائي ، السنن الكبرى ، ج٥ ، ٢٩٣ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١٨ ، ص١١٨ ؛ الشيخ المفيد ، الإختصاص ، ص١١٨ ٠

الله عنها) ([1]) ، لها مشاهد عظيمة يوم أحد ، تقول : انحزت الى رسول الله ﷺ ، فكنت أباشر القتال ،وأذب عن النبي ﷺ بالسيف ، وأرمي عنه القوس ، حتى خلصت الجراح ، وكان فيها إثنا عشر جرحاً ،بين ضربة سيف و طعنة رمح، وكان في عاتقها جرح له غور ، وأراد ابنها عمارة الفرار من المعركة فردته ، وأخذت سيفه وضربت به رجل فقتلته([2]) .

وكان رسول الله ﷺ يقول في أحد :(ما إلتفت يميناً أو شمالاً إلا وأنا أراها دوني تقاتل)، وقد اشتركت في خيبر والحديبية وحنين([3]) .

- أم قيس بن عبيد بن زياد بن ثعلبة بن مازن(رضي الله عنها) ، شهدت أحد وخيبر وحنين ، مع زوجها ابي سليط بن حارثة بن عمرو بن قيس من بني النجار([4]) .
- أم المؤمنين أم أيمن(رضي الله عنها) زوج رسول الله ﷺ، اشتركت في أحد ، وخيبر ، وكانت تداوي الجرحى ، وتنبل([5]) .
- أم منيع أسماء بنت عمرو بن عدي بن سنان الأنصارية (رضي الله عنها)، شهدت العقبة وخيبر وحنين .
- أم الضحاك بنت عمرو الأنصارية الحارثية(رضي الله عنها) ، شهدت خيبر مع أخويها حويصة ﷺومحيصة ﷺ،أخت حذيفة بن اليمان ﷺ، وكانت تسقي الماء وتقي على الجرحى ، وأسهم لها رسول الله ﷺ ([6]) .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٣٠٢ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٩٢ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٦٠٣ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٦٢.

(٢) الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٦٠٥-٦٠٦ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٤١٢؛ الإمام أحمد ، مسند أحمد ، ج٣ ، ص٤٦١ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٤١٥ ؛ المتقي الهندي ، ابن حجر ، الإصابة ، ج٨ ، ص٤٤٢ ؛ كنز العمال ، ج١٣ ، ص٦٢٦ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٤ ، ص٢٠١ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٤١٩ ؛ ابن حجر ،. فتح الباري ، ج٦ ، ص٥٩.

(٥) ابن الأثير اسد الغابة ، ج٢ ، ص٣٨٥ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٨ ، ص٣٦١ .

(١) الضحاك ، الآحاد والمثاني ، ج٦لا ، ص٢٤٥ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٥٩٦ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٨ ، ص٤٢٢ .

- أم مطاع الأسلمية(رضي الله عنها) ، شهدت خيبر ، واسهم لها رسول اللهﷺ سهم رجل ([1]) ٠
- أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ، زوج ابي سعيد الأنصاري ﷺ، شهدت فتح مكة مع النبيﷺ ، تسمى خطيبة النساء ، خاطبت النبيﷺيوماً بخطاب رائع تريد به الجهاد معه ، ولما انتهت قال النبيﷺ : هل سمعتم مقالة إمرأة قط أحسن من مسائلتها بأمر دينها ، ثم قالﷺ لها : انصرفي ومن خلفك النساء ، وطال بأسماء العمر حتى شاركت في اليرموك وقتلت تسعة رجال بعمود فسطاط([2])
- أم سنان الأسلمية(رضي الله عنها) ،طلبت من النبيﷺ المشاركة في الغزو ، فشهدت خيبر ، كانت تداوي الجرحى ، وتخرز السقاء ،وتبصر الرحل ، وقال لها النبيﷺ كوني مع أم سلمة(رضي الله عنها) ([3])٠
- أميمة بنت قيس أبي الصلت الغفارية(رضي الله عنها) ، تقول: جئت رسول اللهﷺ مع نسوة من غفار ،وأنا حديثة سن (جارية صغيرة) ، وقلنا: لرسول اللهﷺ نريد أن نخرج معك الى وجهتك خيبر نعين المسلمين ونداوي الجرحى([4]) ٠
- أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام (رضي الله عنها)،زوجة زيد بن سهل الأنصاريﷺ ، أم أنس بن مالك ﷺ ،شهدت حنيناً وكانت حاملاً بابن لها أسمه عبد الله ، كان بيدها خنجر ، قالت لرسول اللهﷺ ، وكانت قد ربطت وسطها ببرد

---

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٢٩٢ ؛ ابن الأثير ، اسد الغابة ، ج٠ ، ص٦١٩ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٨ ، ص٤٧٤ ٠

(٣) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٣١١ ؛ النووي ، شرح مسلم ، ج٤ ، ص١٦ ؛ الهيثميي ، مجمع الزوائد ، ج٩ ، ص٢٦٩ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٢ ، ص١٥٣.

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٢٩٢ ، الطبري ، المنتخب من ذيل المذيل ، ص١١٤ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٢٩٢ ؛ابن حجر ، الإصابة ، ج٨ ، ص٤١١.

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٢٩٣ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٤١١ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٣ ، ص٣٥٤ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٨ ، ص٣٦ ٠

، سأقتل من يفر عنك بخنجري ، كما تقتل أعداءك ، فقال لها : (أو يكفي الله يا أم سليم)[1] .

- أم الحارث الغفارية (رضي الله عنها)، جدة عمارة بن غزية ، شهدت حنينا مع النبيﷺ [2]٠
- مشاركة أربع عشرة من نساء المسلمين في معركة أحد ، يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ، ويسقين الجرحى ، ويداوينهم ، منهن : فاطمة(عليها السلام) بنت رسول اللهﷺ ، وأم سليم بنت ملحان (رضي الله عنها)، وأم المؤمنين عائشة(رضي الله عنها) وعلى ظهورهما القرب يحملانها ، وحمنة بنت جحش(رضي الله عنها) تسقي العطشى وتداوي الجرحى ،وأم أيمن(رضي الله عنها) تسقي الجرحى ، ولما رأت فاطمة(عليها السلام) جرح وجه أبيهاﷺ وان الدم لا يرقأ ، اخذت قطعة من الصوف فأحرقتها ،ولما صارت رماداً الصقته بالجرح فاستمسك الدم [3]
- أم أبيها الأشجعية ، تقول :خرجت في خيبر ، وكنت سادسة ستة ، ولما سمع رسول الله ﷺ، بعث الينا فقال : بأمر من خرجتن ؟ ورأينا فيه الغضب ، فقلن : خرجن ومعنا دواء نداوي به ، ونناول السهام ، ونسقي السويق ، ونغزل الشعر نعين به في سبيل الله ، فقال لنا: قمن يذلك ، قالت: كنا نداوي الجرحى ، ونصلح لهم الطعام ، ونرد لهم السهام ، ونصلح لهم الدواء ، ونصيب منهم ، فلما فتح الله عليه خيبر قسم لنا كما قسم للرجال[4]٠

---

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٧٥ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٣٤٩ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٢ ، ص٧١ ؛الذهبي ،سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص٣٠٤ ٠

(٣) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٥٧١ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٨ ، ص٣٧٢ ٠

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص١٠٢ ؛ الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٢٩٠ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٤٨ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ،ص٢٣٩ ٠

(١) الإمام أحمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج٦ ، ص٣٧١ ؛ الضحاك ، الآحاد والمثاني ، ج٦ ، ص٨١ ؛النسائي ، السنن الكبرى ، ج٥ ، ص٢٧٧ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٥٨٤ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج٤ ، ص٥٣٨ ٠

٤- **في المجـال الإجتمـاعي** : هناك مجالات أخرى شاركت فيها المرأة منها في المجال الإجتماعي ، فكانت من النساء تعلم أخواتها المسلمات القراءة والكتابة ، فيروى ان النبي ﷺ دخل بيت زوجه حفص(رضي الله عنها) ة فوجد عندها الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف القرشية العدوية ، فقال لها علميها رقية النملة([١]) ، كما علمتيها الكتابة([٢]) ، وكانت الشفاء ترقي في الجاهلية ، وعرضت رقيتها على الرسولﷺ فلم يرفضها ، والرقية هي (بسم الله صلو صلب خير يعود من أفواهما ،ولا تضر أحداً ، اللهم أكشف الناس ، رب الناس)، وكانت ترقي على عود سبع مرات ،وتضعه مكاناً وتدلكه على حجر بخل خمر مصفى وتطليه على النملة ([٣])٠

وهناك رواية أخرى لرقية النملة تقول : (العروس تقتال وتحتفل ، وكل شئ تفتعل ،غير انها لا تعصي الرجل)([٤]) ، والمراد هنا تزيين المرأة لزوجها من خلال استعمال الزينة والكحل وعدم إظهار أسراره ،وكان المراد هنا درساً تربوياً ٠

٥- **في مجال الإدارة والحسبة** : فيروى أن السمراء بنت نهيك بن أساف بن عدي ابن مخدعة الأسدية القرشية([٥]) ، بايعت النبي ﷺ في مكة ،وقد كانت من عقلاء النساء وفضلائهن ، وقد ولاها النبي الكريم ﷺ الحسبة في سوق المدينة المنورة ، وكان عليها درع غليظ ، وخمار غليظ وكانت تمر بالأسواق وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، وتضرب الناس على ذلك بسوط كان معها، وكانت تروي الحديث النبوي الشريف([٦])٠

---

(٢) النملة ، هي قروح تكون على الجنب والساق وأماكن أخرى (الفراهيدي ، كتاب العين ، مادة (نمل)٠

(٣) الإمام أحمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج٦ ، ص٣٧٢ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٤٨٧ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٨ ، ص٢٠١ ٠

(٤) الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج١٢ ، ص٧٩ ٠

(٥) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٥ ، ص١٢٥ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٢ ، ص١٢٩ ؛ المناوي ، فيض القدير ، ج٩ ، ص١٠٥ ٠

(١) الرازي ، الجرح والتعديل ، ج٢ ، ص٥٢١ ؛ ابن حبان الثقات ، ج٣ ، ص١٨٥ ؛ ابن ماكولا ، الإكمال ، ج١ ، ص٣٥١ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٩ ، ص٢٦٤ ٠

(٢)ابن حبان الثقات ، ج٣ ، ص١٨٥ ؛ ابن عبد البر و الاستيعاب في معرفة الأصحاب،ج٤ ، ص٤١٩ ابن ماكولا ، الإكمال ، ج١، ص٣٥١ ؛الهيثمي، مجمع الزوائد ، ج٩ ، ص٢٦٤ ٠

كان رسول اللهﷺ يقيل عندها في بيتها ، واتخذت له فراشاً وإزارا ينام فيه ، وأقطعها داراً في الحكاكين (النحاسين) ، وبقي عندها حتى أخذه مروان بن الحكم منها.

ألا أن العديد من الفقهاء لا يجيزون ولاية المرأة، مصداقاً لقول النبي ﷺ: (لم يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)([1]) ، بعد أن وصلته أخبار تولية الفرس بوران دوخت ابنة خسرو أبرويز لتكون على عرش امبراطوريتهم سنة ٦٢٩م ، بعد هلاك كسرى ، ثم وليت أختها أرزميد خت لتلي الأمبراطورية بعد سبعة أشهر من وفاة أختها ([2]) ٠

وقد أجاز بعض الفقهاء ولاية المرأة خصوصاً في الفتيا والقضاء بشكل مطلق كالحسن البصري وابن جرير الطبري ، لجواز ولايتها في تزويج نفسها ، وقبول شهادتها ، وامامتها في الصلاة ، واجاز آخرون لها بالفتيا والقضاء في الحدود فقط([3])

---

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٦ ، ص١٠ ؛ النسائي ، سنن النسائي ، ج٣ ، ص٤٦٥.

(٤) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٨ ، ص٩٧ ؛ البيهقي ، مجمع الزوائد ، ج٣ ، ص٩ ؛ قطب الدين الراوندي ، الخرائج والحوائج ، جج١، ص٧٨ ٠

(٥) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٦٥ ؛ ابن قدامة ، المغني ، ج١١ ، ص٣٨٠ ؛ الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج٩ ، ص ١٦٨ ٠



الفصل الرابع

الأبعاد الإجتماعية والسياسية والإدارية في شخصية الرسول ﷺ





البعد الإجتماعي في شخصية الرسول ﷺ

مرت علينا في أثناء الفصول السابقة ، وفي سياق عموم الحديث الصفات الشخصية للرسول ﷺ ، فهو عنوان النزاهة والطهر والسيادة والزعامة والشرف الذي لا يدانيه وينازعه عليه أحد ، وهو صاحب العقل الراجح الكبير ، والعلم الوفير ، وهو صاحب الرأي والتدبير ، هو الصادق الأمين ، صاحب النبوغ الخارق ، والعبقرية الفذة ، مثال الكلمة والوقار والجلال ، تقي شجاع حازم ، هو القرشي صاحب النفوذ والقوة ، صاحب الخلق والمنزلة الرفيعة وصفه الله بقوله ﷺ : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)(١) ٠

صاحب الصفات الإنسانية الفاضلة ، والمكانة الرفيعة ، لا ترى في أعماله وسيرته أية هنة أو ضعف أو خلل ، ولا في سلوكه أي تشتت أو تناقض، أكمل الخلق وأفضلهم ، ولهذا فرض الله طاعته والإقتداء به ، بقوله (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)(٢) ، وهو النبي المصطفى ، خير خلق الله أجمعين ٠

هذه الصفات العامة لشخصية الرسول ﷺ بشكل مقتضب ، لكن هناك أبعاداً اجتماعية أخرى كان لها الأثر الكبير في شخصيته منها :

العصـــمة :

العصمة في اللغة(٣) : تعني الدفع عن الشخص بأمر الله ٠

واعتصمت : أي امتنعت من الشر ٠

واستعصمت : أي : أبيت ٠

وأعصمت : أي: لجأت الى شئ أعتصم به ٠

والعصمة : تعني القلادة ، وتجمع أعصام ٠

والأعصم : هو الوعل ٠

---

(١) سورة القلم ، الآية٤ ٠

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٢١ ٠

(٣) الفراهيدي ، كتاب العين ، مادة (عصم) .

وعلى العموم فالمعصوم : هو الممنوع بالله من جميع ما حرم الله في الفعل والقول والنوايا ٠

العصمة اصطلاحاً : تعني التنزيه من كل منفر وقبيح ، وهي الإمتناع عن ارتكاب الذنوب ، وأفعال الخطأ ، والسهو منه([1]) ، وصاحبها هو النبي ﷺ معصوم وممنوع من كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال وتقديرات علوم الشرع ، وتكون التصرفات القولية والفعلية وما يتصل بها هو اقرار ومن أمور الشريعة ، وهذا يعني كل ما يصدر عن المعصوم هو من الشريعة،وهذا يقودنا الى قاعدة هي ان كل ما يصدر عن النبي ﷺ هو من الشريعة ٠

ولعل من فسر العصمة على أنها المنعة من القرين (الشيطان) ووسوسته وإغراءه ، فيروى ان النبي ﷺ قال : "ما منكم أحد إلا وقد كان له قرين من الجن ، قالوا : وإياك؟ قال : وإياي ، إلا ان الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير"([2]) ٠

وفسرها غيرهم بان العصمة تختص عن الخطأ في الدين ، والعصمة من الكفر ، فهي موجبة للأنبياء عند كل سلوك ، وهو مصيب في كل ما يفعل ويرتأي ، وان ما يدفعه هو النقل و العقل([3]) ٠

---

(١) البغدادي ، ابو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٢٩هـ) ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت١٩٧٧م ، ج١ ، ص٢١٠ ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص٨٥ ،

(٢) الإمام احمد بن حنبل ،مسند الإمام أحمد ، ج٦ ، ص١١٥ ؛ البخاري ، ابو عبد الله اسماعيل بن ابراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ) ، التاريخ الكبير ، المطبعة الإسلامية ، ديار بكر ،لات ، ج٤ ، ص٢٣٩ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج٨ ، ص١٣٩ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٢ ، ص٣١٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١ ، ص٥٥ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٦ ، ص١٧ ٠

(٣) الغزالي ، المستصفي ، ص١٤٠

الا ان القسم الأعظم من المفسرين والفقهاء ذهبوا بمفهوم العصمة في أربعة أقوال وهي :

الأول :- ما يتعلق بالاعتقاد : واجتمعت الأمة على ان الأنبياء(صلوات الله عليهم أجمعين) معصومون من البدع والكفر ، ولو ان أحدى الفرق الإسلامية تجوز الكفر عليهم ، على أساس ان النبي يذنب ، والذنب عندهم كفر ، وهؤلاء هم(الفضيلية من الخوارج)([1]) ٠

الثاني :- ما يتعلق بشرائع الأحكام من الله جميعها، واجمعوا انه لا يجوز عليهم التحريف والخيانة ، لا بالعمد ولا بالسهو ٠

الثالث :- ما يتعلق بالفتوى ، واجمعوا انه لا يجوز التعمد بالخطأ ، أما على سبيل السهو فقد اختلفوا فيه ٠

الرابع :. ما يتعلق بأفعالهم وأحوالهم ، فقد اختلفوا في جوازها الى خمسة مذاهب([2]) وهي:

١- يجوز عليهم الإقدام على الكبائر والصغائر ٠

٢- لا يجوز عليهم التعمد البتة ، أما الصغيرة فهي جائزة ، ويشترط ان لا تكون منفرة ٠

٣- لا يجوز عليهم الصغيرة والكبيرة ، وأجاز صدور الخطأ في التأويل ٠

٤- لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة لا بالعمد ولا بالتأويل ، أما السهو والنسيان فهو جائز، لكنهم يعاتبون على السهو ٠

---

(١) الفخر الرازي ، ابو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت٦٠٦هـ)، عصمة الأنبياء (عليهم السلام) ، مجموعة مصورة من كراريس في خزانة الرباط ، المجموعة ١١٨٠ كتاني ، ص٧ ٠

(٢) الكلاباذي ، ابو بكر بن محمد بن إسحاق البخاري (ت ٣٨٠هـ) ، التعرف لمذاهب أهل التصوف ، دار الكتب العلمية ، بيروت١٤٠٠هـ ، ج١ ، ص١٣٠ ؛ ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي (ت٤٥٦هـ) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،لات،ج٣ ، ص١٣٧-١٣٩ ٠

٥- لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة ، لا العمد ولا السهو ولا التأويل ولا النسيان البتة ٠

ومنهم من قال بعصمة الرسول ، وليس المرسل إليه، وهنا المراد عصمة الملائكة وليس الرسل والأنبياء ، وعلى هذا زعم البعض سهو النبي ﷺ ، في تبليغ سورة النجم ،وقراءته قوله ﷻ : (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى) ([1])عند وصوله الى سورة السجدة بقوله ﷻ : (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا)([2]) ، وهي آخر آية في السورة ، اعتقد المشركون انه سجد لآلهتهم الغرانيق العلى ، فأعلنوا ان الشيطان ألقى على الرسول قولهم (تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهم لترتجى) ، ثم تنبه الرسول ﷺ لسهوه فسجد لله اعتذاراً من الله تعالى ،الا ان سجوده كان وفق ما أوردنا آنفاً ([3])٠

وقسم منهم من قال بإجبارية العصمة على الملائكة والأنبياء ، ومنهم من لم يجعلها بغيرها ، ومن الفقهاء من وضع أوقات للعصمة([4])وفقاً لما يأتي:

١- الأنبياء معصومون من وقت ولادتهم ، حتى يلقوا الله ، وهذا عند الإمامية٠

٢- تكون عصمة النبي حين البلوغ ، ولا يجوز عليهم الكفر والكبيرة قبل النبوة ، وهو عند المعتزلة٠

٣- تكون العصمة وقت النبوة ، أما قبلها فيجوز صدور المعصية ، وهو عند الأشاعرة٠

ولعل للعصمة عناصر لا بد منها وهي :

---

(١) سورة النجم ، الآيتان ١٩-٢٠ ٠

(٢) سورة النجم ، الآية ٦٢ ٠

(٣) الإمام أحمد ، مسند احمد بن حنبل ، ج١ ، ص٣٨٦ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٦ ، ص٥١ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج١٠ ، ص١٤٥ ؛ الشيخ المفيد ، تحقيق محمد بن محمد ابن النعمان العكبري (ت٤١٣ هـ) ، عصمة النبي ﷺ ، دار المفيد ، بيروت ١٤١٤هـ ، ص٢٥ ٠

(٤) الغزالي ، المستصفي ، ص٢٧٤ ؛ الفخر الرازي ، عصمة الأنبياء ، ص١٣-١٤ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١١ ، ص٩١ ٠

١- ان الإنسان على انتقاء ما يكرس راحته وسعادته وتكامله ، والإبتعاد عما يوجب ضرره وبلاءه وشقاءه ٠

٢- إدراك واقع معين ، ثم تقييمه على ذلك الأساس بشكل قاطع ونهائي ٠

٣ـ قوة العقل والسيطرة على المواقف،وتحكمه بكل قوى الدواعي النفسية والشهوتية وقاهريته لها،وتوجيهها الى ما فيه خير الإنسان وصلاحه وسعادته٠

٣- الإختيار والإرادة ، وعدم التعرض للقهر الجسدي ، الذي ينتهي الى سلب الإختيار منه وتعطيل إرادته ٠

ولا نريد في هذا المقام التوسع في مفهوم العصمة وآراء فقهاء الفرق والملل ، إذ منهم المنكر والمؤيد للعصمة المطلقة والجزئية، وأوقاتها وعناصرها ،ويمكن الإطلاع عليها من مصادرها المشار اليها في الهوامش ٠

الشورى :

الشورى في اللغة : يقال شاورته في الأمر : أي أشركته في الأمر ، واستخرجت أراءهم ، واستعلمت ما عندهم،والمشاورة : تعني المشاركة في العقول ([1]) ٠

الشورى في الإصطلاح : فقد استخدم الإصطلاح اللغوي نفسه ، وأثبتوا مشروعيتها بالإجماع من خلال كتاب الله والسنة النبوية :

١- المشورة في كتاب الله : وردت الشورى في عدة آيات كما في قوله ﷻ : (وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ)([2])، وقوله ﷻ : (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)([3]) ، ولعل هاتين الآيتين هما أشبه بالأمر للرسول ﷺ في موضوع المشاورة ٠

٢- المشورة في السنة النبوية : فقد وردت عدة أحاديث للنبي ﷺ في موضوع الشورى ، فقد أوصى رسول الله ﷺ بقوله : (لا مظاهرة أوثق من المشاورة ، ولا عقل كالتدبير)([4]) ٠

---

(١) الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (شور) ٠

(٢) سورة الشورى ، الآية ٣٨ ٠

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٥٩ ٠

(١)الشيخ الصدوق ،محمد بن علي بن الحسين (ت٣٨١هـ) ، علل الشرائع ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٩٦٦م ، ج١ ، ص١٥٢ ابن حزم ، الأحكام ، ج٦ ، ص٧٧١ ؛ الطبرسي ،

وقد قيل لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ما الحزم ؟ قال : (مشاورة ذوي الرأي وإتباعهم)([1]) ٠

قال ابن عباس ﷺ ، لما نزلت آية (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ) قال رسول الله ﷺ : الله ورسوله غنيان عن الشورى ، ولكن جعلها الله رحمة لأمتي ، فمن استشار منهم لم يعدم رشداً ،ومن تركها لم يعدم غياً ([2])٠

ولما كان الله ورسوله أغنياء عن الشورى ، فلماذا أمر الله تعالى نبيه بالشورى ؟ يروي أغلب المفسرين ان الله طلب من نبيه ﷺمشاورتهم تطييباً لقلوبهم ،وهي غير ملزمة للنبي ﷺ ، ليكون أنشط لهم ،والعمل بموجبها مستقبلاً ،لأنهما يعرفان صواب الآراء من خطئها ،فلا تزيدهما الإستشارة علماً ،ولا ترفع جهلاً ، ولا فضيلة لهم في الشورى ، وليس لحاجة منه الى رأيهم ، وأراد من ناحية أخرى ان يعلمهم ما في المشورة من فضل ، ولتقتدي به أمته من بعدة ،لان في الإستشارة صلاحاً للأمر، وبهذا المعنى قال الرسول ﷺ :(المستشار مؤتمن) ([3])، ويجب ان تكون المشورة من شخص موفور العلم والعقل ٠

ورب سائل يقول في أي من الأمور الفقهية أو العقائدية ، أو التي لها علاقة في أمور السماء استشار فيها الرسول ﷺ الصحابة الكرام ؟ فمن خلال البحث لم نجد مايشير الى استشارة في هذه الأمور ، لعل المشورة في هذه الأمور تدخل في

مكارم الأخلاق ، ص٣١٩ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج١٠ ، ص١١٢ ؛ النووي ، شرح مسلم ، ج١١ ، ص٧٥ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٤ ، ص١١٤ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٢ ، ص١٦٤٠

(٢) الجرجاني ، ابو احمد عبد الله بن عدي (ت ٢٦٥هـ) ، الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٩هـ ، ج٤ ، ص٣٣٤ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٢ ، ص٨٠ ؛ المناوي ، فيض القدير ، ج٥ ، ص٥٦٥

(٣) الإمام أحمد بن حنبل ، مسند احمد ، ج٥ ، ص٢٧٤ ؛ البخاري ، الأدب المنفرد ، ص٦٤ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٤ ، ص١٤ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٤ ، ص١٣١ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج١٧ ، ص٢٣٩٠

(٤) الإمام احمد ، مسند احمد بن حنبل،ج٥،ص٢٧٤ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٤،ص١

باب الإستفتاء ، وهنا لا يجوز الإجتهاد في حضرة النبي ﷺ وهو غني عن مشورتهم ، كونه لا ينطق عن الهوى .

لكن نرى ان النبي ﷺ استشار الصحابة الكرام في أمور الحرب فقط ، فيروى انه ﷺ شاورهم في أسارى بدر و فأشار عليه ابي بكر الصديق ﷺ ، وقال: " هم قومك وأهلك ، لعل الله يتوب عليهموخذ منهم الفدية لتكون لنا عوناً على الكفار"(١) ، وأخذ بمشورة أسيد بن حضير في يوم بدر واستحسنها في النزول على ماء بدر ، وشاور ﷺ السعدين ، سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في يوم الأحزاب في صلح بني فزارة ، على ثلث ثمار المدينة ، وقالا له : " يا رسول الله ، ان كان هذا الأمر لا بد لنا من العمل به ، لأن الله أمرك فيه بما صنعت والوحي جاءك ، فافعل ما بدا لك ، وان كنت تختار ان تصنعه لنا كان لنا فيه رأي(٢) .

ويروى ان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : "كتب ابو بكر الصديق الى عمرو ابن العاص وقال له : ان رسول ﷺ الله شاور في الحرب فعليك به"(٣) .

إذا الشورى كانت لغرض تربوي مستقبلي ، فنرى ان الدولة في الخلافة الراشدة أعتمدت هذا المبدأ في إختيار المدينة ، وصارت الشورى مبدأ من مبادئ الحكم والسياسة والإدارة ، وفي سائر المواقف ، حتى عدت الشورى إسلامية الأصل.

مراتب الصحابة :

---

(١) الإمام أحمد ، مسند احمد بن حنبل ، ج١ ، ص٣٨٣ ؛ ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج٣ ، ص٨٦١ ؛ الدينوري ، الإمامة والسياسة ، ج١ ، ص٤٢ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١٧٠ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج١ ، ص١٧٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٣٦٣ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٣ ، ص٢٠١ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية و ج٣ ، ص٧٠٧ : الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٣٨ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٣٨٤ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص١٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص١٣٠ ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٣٠ .

(٣) الطبراني ، المعجم الكبير ، ج١ ، ص٦٤ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٥ ، ص٣١٩ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٢ ، ص٩٠ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٩ ، ص١١٠ .

قبل الدخول في موضوع تقييم الرسول ﷺ لصحابته ، لا بد لنا معرفة من الصحابي ؟ حتى نعرف معيار التقييم ، وأصوله :

الصحابي في اللغة : مشتق من الصحبة والتي تعني المعاشرة في الزمن الكثير والقليل([1]) ، هو نعت جرى مجرى الاسم ، والصحابة مصدر ، كقولك صاحبك الله وأحسن صحبتك ، والصاحب يجمع بالصحاب والصحبان والصحبة والصحاب([2]) ٠

أما في الإصطلاح ، فالصاحب للنبي ﷺ هو من عاشره ، لا يمكن تطبيق ما ذهب اليه أهل اللغة دون تمييز ، إذ ان يصح على تفسير أهل اللغة ان يكون الصاحب للنبي ﷺ هو المسلم و الكافر والبر والفاجر ، هكذا تقتضي اللغة ٠

أما ما اصطلح عليه المحدثون والفقهاء في تخصيص الصحابة أن يكون الشرط الأساس هو الاسلام فقط ، وهذا التعريف هو الأصدق على العموم ٠

أما تعريف صحابي رسول الله ﷺ بالتحديد فقد ذهب العلماء في تحديده مذاهب كثيرة منها على سبيل المثال :

الصحابي : هو من صحب النبي ﷺسنة أو ستة أشهر أو يوماً أو ساعة أو رآه ، دون تحديد زمن ([3]) ٠

---

(١) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، مادة (صحب) ٠

(٢) الفراهيدي ، كتاب العين ، مادة (الصاحب) ٠

(٣) الخطيب البغدادي ، ابو احمد بن علي (ت٤٣٦هـ) ، الكفاية في علم الرواية ، تحقيق أحمد عمر هاشم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٨٥م ، ص٧٠ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٢ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٨ ، ص٢٣٧ ؛ النووي ، شرح مسلم ، ج١ ، ص٣٦ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٧ ٠

ويروي العجلي([1]) فيقول : قال الواقدي : الصحابي و هو من رأى رسول الله ﷺ، وقد أدرك الحلم فأسلم ، وعقل أمر الدين ورضيه ، ولو ساعة من نهار ٠

وقيل الصحابي هو من طالت صحبته وكثرت مجالسته للنبي ﷺ ، فلا يدخل فيها من وفد عليه وانصرف بدون مكث([2]) ٠

ويقول سعيد بن المسيب : ان الصحابي من أقام مع النبي ﷺ سنة أو سنتين ، وغزا غزوة أو غزوتين([3]) ٠

ومنهم من وصف الصحابي ، بأنه هو كل من أكثر مجالسة الرسول ﷺ ، واختص به ٠

وقال : هو من رأى الرسول ﷺحياً أو ميتاً ، كابي ذؤيب الهذلي([4])٠

وقال : الصحابي هو من وصف بأحد الأوصاف الأربعة ، من طالت مجالسته ، أو حفظت روايته، أو غزا معه ، أو استشهد بين يديه([5]) ٠

---

(١) العجلي ، احمد بن عبد الله (ت ٢٦١ هـ) ، معرفة الثقات ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ١٤٠٥هـ ، ج١ ، ص٦٩ ٠

(٢) الغزالي ، المستصفي ، ص١٣٠ ٠

(٣) الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية ، ص٦٩ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٢ ٠

(٤) ذؤيب الهذلي : هو خويلد بن خالد بن محرث بن زيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن تميم بن سعد بن هذيل ، يقول دخلت المدينة وسمعت فيها الناس هائجة ، فقلت ما الأمر : قالوا قبض رسول الله ، فذهبت لأراه ، وقلت:

خطب أجل أناخ بالإسلام بين النخيل ومقعد الآطام

قبض النبي محمد فعيوننا تذري الدموع عليه بالتسجام

اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٣٦٨ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج٨ ، ص٤٤٦ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج١٢ ،ص ٢٧٥ ٠

(٥) الآمدي ، علي بن محمد (ت٦٣١ هـ) ، الإحكام في أصول الأحكام ، مطبعة النور ، دمشق ١٤٠٢هـ ، ج٢ ، ص٩٣ ٠

ويقول الرازي([1]) : الصحابة هم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ونصرته وإقامة دينه ، وإظهار حقه ، فرضيهم له صحابة ، وجعلهم لنا قدوة ، فحفظوا عنه ما بلغهم من الله عز وجل وما سن وشرع وحكم وقضى والأمر والنهي وآداب ووعوه واتقوه ، فتفقهوا في الدين ، وعملوا بأمر الله ، ونهيه ومراده ، ومصاحبة نبيه ومشاهدتهم منه التفسير والتأويل والإستنباط عنه ، فشرفهم الله بما من عليهم وأكرمهم به ، ووضعهم موضع القدوة ، فنفى عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والفخر واللمز ،وسماهم عدول الامة مصداقاً لقوله : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)([2]) ٠

والصحابة على العموم مراتب عديدة ، أساس هذه المراتب ، السبق في الاسلام والهجرة والملازمة والقرابة ، فمنهم العشرة المبشرون بالجنة ، والمهاجرون والأنصار ، وأهل بيعة الرضوان ، وأهل بدر ، والسابقون السابقون ، وغيرها من التصنيفات ٠

ففي هذا البحث لا نضع موازين للصحابة (رضي الله عنهم أجمعين) حاشا لله، ومن المعلوم ان عددهم بلغ بوفاة الرسولﷺ مائة وأربعة عشر ألف صحابي ، وكان آخرهم موتاً الصحابي عامر بن وائلة ﷺ ([3]) ، ولعل من المفيد ان نضع بعض المواقف ومن خلالها بعض التساؤلات ، ولعل من مخرجاتها نلحظ التقييم ، وهذه المواقف هي :

---

(١) الجرح والتعديل ، ص٧-٩ ٠

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٤٣ ٠

(٣) هو ابو الطفيل عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جابر بن الجحيش الليثي الكناني ، هو أخو صفوان بن أمية لأمه ، ولد عام بدر ، توفي سنة عشر ومائة للهجرة النبوية في المدينة المنورة ؛ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٤٢٧ ؛ خليفة بن خياط ، طبقات خليفة بن خياط و ص٢١٦ ؛ البخاري ، الأدب المنفرد ، ص١٧١ ؛ ابن شبه النميري ، تاريخ المدينة ، ج٢ ، ص٣١٦ ٠

في أي مرتبة نضع من كانت أول النساء إسلاماً ، خديجة بنت خويلد(رضي الله عنها) ، أسلمت وهي ثرية ، وماتت وهي فقيرة ، ونزل جبرائيل على النبي ﷺ وقال له : "ان الله خص لخديجة بيتاً في الجنة لا صخب فيه ولا نصب "([1]) ٠

ومن كانا أول الناس أسلاماً كأبي بكر الصديق ﷺ بالنسبة للرجال ، وعلي بن أبي طالب ﷺ بالنسبة للصبيان ، فلقب الأول الصديق ، وأنزل الثاني كمنزلة هارون من موسى(عليهم السلام) ٠

وفي أي مرتبة نضع الصحابي الجليل سعد بن الربيع ﷺ ،الذي سقط شهيداً في أرض المعركة ، ويوصي المسلمين في الرمق الأخير بنبي الله ﷺ فيقول : (أخلصوا الى نبيكم وفيكم عين تطرف) ولم يوصِ بعيالة أو ماله ، ويروى ان ابنته كانت عند الخليفة ابي بكر الصديق ﷺ فدخل عليه عمر بن الخطاب ﷺ فقال له : من هذه ؟ قال : هذه ابنة من هو خير مني ومنك ، قال : ومن هو ؟ من تبوأ موقعه في الجنة ، وبقيت أنا وأنت ، وهو الأنصاري الذي تقاسم وعبد الرحمن بن عوف ﷺ في الهجرة زوجتيه وماله([2]) ٠

وفي أي درجة من سلم التقويم نضع الصحابي الجليل عبد الله بن جحشﷺ صاحب هجرتي الحبشة والمدينة ، وهو صاحب أول سرية وراية في الاسلام ، وأول من لقب بأمير المؤمنين ، والرسول ﷺ بين ظهرانيهم([3]) ، والذيمثّل المشركون في جثته ، كما مثل في جثمان خاله أسد رسول الله ﷺ الحمزة بن عبد المطلب ﷺ، الذي دفن معه في قبر واحد ،سمي (الأجدع بالله)، ويروى ان سيفه كسرت في أحد

---

(١) احمد بن حنبل ، مسند أحمد ، ج٢ ، ص٢٣١ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٢ ، ص٢٠٣ ؛ مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، ج٧ ، ص١٣٣ ٠

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص١٢٥ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٢٧١ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري و ج٢ ، ص٢٠٧ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج١ ، ص٢٣٣ ٠

(٣) الإمام أحمد بن حنبل ، فضائل الصحابة ، تحقيق وصي الله محمد عباس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٣م ، ج٢ ، ص٨٢٦ ؛ ابن عبد البر ، الإستيعاب ، ج١ ، ص٣٥٥ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص١٠٩ ٠

فأعطاه الرسول ﷺ عرجونا فعاد سيفاً طويل القامة ، أبيض الحديد ، توارثه أبناؤه حتى أخذه منهم القائد التركي (بغا) أيام الخليفة العباسي الواثق([1])٠

وكيف نصف ذا الجناحين جعفر بن ابي طالب عليه السلام ، الذي يطير مع الملائكة في الجنة ، يروي ابن عمر رضي الله عنه فيقول : (فقدنا جعفر بن ابي طالب ، فطلبناه في القتلى ، فوجدناه وبه بضع وتسعون بين طعنة ورمية)([2]) وهو من قال به رسول الله ﷺ عند عودته من الحبشة : (ما أدري بأيهما أسر بقدوم جعفر أو بفتح خيبر)([3]) ٠

ثم أين نضع في سلم التقييم الصحابي سيد بني سليم عمرو بن الجموح رضي الله عنه ،الذي يلقب (الجعد الأبيض) لكرمه في الجاهلية والإسلام ، وإصراره الخروج للقتال ، وهو معفوا منه كونه (شديد العرج) ، وكان له أربعة من الولد يقاتلون بين يدي رسول الله ﷺ ، وأرادوا حبسه ومنعه من الإشتراك في الحرب ، لكنه يفر من حبسه ليقابل الرسول ﷺ ويستشهد بين يديه هو وابنه عبد الله في أحد ، ليوصي بكل ما يملك من مال وبساتين الى النبي ﷺ ولم يوص لأولاده وهم معه في ساحة القتال([4])٠

ثم لنميل الى الصحابي مخيرق الذي سماه النبي ﷺ (خير اليهود) ، وانه أسلم يوم أحد ،وخاطب اليهود قائلاُ : يا معشر اليهود ان نصر محمد عليكم حق ، فقالوا : اليوم سبت ، قال: لا سبت فأخذ سيفه وخرج للقتال في أحد فأوصى ، وقال : "ان

---

(١) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٢٩١ ؛ القطب الراوندي ، الخرايج والحوايج ، ج٢ ، ص٦٦٤ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٣ ، ص١٣٣ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٤٢٧ ٠

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٦٩ ؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج٤ ، ص٢٣١ ؛ ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ) ، صفة الصفوة ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٩م ، ج١ ، ص٦٢٥ ٠

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٨١٨ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص١٠٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي و ج٢ ، ص٥٦ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص ٢١٣٠

(٤) ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٤٠٤؛ ابن شبه النميري ، تاريخ المدينة ، ج١ ، ص١٢٧ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٩٧ ٠

أصبت فأموالي الى محمد يضعها حيث أراه الله فيه "، ومنها سبعة بساتين (وردت أسماؤها في مبحث سابق) لتكون صدقة جارية بيد النبي ﷺ للمسلمين ، وهو أول من أوقف المال في الإسلام ، هذا إذا علمنا ان المدة بين إسلامه واستشهاده أيام لم تتجاوز أصابع الكفين(١) ٠

ولا أريد ان أطيل في سيرة العديد من هؤلاء الأفذاذ الذين أناروا البسيطة بنور النبوة والإسلام ، وعلى أساس مساهماتهم لقبوا بعدة ألقاب منها مثلاً أسد الله ورسوله ، والفاروق وذو النورين وسيدا شباب أهل الجنة وحبر الأمة وترجمان القرآن وحواري رسول الله وأمين الأمة وصاحب سر رسول الله وفارس رسول الله وسيف الله ٠٠٠ ، ولعل أهم ما يثبت هذا التصور ، مقولة رسول الله ﷺ (من لهذا)في أغلب المواقف ، وبعد هذا العرض البسيط أريد ان أشير الى بعض المواقف التي قد تختلف مع محاسن الصحابة المتقدمين ٠

يروى ان النبي الكريم ﷺ لما وزع غنائم هوازن في حنين ، ناداه حرقوص ابن زهير التميمي ،الملقب ذي الخويصرة على مرأى ومسمع من الصحابة ،قائلاً : " اعدل يا محمد ، فقال ﷺ له : "ويلك من يعدل إذا لم أعدل " ؟ فقام اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال : دعني أضرب عنقه ، فقال ﷺ : دعه "(٢)٠

وهناك موقف آخر ، اذ يروى ان الشاعر الأعشى قيس بن ثعلبة بن عكابة ابن وائل ، أحد صناجة العرب ،خرج الى رسول الله ﷺ وكله شوق يريد الاسلام ،ولما كان قريبا من مكة اعترضه بعض قريش فيهم ابو سفيان بن حرب ، فسألوه أنشدنا ماذا قلت فيه ، وكان قد مدحه في قصيدة منها :

ألم تغمض عيناك ليلة أرمدا   وبت كما بات السليم مسهدا

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٥٠١ ؛ ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج١ ، ص٢٦٢ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١٠٩ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٦ ، ص٤٦ ٠

(٢) الإمام احمد بن حنبل ، مسند أحمد ، ج٣ ، ص٥٦ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٧ ، ص١١١ ؛ مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، ج٣ ، ص١١٣ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٣٩٠ ٠

وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم صحبة مهددا

ويقول في ناقته التي كان عليها:

فآليت لا أرثي لها من كلالة ولا من حفا حتى تلاقي محمدا

نبي يرى ما لا ترون وذكره أغر لعمري في البلاد وأنجدا

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تراحي وتلفي من فواضله يدا

ثم سأله عن أمره ، وعرف بانه جاءه ليسلم ، فقال له : يا أبا بصير ، ان محمدا يحرم الزنا ! فأجابه : ان ذلك الأمر ما لي فيه من أرب،فقال له : انه يحرم الخمرة ! فأجابه : اما هذه ففي النفس منها لعلات ، لكني منصرف فأرتوي منها عامي ، ثم آتيه ، ومات في عامه هذا في اليمامة[1] ٠

ويروى ان رجلاً من الأنصار من أهل بدر هو حاطب بن ابي بلتعة خاصم الزبير بن العوام على شرج ماء يسقون منها النخل ، فقال رسول اللهﷺ : "أسق يا زبير ، ثم أرسل الماء الى جارك ، فغضب الأنصاري وقال : ان كان ابن عمتك " ؟ فتلون وجه رسول اللهﷺ [2]، ونزل بحقه قوله ﷺ : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)[3] ٠

ويروى ان الصحابي الحارث بن سويد الأنصاري قتل الصحابي المجدر بن زياد البلوي في أحد لثأر جاهلي، ولما عادا الى المدينة قتله الرسول ﷺقصاصاً بالمجدر ، وأخيه الجلاس بن سويد الذي كان يثبط عزائم المسلمين ، وقصته مشهورة في تبوك إذ كان يقول :(لئن كان هذا الرجل صادقاً (يعني النبيﷺ) لنحن شر من الحمير)[4] ٠

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٥-٢٨ ؛ ابو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج٨ ، ص٨٥-٨٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص١٠١-١٠٢ ٠

(٢) الإمام أحمد ، مسند أحمد ، ج١ ، ص١٦٦ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص٧٦ ؛ مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، ج٧ ، ص٩١ ٠

(٣) سورة النساء ، الآية ٦٥ ٠

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٦٠٥ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص٢١٩ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢٨٧ ٠

وفي هذا النسق يمكن أن نجد العشرات من هذه الصور ، وهذا ليس بغريب لو علمنا ان الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين) أناساً ليسوا بمعصومين ، والخطأ والغلط عندهم ليس من الأمور المستحيلة٠

الحكمة

وتعني تحقيق العلم ، وإنفاق العمل ، وهي ما يمنع عن الجهل ، وهي الإصابة في القول ، وهي طاعة الله ، وهي الفقه في الدين ، وهي كل ما يؤدي الى مكرمة أو ما يمنع عن قبيح ، ولهذا قسمت الى قسمين علمية وعملية ٠

والحكمة : هي العدل والعلم والحكم والنبوة والقرآن والإنجيل ، وهي وضع الشئ في موضعه ، وصواب الأمر وسداده ، وهي في عرف العلماء ،استعمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية ، واكتساب الملكة التامة ، على الأفعال الفاضلة قدر طاقتها(١) ٠

الحكمة : هي معرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر واستطاعة ،وهي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة ما لها وما عليها(٢) مصداقاً لقوله ﷺ : (يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا)(٣)

ويقول ابن عباس : الحكمة هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله(٤) ٠

والحكمة : هي إصابة الحق بالعلم والعمل ، فالحكمة التي من الله هي معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام ، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات والتحكم بها(٥) ٠

---

(٢) الجرجاني ، التعريفات ، ج١ ، ص٢٩١ ٠

(٣) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٥٩ ٠

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٦٩ ٠

(٥) الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢ ، ص١٢٤ ؛الطوسي ، التبيان ، ج٢ ، ص٢٤٨ ؛ الطبرسي ، جامع البيان ، ج٢ ، ص١٩٤ ٠

(١) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ج١ ، ص٣٢٧ ٠الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص٦٠ ٠

والحكمة : هي المسكوت عنها من أسرار الحقيقة ، التي إذا اطلع عليها علماء الرسوم والعوام لضرتهم وأهلكتهم(١) ٠

والحكمة الإلهية : هي علم يبحث أصول الموجودات الخارجية المجردة عن المادة التي لا بمقدورنا واختيارنا ،وتعني العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها(٢) ٠

وهناك العشرات من تعاريف الحكمة ، لكنها لا تخرج في الأصل عما أوردنا في أعلاه ،وهي عموماً صفات الحكيم ، وهي ما تمثل بها رسول ﷺ الهداية وعممها على الخلق ٠

وكان الله جل ثناؤه قد سمى نفسه الحكيم في العديد من الآيات ، مثل قوله ﷻ:(وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(٣) ، وهو الذي أنزل الحكمة على نبينا ﷺ ليحكم ويعلم بها البشرية مثل قوله ﷻ : (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ)(٤) ، وعلى هذا بعث الرسول ﷺ بكمال الدين وإتمام النعمة ، والصدع بشرائع الأحكام العادلة ، والدعوة الى مكارم الأخلاق ومحاسن الخصال ، وتجلت حكمة الرسول ﷺ بسننه التي نقلها من الله بلسانه وبينها لهم تفصيلاً ، فهو إذا أحسن وأجل من يمتلك الحكمة بعد الله تعالى٠

البعد السياسي عند الرسول ﷺ

اختياره نوابه على المدينة :

اختار الرسول الكريم ﷺ العديد من الصحابة الكرام(رضي الله عنهم أجمعين) لإنابته في إدارة شؤون المدينة أثناء خروجه للقتال فقط ، ولم ينيب أي شخص في بوجوده

---

(٢) الجرجاني ، التعريفات ، ج١ ، ص٢٩٢ ٠

(٣) الجرجاني ، التعريفات ، ج١ ، ص٢٩٣ ٠

(٤) سورة إبراهيم ، الآية ٤ ٠

(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٦٤ ٠

في المدينة، إلا إنابته أبا بكر الصديق ﷺ في الصلاة بالمسلمين يوم مرضه(١) ، ولم يقض أحد في حضرته إلا من أجاز وفوض خارج المدينة ٠

ولا تعني هنا الإنابة ﷺ المطلقة ، بل هي محددة بغياب النبي ﷺ ، وعلى أمور محددة ، ولو ان الظاهر تبدوا وكأنها الولاية المطلقة ، لكن ولاية الرسول ﷺ وقيادته للأمة هي بأمر السماء ومخصوصة ، وجميع مناصبه ألاهية ، لا يمكن استخلافها ،على الرغم من إيصاله بعض الصحابة الى درجة فيض العقل ٠

وقبل الدخول في بيان وشرح هذه الفقرات من المفيد ان نذكر الصحابة الكرام الذين استخلفهم الرسول ﷺعلى المدينة في غزواته وسراياه ، وبيان الأوقات التي استخلف فيها النبي ﷺ ، وأثر بعد المسافة عن المدينة ، ولعل من خلالها نصل الى الوضع الأمني والسياسي وهم :

١-جعال بن سراقة الضمري ﷺ (٢) كان رجلاً أسوداً دميماً قبيحاً ،أسلم قديماً ، وأبدل الرسول ﷺ أسمه الى عمر ، وأرتجز به المسلمون في الخندق فيقولون :

سماه من بعد جعيل عمر وكان للبائس يوماً ظهر(٣)

استخلفه على المدينة في غزوة بني المصطلق ٠

٢- زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي الكناني ﷺمولى رسول الله ﷺ ، استخلفه على المدينة بعد خروجه في طلب كرز بن جابر الفهري ، على بعد ثلاثة أميال من المدينة(٤) ٠

---

(١) الشافعي ، كتاب الأم ، ج٧ ، ص٢٨٠ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، الإمامة والسياسة ، ج١ ، ص٢٠ ؛ ابن حزم ، الأحكام ، ج٧ ، ص٩٨٢ ٠

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٢٤٥ ؛ ابن الأثير ، أسدا\ الغابة ، ج١ ، ص٢٨٣ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج١٢ ، ص٥٨٧ ٠

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٢٤٦ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٣٤ ؛ الشريف الرضي ، ابو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الحسيني العلوي (ت٤٠٦هـ) ، المجازات النبوية ، تحقيق طه محمد الزيني ، مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٩٣٧ م ، ص٧٥ ٠

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٩ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٤٠٧ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٢٠٢ ٠

٣- السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي ﷺ، كان صاحب رأي وإقدام ، استخلفهﷺ على المدينة في غزوة بواط ، وهي على طريق الشام(١) ٠

٤- سباع بن عرفطة الغفاريﷺ ، وهو من شيوخ بني غفار ، استخلفه الرسول ﷺ على المدينة في خيبر ودومة الجندل (٢) ٠

٥- سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن ابي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج ﷺ ، وهو نقيب بني ساعدة ، استخلفه في غزوة ودان وغزوة الغابة ، وهي أول غزوة للرسول ﷺ بنفسه ، ودام غيابه ثمان ليال (٣) ٠

٦- ابو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر المخزوميﷺ ، أخو النبي ﷺ في الرضاعة ، وابن عمته برة بنت عبد المطلب ، استخلفه على المدينة في غزوة العشيرة ، وغزوة بدر الموعد ، وفيها غاب النبي ﷺ عن المدينة ثلاثين يوماً (٤) ٠

٧- عبد الله بن أُبي بن أَبي سلول ، استخلفه الرسول ﷺ على المدينة في بدر الثالثة(٥) ، وهذا أمر غير مقبول ، كون هذا من نزلت به سورة المنافقين على رأي كل المفسرين ، إذْ كان يثبط الناس عن الجهاد ، وعدم الخروج للحرب ، إلا ان مؤرخين آخرين يقولون ان الذي استخلف على المدينة هو عبد الله بن عبد الله بن أبي بن أبي

---

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٤٣٣ ؛ البكري ، معجم ما استعجم ، ج١ ، ص١١٢ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢٩٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص١٢ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٢٠

(٣) خليفة بن خياط ، طبقات خليفة ، ص٦٠ ؛ الإمام أحمد بن حنبل ، مسند أحمد ، ج٣ ، ص٣٤٥ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٢ ، ص٣٣ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٢٥٩ ٠

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٨ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٤٠٧ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص٤١٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص ٣٠.

(٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٤٣٣ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١٢٢ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢ ،ص ٣٣٨ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٣٣٥ ٠

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص ١٠٠ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٣١٣ ٠

سلول[1] ، إلا ان الأصح ان من استخلف هو عبد الله بن رواحة الضمري ﷺ ، وكان غيابه لمدة ثمان ليال[2] ٠

٨- عثمان بن عفان ﷺ، استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في غزوة ذي أمر (ذي القصة)[3] لغطفان بنجد ، وغزوة ذات الرقاع ، وغاب النبي ﷺ عن المدينة أحد عشر ليلة [4]

٩- عويف بن أضبط بن أبير بن نهيك بن خزيمة بن عدي بن الديل الديليﷺ ، ويروى انه لما اعتمر رسول الله ﷺ ، قالت له خزاعة : هل لك الى أعز بيت بتهامة ، فقال ﷺ لهم : لا تفزعوا نساء بني عويف بن الأضبط ،هو صاحب أعز بيت في تهامة ، استخلفه على المدينة في عمرة الحديبية(٥) ٠

١٠- غالب بن عبد الله بن مسعر الليثي ﷺ، استخلفهﷺ على المدينة في غزوة بني لحيان ، أمره الرسول ﷺ عدة سرايا ، وفيها غاب النبي ﷺ عن المدينة أربعة عشر ليلة ، وهو من قتل هرمز في القادسية[6] ٠

١١- أبو رهم كلثوم بن حصين بن عبيد بن معشر بن زيد بن احيمس بن غفار الغفاريﷺ يسمى المنحور ، لسهم أصابه بنحره في أحد فشافاه النبيﷺ فبرأ ،

---

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٦٩٦ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٢٩ ٠

(٣) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص١٨٣ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٣٠ ٠

(٤) يروى ان الرسولﷺ في هذه الغزوة أصابه مطر شديد ، فخلع ثوبه ونشره على الشجرة ونام تحتها ، فنزل اليه (دعثور بن الحارث) سيد غطفان وفي يده السيف ، فقال للنبي من يمنعك مني ؟ قال له : الله ، فسقط السيف من يده فاخذه النبي ، وقال له من يمنعك مني ؟ قال : اشهد ان لا إله إلا الله وانك رسول الله ؛ الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص١٩٥ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص١٣١ ٠

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٥٧ ؛ الطبري و تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٥٦.

(٦) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٨٢٧ ؛ ابن ماكولا ، الإكمال ، ج١ ، ص١٥ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٢٥٩ ١٥٧.

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ص٦٠ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج٢ ،ص٧٣ ٠

استخلفه على المدينة مرتين في غزوة الفتح وفي حجة الوداع ، وابو رهم من أصحاب الشجرة([1]) ٠

١٢- ابو لبابه بشير وقيل مروان بن عبد المنذر بن رفاعة بن زبير بن زيد ﷺ، استخلفه على المدينة في غزوة السويق ،كان نقيباً في بيعة الرضوان([2]) ٠

١٣- ابو ذر الغفاري ﷺ، استخلف على المدينة في ذات الرقاع ، وهي على بعد ثلاثة أميال من المدينة ، وغاب عنها لمدة يومين([3]) ٠

١٤ – علي بن أبي طالبعليه السلام ، استخلفه في تبوك ، مع قوة من الحرس ، لعلمه بأن المنافقين كانوا يحاولون عمل شئ لا تحمد عقباه في غياب الرسولﷺ عن المدينة ، إلا ان المنافقين أرجفوا بعلي بن ابي طالب عليه السلام ، وقالوا: ما منعه ان يخرجه معه إلا ان كره صحبته استثقالاً ، فلما سمع علي بذلك أخذ سلاحه ولحق بالنبي ﷺ في الجرف ، فقال للنبي ﷺ : زعم الناس أنك إنما خلفتني انك استثقلتني وتخففت مني ، فقال النبي ﷺ : كذبوا فيما خلفتك ورائي، فارجع واخلفني في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي([4]) ، فعاد الى المدينة ٠

---

(٢) ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١٢٧ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٧٦ ؛ المسعودي التنبيه والأشراف ، ص٣١٧ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج١٩ ، ص١٣٧.

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص١٢ ؛ ابن معين ، يحيى بن معين بن عون المري الغطفاني (ت٢٣٣هـ) ، تاريخ ابن معين ، تحقيق احمد عبد الله حسن ، دار القلم ، بيروت ،لات، ج٢ ، ص١٥١ ؛خليفة بن خياط ، طبقات خليفة ، ص١٥٢ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٢٠٦ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٣٨٤ ٠

(٤) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص ٣٩٥ ؛ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١١٣ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٢٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة (أرم) ، ج١ ، ص٢٩٨ ٠

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٢٣ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١٢٦ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج١ ، ص١١٥ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ص٩٢ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٣٦٨ ٠

١٤- ابن أم مكتوم عبد الله وقيل عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم من بني عامر بن لؤيﷺ ، استخلف النبيﷺ على المدينة ثلاثة عشر مرة في(الأبواء -بواط -ذات العشيرة -غزوة طلب كرز بن جابر - السويق - غطفان -أحد -حمراء الأسد -ذات الرقاع - حجة الوداع -دومة الجندل -بني قريضة)([1]) ، لعل هذا الإستخلاف كان لأغراض أمامة المسلمين في الصلاة ، كونه لا يصلح للقيام بالحماية ، على الرغم من وجود حرس للنبي ﷺ على المدينة في غزواته ٠

ولعل من المفيد ذكر بعض أسماء قادة حراس المدينة والعيون ، الذين كانوا يدافعون ويحرسون أهل المدينة في غيبة النبي ﷺ وجيشه ومنهم على سبيل المثال :

١- الزبير بن العوام ﷺ، كان على حرس المدينة في الخندق ٠

٢- رافع بن حديج ﷺ، صاحب الحرس في المدينة يوم حنين([2]) ٠

٣- سعد بن معاذ و كان على حرس المدينة في ذي قردة ٠

٤- بدل بن ورقاء بن عبد العزى بن ربيعة الخزاعي ﷺ، كان على الحرس في غزوة هوازن ٠

٥- أنس بن أبي مرثد الغنوي ﷺ، كان حرس رسول الله ﷺ في حروبه ([3])٠

٦- حارثة بن النعمانﷺ،استخلفه الرسول ﷺ على حرس المدينة في الفتح ،وعلى حرس رسول الله ﷺ في مكة مع عمر بن الخطاب ﷺ ([4]) ٠

٧- محمد بن مسلمة ﷺ ، كان على الحرس في الحديبية ومعه خمسون رجلاً من الحرس([5])٠

---

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٢٠٥ ؛ خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ص٦٠.

(٣) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٩ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص١٧٠.

(٤) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٣٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٣٧٣.

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص١٣٥ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص١٨٦ ٠

(٢) الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٦٠٢ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٣٩ ؛

٨- أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري ﷺ ، كان على حرس المدينة في بدر[١]٠

وكان في المدينة العديد من العيون ، يراقبون بشكل سري ما يخطط له اليهود والمنافقون ، منهم على سبيل المثال ، أمية بن خويلد ، عاصم بن ثابت الغنوي ، عمرو بن أمية الضمري ، الضحاك بن ابي سفيان بن عوف الكلابي ، المنذر بن عمرو ، وغيرهم ٠

من خلال ما تقدم لو تفحصنا المستخلفين ، نجد من بينهم القائد المقاتل الذي لم يتخلف عن غزوات النبيﷺ ، ومنهم الفقير الذميم ، وبينهم رئيس القبيلة ولو نظرنا الى مدة بقاء الرسول ﷺ خارج المدينة ، وبعد المهمة عنها ، يمكننا ان نستخلص أهم ما فوض به رسول الله ﷺلمن يستخلفه على المدينة طبقاً للموقف السياسي والأمني والإجتماعي ، وهي تسير بشكل طردي مع ازدياد عدد المسلمين وأتساع رقعة الدولة في المدينة ومدة خروجه ، وبعده عن المدينة على أساس المسافة ،تحديداً هو:

١- حفظ النظام ، ورعاية أمور المسلمين ، ومن المعلوم ان أغلبهم من النساء والصبيان ومن لم يؤذن أو يتوجب عليهم القتال ٠

٢- القضاء والحكم بين المسلمين في الأمور الخلافية الدنيوية ٠

٣- إمامتهم في الصلاة ٠

٤- إدارة أمور العامة وفق المنهج المعتمد ٠

٥- الدفاع عن المدينة في حالات الضرورة ٠

٦- في حالات خاصة رعاية أهل بيته ﷺ ٠

٧- يلاحظ مما تقدم انه لم نجد ما يشير الى قيام بعض المستخلفين بالإجتهاد بأمر عقيدي أو فقهي ، ولو أنهم قادرون على ذلك ٠

انتخاب القيادات :

كان الرسول ﷺ يختار قياداته ويقوم بتكليفهم بمهام كبيرة ونصب جمعاً منهم في شؤون (الولاية والقضاء وقيادة السرايا والجيوش وعمالاً للجباية والأخماس والزكوات أو تبليغ وإرشاد أو الفصل في الخصومات٠٠) ،ولم يؤمر في قبيلة إلا رجلاً منها ، لنفور

(٣) ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٤١١ ؛ ابن حجر ،الإصابة ، ج١ ، ص٢٩٣ ٠

طباع العرب في أن يحكم في القبيلة أحد من غيرها ، وكان اختيارهم وفق أسس ومواصفات محددة ،تختلف وفقاً للموقف السياسي والعسكري ، ونوعية المهمة وظرفها، ألا ان العوامل المشتركة في هذا الإنتخاب لهذه القيادات هي:

١- **حسن السياسة** : إذ لا يمكن تكليف صحابي لا يجيد السياسة وقبول الرأي الآخر في مهام الإمارة الخطيرة ، على الرغم من تواجد صفات عظيمة في ذلك الصحابي الجليل ، ومصداقاً لهذا الرأي ، طلب ابو ذر الغفاري ﷺ من النبي ﷺ الأمارة وأن يستعمله في القيادة ، فقال: ضرب رسول الله ﷺ بيده منكبي ثم قال :" يا أبا ذر ، إنك ضعيف ، وأنها أمانة ، وأنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه ، يا أبا ذر أني أراك ضعيفاً ، وأني أحب لك ما أحب لنفسي ، لا تأمرن على أثنين ، ولا تولين مال اليتيم "، فقال ابو ذر ﷺ (والذي بعثك بالحق لا أعمل لك على شئ أبدا)([1]) .

لو تفحصنا هذه الرواية الصحيحة لوجدنا ما يدلنا على عنوان الفقرة ، فالنبي ﷺ يحب لأبي ذرﷺ ما يحب لنفسه ، وهو رابع من أسلم ، وقال فيه الرسول ﷺ (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر)([2]) ، وهو عنوان من عناوين الشجاعة ، ورمز من رموز الزهد والورع التقشف والتواضع والإيمان والثبات .

هذه مواصفات أبا ذر فلماذا لم يؤمر ، يرى ابن حزم([3]) ان كل ما في ابي ذرﷺ يدعو للعزة والفخر ، لكنه لا يمتلك حسن التأني في تناول ما يرد ، وفيه شئ من المهاجمة والعجرفة ، ولعل هذه صفات غير سياسية ، إذ أن على السياسي أن لا يكون في مثل هذه الصفات .

٢- **الشدة من غير عنف والعدل والجود بغير إسراف** : فلا يمكن أن يكود القائد إلا شديداً في الحق عادلاً جواداً ، ولعل هذه من صفات أغلب الصحابة ، إلا أن بينهم

---

(١) مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، ج٦ ، ص٦ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٤ ، ص٩٢ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج١٠ ، ص٩٥ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج١٠ ، ص١٠٣ .

(٢)البخاري ، التاريخ الكبير و ج٩ ، ص٢٣ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١ ، ص٣٦ .

(١) الأحكام ، ج٥ ، ص٦٩٤ .

المتميز ، فهؤلاء أمراء سرية مؤتة([1])، زيد بن حارثة ﷺ الذي شاط في رماح القوم ، وعبد الله بن رواحة ﷺ ، الذي ارتجز وهو يقاتل :

يا نفس ان لم تقتلي تموتي   هذا حمام الموت قد صليت([2])

وجعفر بن أبي طالب ﷺ ، وهو أول من عقر فرسه في الاسلام في ساحة القتال ليقاتل راجلاً ،ولما مات وجدوا فيه بضعاً وثمانين جرحاً بين طعنة وضربة ورمية ، فأي شدة وأي جود لدى هؤلاء القادة ، وهنا لا يعنى بالجود والكرم المادي ، رغم انهم كذلك ، لكن المقصود هنا الجود بالنفس والشهادة ، وقد كلف النبي ﷺهؤلاء القادة في أكثر من مناسبة ٠

٣-**نجدة النفس والرفق من غير مهانة** : لما كانت وصية النبي ﷺلقادته عموماً (إغزوا بسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، أغزوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ٠٠)([3]) ، فمن الأكيد ان نجدة النفس هي شرط أساس ويجب أن تكون متوفرة عند القائد ٠

أما الرفق من غير مهانة ، فالمقصود هو الرفق في غير موضعه ، فيروى ان النبيﷺ انتخب سرية بإمارة عبد الله بن حذافة السهميﷺ ، إلا أن النبي ﷺ سارع وأرسل علقمة بن مجزز المدلجي ليستبدله ، لأن عبد الله كان فيه دعابة وخاف ان يتصرف بشكل لا يتفق مع ما يراد منه ، ولما علم عبد الله بالخبر جمع الصحابة وقال لهم : أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني ؟ قالوا: بلى ، قال :فاجمعوا حطباً ،فأوقد ناراً

---

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص١٢٨ ؛ خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ص٥٢ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١٢٣ ؛البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٥ ، ص٣٥ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص١٠٩ ؛ الطبري ، المنتخب في ذيل المذيل ، ص٢.

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ،ج٣ ، ص٨٣٤ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٣٢٨ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١ ، ص٢٤٠ ٠

(٤) الإمام مالك ، الموطأ ، ج٢ ، ص٤٤٨ ؛ الإمام أحمد ، مسند أحمد ، ج٤ ، ص٣٤٠ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٣ ، ص٢٦١ ؛ الشيخ الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٢٩ ؛ السرخسي ، المبسوط ، ج١٠ ، ص٥ ٠

وقال لهم إدخلوها ، فهم بعضهم الدخول ، فأمسك بعضهم بالآخر حتى خمدت النار ، فلما وصل الخبر للنبي ﷺ قال: (لو دخلوها ما خرجوا منها الى يوم القيامة)([1])٠

٤- ان يكون واسع العلم والعبارة :

العلم المقصود هنا بكل فنونه ، ولعل المراد القراءة والكتابة ومعرفة الرجال ، هذا لأن النبي ﷺ كان يعطي لكل أمرائه وقواده الكتب ، فمن الأكيد يجب المعرفة الكاملة بالقراءة والكتابة ، ومصداق هذا ، سرية عبد الله بن جحشﷺ الى نخلة ، فيروى انهﷺ أعطاه كتاباً وقال له:"لا تفتحه حتى تسير ليومين فإقرأه لجندك ، واخبرهم ما في الكتاب ، ومفاده انه لا يستكره أحداً منهم للقتال ، وهذه قوة العبارة ،فمن كان يريد الشهادة ويرغب أن ينطلق ، ومن كره فليرجع" ([2])٠

وانتخب النبي ﷺعبد الله بن رواحة في سرية وأعطاه كتاباً مختوماً وقال له :" لا تفضه حتى تصل كذا وكذا ، فإذا وصلت ففضه واعمل بما فيه "([3]) ، ولم يفتح الرسالة حتى وصل المكان المحدد له ٠

٥- المعرفة في الأمور الفقهية:

ولعل خير مصداق لهذه ، تقسيم عبد الله بن جحشﷺ الخمس في سرية نخله ، وهو أول خمس وزع في الإسلام ، ويروى أن النبي ﷺ أوقف غنائم نخلة ، ووزعها بعد بدر، وكان هذا قبل أن يفرض الخمس في الاسلام([4])

٦- هناك صفات أخرى كثيرة يجب أن تكون في من يختار للقيادة:

منها تمييز صفات الناس في أخلاقهم ، سعة الصدر ، البراءة من المعاصي ، المعرفة فيما يخصه في نفسه من دينه ، وغيرها من الصفات الإجتماعية والإنسانية ٠

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٥ ، ص١٠٧ ؛

(٢) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص١٣ ؛ ابن شبه النميري ، تاريخ المدينة ، ج٢ ، ص٤٧٢ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٢٠٣ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٨١ ٠

(٣) المسعودي ، تنبيه الأشراف ، ص٢٣٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٢٥١ ٠

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ،ج٢ ، ص١١ ؛ ابن شبه النميري ، تاريخ المدينة ، ج٢ ، ص٤٧ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٤ ، ص١٠٣ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج ا ، ص٣٠٥ ٠

وهناك أمر فيه شيء من الغرابة ، لم يوضح من قبل المؤرخين ، هو ان أصحاب القيادات الأولى في الاسلام كانوا من ذوي رحم النبي الكريمﷺ، ومعظم مقاتليها من المهاجرين ،وليس فيها أنصاري ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١. انتخب ابن عمه جعفر بن أبي طالب عليه السلام ليكون أمير المهاجرين في الحبشة ، وأحد الأمراء في موقعة مؤتة ٠

٢.أول سرية في الاسلام سرية عبيدة الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه ابن عم رسول الله ﷺ ، في شهر شوال بعد ثمانية أشهر من الهجرة ،وكلهم من المهاجرين من قريش ، ولم يكن بينهم أنصاري ، وهو القائل ([١]):

تغادر قتلى تعصب الطير حولهم ولا ترأف الكفار رأف ابن حارث

٣. سرية عمه ﷺ الحمزة بن عبد المطلب عليه السلام ، الى سيف البحر ، وكان كلهم من المهاجرين ، ولم يكن بينهم من المقاتلين الأنصار ، كون الأنصار لم يبعثوا لقتال إلا بعد بدر ([٢])٠

٤. وانتخب ﷺ ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام لأكثر من بعث وسرية ، فيذكر أنهﷺ بعثه الى اليمن ثلاث مرات ، والى بني أسد ، وطئ ، و ثقيف ، و بني سعد بن بكر

،وغيرها كثير([٣]).

٥. أنتخب ﷺ ابن عمته (برة بنت عبد المطلب) ، وأخوه في الرضاعة ، ابو سلمة عبد الله بن عبد الأسد رضي الله عنه، الى بني ناجية وذا العشيرة وسرية قطن وغيرها ، ولم يكن بها من الأنصار([٤])٠

---

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٤٢٨ ؛ الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص١٣ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٧ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٤٠٥ ٠

(٣) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص١٠ ؛

(١) الواقدي ، ج١ ، ص١١ ٠

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٢٣٩ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٦٢ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٤١٤ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٣ ، ص١٩٥.

٦. انتخب ﷺ مولاه ، وزوج بنت عمته زينب بنت جحش ، أمها أميمة بنت عبد المطلب ، زيد بن حارثة الكلبي ﷺ في سرايا عديدة ، منها سرايا الى القردة وبني سليم ، وبني ثعلبة ، والى جذام ، وفزارة في وادي القرى مرتين ، والى مدين وآخرها مؤتة ، وكذلك أنتخب ابنه أسامة بن زيد ﷺ ، حب رسول الله ﷺ ، بعثه الى بني العنبر ، ثم انتخبه أميراً لقتال الروم وهو شاب صغير ([1]) ٠

٧. أنتخب ﷺ ابن عمته ، أميمة بنت عبد المطلب ،عبد الله بن جحش ألأسدي ﷺ ، في سرية نخلة ([2]) ٠

٨. وانتخب ﷺ ابن خاله ، سعد بن أبي وقاص (مالك) بن وهب بن عبد مناف ﷺ ، في سرية الى الخرار بالشام ، والى كرز بن جابر الفهري ، على رأس تسعة أشهر من الهجرة ، وجميع مقاتليه من المهاجرين([3]) ٠

بعد هذا البيان تطرح الأسئلة الآتية : هل كان النبي ﷺ لا يثق بالأنصار (رضي الله عنهم أجمعين) حاشى لله قول هذا فهم أهل البيعتين وبدر؟ أم أنهم لا يجيدون القتال ، وهم أصحاب الأيام ، والحروب فيما بين الأوس والخزرج مشهودة ؟ أم ان القيادة كانت يجب أن تكون في قريش ؟ كونهم على معرفة تامة بأهل الحجاز ، أو أنهم خير من يتعامل مع مشركي قريش أعداء الاسلام ؟ وإذا كان هكذا فلماذا أقربائه ﷺبالتحديد دون الباقين من قريش ، أو هل كان الصحابة المهاجرون(رضي الله عنهم أجمعين) لا يجيدون هذا الفن ؟ ولماذا لم تعم القيادة كل أقربائه، وهم أهل لها ، فلماذا لم يؤمر عمه العباس بن عبد المطلب ﷺ وهو ليس بأسن من أخيه الحمزة بن عبد المطلب كثيراً ، ولماذا لم يؤمر الزبير بن العوام ﷺابن عمة النبي ﷺ ! هل كان

---

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٦٤ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص٢١-٤٢ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٣،ص٤٧؛ ابن حجر، الاصابة ، ج١ ، ص٢٠٢ ٠

(٤) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص١٩ ؛ خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ص٣٤ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٣ و ص٦٣٦ ٠

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٧ ؛ خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ص٣٤ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٢٠١ ، ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢٩٨.

وصف عمر بن الخطاب ﷺ للزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وغيرهم من كبار الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين) من أهل السبق في الاسلام ، ومن تشهد لهم سوح الوغى ، فقال : " كان الزبير شكس لقس(*) ، يلاطم بسيفه في النقيع في صاع من شعير ،وهل كان عبد الرحمن بن عوف ضعيفاً ، لو وكل اليه أمر لوضع خاتمه بيد امرأته ؟ وهل كان طلحة بن عبيد الله فيه بأو(**) ، وهل كان سعد بن أبي وقاص صاحب مقنب أي فيه عنف في استخدام السلاح "، وهؤلاء جميعاً لم يعرفوا بوصفهم قادة مميزين في سرايا الرسولﷺ[1]، وهل كان في أبي ذر الغفاري ﷺ شئ من جاهلية ، جعلته لا يصلح للقيادة [2] ، هل كانت هذه الصفات غير محببة في القائد ؟ ٠

ولو علمنا أن سرايا النبي ﷺ وحسب رواية المؤرخين كانت ثمان وثلاثين[3] ، وقيل خمسة وثلاثون[4] بين بعث وسرية ، وان ما جاء في الإحصائية المتقدمة كان لذوي رحمه قيادة خمس عشرين منها ، الأمر الذي يعنى أنها تقرب من الثلثين ، وباقي المسلمين الثلث الآخر ٠

(*)الشكس ، هو الضجر الصعب ٠ أما اللقس ، فهو العسر في التعامل؛ الفراهيدي ، العين ، مادة (شكس) ٠

(**)البأو ، يعني الكبر ، والأبهة ، وتقال لمن لا يشبه قومه ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ابهة) ٠

(١) ابن شبه النميري ، تاريخ المدينة ، ج٣ ، ص٨٨٠ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٥٨ ؛ الغزالي ، المنخول ، ص٥٧٩ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤٤ ، ص٤٣٩ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج٥ ، ص٧٣٨ ٠

(٢) الأمام أحمد ، مسند أحمد ، ج٥ ، ص١٦١ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٧ ، ص٩٥ ؛ مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، ج٥ ، ص٩٣ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي و ج٥ ، ص١٩٠ ٠

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٤ ، ص١٠٢٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٥ ، ص٢٣٦ ٠

(٢) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص٢٢ ٠

هذا إذا علمنا ان مجال إجتهاد القائد ليس كبيراً ، فطريق سيره وهدفه وزمان حركته ومكانه جميعها محددة ، بل حتى ان من يخرج في المهمة من الجند مع القائد محددين من قبل النبي ﷺ ٠

رسل النبي ﷺ الى الملوك والأشراف:

لم يحدد المؤرخون بشكل دقيق موعد إرسال النبي ﷺ الرسل الى القبائل والملوك والحكام ، ولعل ذلك يعود الى كثرة الرسل وتعدد الجهات والشخصيات التي راسلها النبيﷺ ،إلا ان من المفيد القول انه لما تم صلح الحديبية في العام الهجري السادس ، عاد النبي ﷺ الى المدينة قرير العين بهذا النصر الكبير ،وقد أصبحت الفرصة أمامه أكثر إتساعاً لنشر الدين الجديد، وتبليغ الرسالة الى كافة الناس من العرب والعجم ،الأبيض والأسود ، ليتم حجة الله على الناس ، فعندئذ كتب الى الملوك من العرب والعجم ورؤساء القبائل والأساقفة والمرازبة والعمال وغيرهم يدعوهم الى الاسلام ٠

بدأ النبي ﷺ كتبه بأباطرة الروم وفارس والحبشة والقبط ، فكتب في يوم واحد ستة كتب وبعثها مع ستة رسل ، ولعل تاريخ هذه الكتب محدد بشكل أكثر دقة من غيرها ، فكانت في المحرم من سنة ست من الهجرة ، وأصبح كل رجل يتكلم بلسان القوم الذي بعثه اليهم، وقيل له أن الملوك لا يكتبون إلا كتاباً مختوماً ، فأتخذ ﷺ خاتماً من فضه ونقشه ثلاثة أسطر (محمد رسول الله)ﷺ (١) ٠

إلا ان الكتب التي بعث بها النبي ﷺ غير ما ذكر آنفاً ، في نفس المعنى والغرض هي كثيرة ، اذ كانت لأشخاص وملوك ورؤساء قبائل وحكام ، يمكن إدراجها لمعرفة جواز عدم الدقة في مواعيد إرسالها ورسلها ،وكذلك إعماماً للفائدة :

---

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، الطبري ، تاريخ الطبري و ج٢ ، ص٢٨٨ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٢٨٩ ؛ القاضي عياض ، الشفا في أخبار المصطفى ، ج١ ،= =ص٣١٥ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢٧ ، ص٣٥٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٨٠ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص١٥٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٢٠٦ ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص٣١٥ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج١١ ، ص٣٤٤ ٠

١. كتابه الى عمائر كلاب ٠
٢. كتابه الى أقيال حضرموت ٠
٣. كتبه الى ملكي اليمامة هوذة وثمامة بن أثال ٠
٤. كتبه الى قريتين لم يسمهما المؤرخون ، أسلمت إحداهما ٠
٥. كتابه الى بني حارثة بن عمرو ٠
٦. كتابه الى عبد العزيز بن سيف بن ذي يزن الحميري ٠
٧. كتابه الى عمرو بن مالك الأرحبي ٠
٨. كتبه الى أقيال اليمن (زرعة –فهد–البسي–البحيري– عبد كلال –الحارث – نعيم –حجر) ٠
٩. أرساله أربعة كتب الى ضبيان الأزدي الغامدي ٠
١٠. كتابه الى خراش العبسي ٠
١١. كتابه الى حفينة النهدي ٠
١٢. كتابه الى ملك بصرى ٠
١٣. كتابه الى قيس العجلي ٠
١٤. كتابه الى جبلة بن الأيهم ٠
١٥. كتابه الى بني معاوية في كندة ٠
١٦. كتابه الى ملك السماوة نفاثة بن فروة الدئلي ٠
١٧. كتابه الى ذي الكلاع وذي عمرو من تبع ٠
١٨. كتابه الى حوشب بن ظليم ٠
١٩. كتابه الى سبيخت مرزبان كسرى على هجر ٠
٢٠. كتابه الى رعية السميحي ٠
٢١. كتابه الى أهل همدان ٠
٢٢. كتابه الى صاحب دومة الجندل ٠
٢٣. كتابه الى عامر بن طفيل العامري ٠
٢٤. كتابه الى بسر بن سفيان الخزاعي ٠
٢٥. كتابه الى بني قنان وبني الديان ملوك نجران ٠

٢٦. كتابه الى بني عمرو الحميري ٠
٢٧. كتابه الى مسيلمة الكذاب ٠
٢٨. كتابه الى بني سعد بن بكر ٠
٢٩. كتابه الى حي من العرب في شط عمان ٠
٣٠. كتابه الى قيس بن عمرو ٠
٣١. كتابه الى بني عذرة ٠
٣٢. كتابه الى بديل بن ورقاء ٠
٣٣. كتابه الى الجلندا ٠
٣٤. كتابه الى قبيلة صداء في اليمن ٠
٣٥. كتابه الى بني تميم ٠
٣٦. كتابه الى ابن اكيدر صاحب دومة الجندل ٠
٣٧. كتابه الى يهود بني قينقاع٠
٣٨. كتابه الى أهل اليمن ٠
٣٩. كتابه الى ملوك ردمان من حمير ٠
٤٠. كتابه الى سرباتك ملك الهند ٠
٤١. كتابه الى ورد بن مرداس من جذيم ٠
٤٢. كتابه الى أهل البحرين ٠
٤٣. كتابه الى بني فزارة ([١])٠

ولعل بعض المؤرخين زاد من عدد هذه الكتب أو قلل منها ، إلا أنها وبالتأكيد كانت كثيرة ،حساباً وقياساً بالمسافات الواسعة التي غطتها ٠

إلا ان البحث يتطلب بيان الفكر السياسي للرسول ﷺ في هذه الرسائل فلا يمكن تحليل هذا العدد الكبير منها ، لكننا سنركز على رسائل (قيصر، كسرى ، النجاشي، ملكي عمان ، وملك البحرين) ، كونها تشكل أطراف ساحة الدعوة

(١) لمزيد من المعلومات التفصيلية أنظر ؛ الأحمدي الميانجي ، مكاتيب الرسول ، ج١ ، ص١٢٥-٢٢٥ ٠

الإسلامية البعيدة ، وأنها الى ملوك لهم نظم سياسية مختلفة ، وجيوش ، وقوى كانت تسيطر على كل المسرح الذي إنتشرت فيه الدعوة الاسلامية ٠

١- رسالته ﷺ الى **النجاشي** ملك الحبشة والتي حملها اليه عمرو بن أمية الضمري يقول فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى النجاشي الأصحم ملك الحبشة : سلم أنت فاني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله ، وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة ، حملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ، ونفخه كما نفخ آدم بيده فنفخه ، وأني أدعوك الى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني ، وتؤمن بالذي جاءني ، فأني رسول الله ، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرا ، ونفر معه من المسلمين ، فإذا جاءك فأقرهم ، ودع التجبر ، فأني أدعوك وجنودك الى الله ، فقد بلغت ونصحت ، فأقبل نصحي ، والسلام على من اتبع الهدى (١) ٠

٣- كتابه ﷺ الى **هرقل** قيصر الروم ، حملها اليه دحية بن خليفة الكلبي جاء فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى قيصر عظيم الروم ،سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد أني أدعوك بدعاء الاسلام ،اسلم تسلم ، يؤتك أجرك مرتين ،فإن توليت فعليك إثم الأريسيين (الفلاحين) ، ويا أهل الكتاب تعال الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون (٢) ، فقبل الكتاب ووضعه على خاصرته وقال : لو كان في بلادي لأتبعته ونصرته ٠

---

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص١٣١ ؛ ابن الجوزي ، ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي(ت٥٧٩هـ) تنوير الغبش في فضل السودان والحبش ، تحقيق محمد بركات ، مطبعة دار جامعة أم درمان الاسلامية للطباعة والنشر ١٩٩٣م ، ص٢٠ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص٦٥١ ٠

(١) الإمام أحمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج١ ، ص٢٦٣ ؛ ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٧٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٧٧ ٠

٣- كتابه ﷺ الى **جيفر وعبد** ابني الجلندي ملكي عمان ، وبعثه مع عمرو بن العاص بن وائل السهمي ، وهذا الكتاب كان في السنة الثامنة للهجرة :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى جيفر وعباد ابني الجلندي ،سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فاني أدعوكما بدعاية الاسلام ، أسلما تسلما ، أني رسول الله الى الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ، ويحق القول على الكافرين ، وإنكما أن أقررتما بالإسلام وليتكما ، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فأن ملككما زائل عنكما ، وخيلي تحل بساحتكما ، وتظهر نبوتي في ساحتكما (١) .

٤- كتابه ﷺ الى **كسرى** عظيم الفرس مع عبد الله بن حذافة السهمي

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ،سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله الى الناس كافة ، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ،فاسلم تسلم ، فإن أبين فأن عليك آثام المجوس (٢) .

٥- كتابه ﷺ الى **المنذر بن ساوى** ملك البحرين ، وكان رسوله العلاء بن الحضرمي ، كتب فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى ،سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، أني أدعوك بدعاء الاسلام ،فاسلم تسلم أسلم يجعل الله لك ما تحت يديك ، وأعلم أن ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر (٣) .

---

(٢) ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٧٨ ؛ الباقلاني ؛ إعجاز القرآن ، ص١٣٤ . ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٣٣٤ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٧٧ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٢٦٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ و ص٢١٣ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٣٢٧ ؛ ابن خلدون ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٣٠٧ ؛ تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٣٧ .

(١) ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٣٣٧ ؛ الزيلعي ، جمال الدين ابو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد (ت٧٦٢هـ) ، نصب الراية لأحاديث الهداية ، تحقيق أيمن صالح شعباني ، دار الحديث ، القاهرة ١٩٩٥م ، ج٦ ، ص٥٦١ .

تحليل الكتب (**الرسائل**) :

كانت رسل رسول الله ﷺ الى الآفاق ، بها ما هو مشترك مثل الدعاء بالتوحيد والتصديق بالرسالة ، وبعض جمل الأحكام الرئيسة ، ولم يلزمهم قبولها ، والعمل بما تضمنته ، لكنه بين لهم فضل التمسك بها ، فقد بين لمن أجاب منهم كذا وكذا ، ومن لم يستجب فعليه كذا وكذا ، وهذا الجزاء والحساب في عملية القبول والرفض من الله ، لكنه فرق بين هذه الكتب على أسس المخاطبة ، وهذه من عنده ولو هي بالتالي بأمر الله تعالى ، ويمكن تحليل هذه الكتب وفق الآتي :

١-أن الكتب جميعها كانت باللغة العربية ، لغة القرآن الكريم (لغة قريش) ، وكان بالإمكان الكتابة باللغاتجميعها، فمثلاً كان بالإمكان الكتابة باللغة الفارسية والرومية واللغات العربية الأخرى(اللهجات)، فاللغة البحرينية ، وهي لغة الإستنطاء ، ولغة الشحر اللخلخانية ([١]) ، فهوﷺ يعرف كل اللغات واللهجات كونه مبعوثاً إلى الناس كافة الأحمر والأسود وكان له سبعة عشر رجلاً أو أكثر يكتبون له([٢])، ويروى ان بلال بن رباح أنشد النبي ﷺ بلسان الحبشة([٣]) وقال :

اره يره كنكره كرى كري منظره

فقال النبي ﷺلحسان بن ثابت اجعل معناها عربياً ، فقال حسان:

إذ المكارم في آفاقنا ذكرت وانما بك فينا يضرب المثل

---

(٢) الإستنطاء : وهي بأن تجعل العين الساكنة نوناً او حاء إذا جاوزت الطاء ، مثل (إنطي ، بدلاً من إعطي) وقوله (طلح منضود في طلع منضود) ،هي لغة الأزد وسعد بن بكر ٠
لخلخانية الشحر : وهي العربية بلكنة أعجمية ، ويقصد النبطية والخوزية ، على سبيل (ما شا الله في ما شاء الله) ؛ ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج٣ ، ص١٠١ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (لخخ)؛الزبيدي، تاج العروس ، مادة(لبخا) ٠

(١) ابن عبد ربه ،ابو عمر احمد بن محمد الاندلسي(ت ٣٢٧هـ) ، العقد الفريد ، تحقيق احمد أمين واحمد الزين وابراهيم الانباري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٢م ، ج٤ ، ص١٥٧-١٥٨ ٠

(٢) الطريحي ، فخر الدين بن محمد بن علي بن علي بن طريح الرماحي النجفي (ت١٠٨٥هـ) ، مجمع البحرين ، تحقيق أحمد الحسيني ، النجف ١٣٧٥هـ ، ج١ ، ص٢٤٦ ٠

٢- استعمال اللغة العربية يعني الإستقلال والعظمة ، بل عدت مقياساً للسيادة ، ولا بد من إنتشار لغة الإسلام في كافة الإتجاهات ٠

٣- كانت عبارات الكتب مقتصرة على القدر الضروري من أصول المطالب دون النظر في الفروع ، والأعمال الصغار ، وإيجازها يجعل المقاصد مفهومة ، وقصر الكلام في مثل هذه المخاطبات يعني الترفع والسمو الشخصي ٠

٤-خاطب الأباطرة بصفة العظيم (عظيم الفرس وعظيم الحبشة وعظيم الروم) ، إعترافاً منه كونه انه ينظر اليهم هكذا ، والاسلام لا يسلبهم هذه المقامات ٠

٥-خاطب الآخرين بأسمائهم مثل(المنذر بن ساوى ، وجيفر وعباد ابني الجلندي) دون ذكر اللقب وحتى أسم المملكه، وهذا يعنى أن أمر هذه الشخصية في يده ، وكان خطابه لهم يميل بين التطميع والتهديد ، وان كان التهديد سمة لجميع المخاطبين ٠

٦-يوحي الخطاب النبوي انه يحدث سريرة المرسل اليه ، فنراه يخاطب روحية النجاشي ، ونستنتج انه متيقن من قبول النجاشي للدعوة ، فنراه قد حدثه في عيسى ومريم(عليهما السلام) ، وكيفية خلقه ، ثم أعلمه بأنه رسول من الله ، ونراه يوصيه بالمهاجرين خيراً كأنه يعلم علم الأكيد بإسلامه ٠

٧-كان التهديد واضحاً للجميع بان سلامتهم بقبول الاسلام ، وإلا فلا بقاء لهم على رأس السلطة في ممالكهم ، فكانت عبارة أسلم تسلم عنوان كل الكتب ،بل حملهم آثام رعاياهم ، مثل (أثم الأريسيين وأثم المجوس) ، في حين لم نجدها عند الآخرين٠

٨-وعد بعضهم على البقاء بمراكزهم القيادية إذا أسلموا ، وكأنه صاحب القرار في التمليك والتنصيب ، كقوله للمنذر بن ساوى (يجعل الله لك ما تحت يديك وأعلم أن ديني سيظهر) ، ويقول لابني الجلندي (وإنكما أن أقررتما بالإسلام وليتكما) ٠

٩-لا يوجد بين سطور الكتب ما يشير الى لهجة رجاء وتوسل ٠

١٠-كانت الدلالات واضحة بان أسلوب المخاطبة كان بين الند للند ، ومعيار التكافؤ كان جلياً ،خصوصاً بالنسبة للقياصرة ، هذا إذا علمنا أن كتابه للمقوقس عظيم القبط كان بنفس العبارات والأسلوب ٠

الفكر الإقتصادي للرسولﷺ

العامل الإقتصادي عامل مهم في صيرورة أية دولة ، فلا يمكن تأسيس دولة دون إقتصاد ،سواء كان إقتصاد الدولة (الأمة) أو الفرد ، وعليه لا بد من ايجاد السبل الشرعية للحصول على الثروة والمال الذي شريان الحياة الحقيقي في عماد الدولة ، ومن هذه السبل :

الخمس:

الخمس في اللغة ، هو رابع الكسور ٠

الخمس في الشرع ، هو أسم للحق في المال يجب لله تعالى ، والرسول ، وذي القربى ، واليتامى والمساكين وأبناء السبيل ٠

وجوب الخمس : لما كان الخمس هو حق مالي فرضه الله تعالى له ولنبيهﷺ وذوي قرباه واليتامى من قريش وقيل (من أهل بيته)، ومساكينه فهو إذا عوضاً عن الزكاة وجاء ذلك في محكم كتابه الحكيم قوله ﷻ : (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ

خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(1) ، وهذا نص سماوي ، اما وجوبه فهو يقع في مجال الإجتهاد ، وكان النبي ﷺ يتصرف به أو يستحصله وفقاً لما يقتضيه الظرف والموقف ، ويقع وجوبه في الأوجه التالية(2):

١- واجب على الغنائم جميعها في الحرب ٠

٢- واجب على المكاسب جميعها دون حرب ٠

٣- يوجب على ما أستخرج من معادن (الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والكحل والقير والنفط والكبريت والملح والزبرجد والياقوت) ٠

٤- يجب على المسلم وغير المسلم ، السيد والعبد ، الكبير والصغير ٠

إلا أن بعض الفقهاء يورد حالة وجوب الخمس في الغنيمة فقط ، وجعل سهمي الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺسهماً واحداً (3) ، ولو أن هذا المورد يقع في المنهج نفسه من حيث الجوهر ، على الرغم من تحجيمه وتضييق مداه

ولعل هذا التصنيف وبالرغم من عدم وجود فارق كبير في مجال الاجتهاد فيه إلا أنه لا ينسجم مع حالات تقسيم الخمس في العهد النبوي الشريف ، وفي هذا الأمر شواهد عديدة ، تشير أن خمس الغنيمة هو جزء من أجزاء الحصول على أموال الخمس ، ومن هذه الشواهد :

١- أموال بني قينقاع التي حصل عليها المسلمون في سرية عبد الله بن جحش ﷺ ، وهي أول الأموال التي خمست في الإسلام ، بستة سهام ، وهي جزء من الغنيمة٠

٢- الأموال التي غنمها المسلمون في بدر ، فإن النبي ﷺ لم يقسمها وفق الآية الكريمة ، فلم يأخذ من الخمس ، ولم يعط لذوي القربى ،بل أعطى سهماً وافراً للجند ، لعله أراد أن يأتلفهم أو يرغبهم بالإسلام خصوصاً أنها كانت أول حرب كبيرة

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٢٦ ٠

(٢) الإمام أحمد ، مسند أحمد ، ج٤ ، ص٩٣ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٢ ، ص١٢٦ ، الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢٨ ، ص٤٩ ؛ الطبرسي ، تفسير الطبرسي ، ج٢ ، ص٢٥.

(١) الإمام الشافعي ، كتاب الأم ، ج٤ ، ص١٤٦ ؛ السرخسي ، المبسوط ، ج٣ ، ص١٧ ؛ ابن قدامة ، المغني ، ج٧ ، ص٣٠٠ ٠

للمسلمين ضد المشركين ، ويرى بعض الفقهاء انه لم يوزع الخمس وفق القاعدة كون آية الخمس لم تنزل ، وهذا ينافي توزيع الخمس في سرية عبد الله بن جحش قبل بدر ([1]) ٠

٣- أموال غنائم حنين ، فلم يأخذ النبي ﷺ سهم الله تعالى وسهمه من أموال حنين ، ورده إلى ألصحابة وقال : (ما لي مما أفاء الله عليكم ولا مثل هذا إلا الخمس و وهو مردود عليكم)([2]).

٤- أموال بني قريضة التي غنمها المسلمون ، وزعها النبي ﷺ بين المهاجرين ، ولم يعط منها الى الأنصار سوى رجلين ذكروا في الفقراء ، وهذا فعل خاص([3])٠

٥- أموال بني النضير ، فلم يخمسها النبي ﷺ بل إصطفاها لنفسه ، كون المسلمين لم يوجفوا عليها بركاب([4])

٦- وهناك دليل لا يميل إليه الشك بان الخمس ليس من أموال الغنيمة فقط ، وهو رسائل النبي ﷺ الى الملوك ورؤساء القبائل ولم يكونوا في حروب مع غير المسلمين منها :

- كتابه ﷺ لأهل البحرين من عبد القيس في أعطاء الخمس ٠
- كتابه ﷺ لعمر بن حزم حين أرسله الى اليمن وأمره أن يأخذ الخمس ٠
- كتابه ﷺ الى سعد هذيم وجذام وأمرهم بتحصيل الخمس ٠
- كتب ﷺ أكثر من عشرين كتاب بهذا المعنى الى قبائل (بني بكاء ، بني زهير ، حدس ، لخم ، بني جديس ، الأسبذيين في هجر والبحرين ، بني معاوية ، بني

---

(٢) الإمام الشافعي ، كتاب الأم ، ج٧ ، ص٣٥٣ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ و ص١١ ؛ الجصاص ، ابو بكر احمد بن علي (ت٣٢٧هـ) ، أحكام القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٤م ، ج٣ ، ص٥٩٣ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج٥ ، ص٧٢ ٠

(٣) الإمام مالك ، الموطأ ، ج٤ ، ص١٤ ؛ أبو عبيد ، الأموال ، ص٤٤٤ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٤٦٩ ٠

(١) الإمام مالك ، المدونة الكبرى ، ج٢ ، ص١٠ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢٨ ، ص٥٤ ؛ ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج٧ ، ص٣٣٨ ٠

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٤٢١ ؛ الشيخ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٤ ، ص٢٤٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٩١ ٠

صرفة ، بني قيل ، بني ثعلبة ، بني جرمز ، بني جنادة ، بني قيس ، بني مالك بن الأحمر ، بني الفجيع ، بني عامر ، بني جهينة) ملوك حمير في اليمن ، ملوك عمان ٠٠ ([1])٠

- بل أن الرسول ﷺ لم يخمس كل الغنائم كما هو حال غنائم بدر ،واعتبرها نفلاً لله تعالى ولرسولهﷺ ووزعها على المقاتلين بأجمعها ، لقوله ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ([2]) ٠

ولما كانت أموال الخمس في سهمي الله تعالى والرسول ﷺ تساعده فيما يحفظ كيان الأمة ، وحفظ شؤون المسلمين ، وأن إعطاء سهم ذوي القربى هو تكريم للرسول ﷺ ، فان هذه الأهداف أضفت على الخمس قدسيته واعتز بها المسلمون عظيم الإعتزاز وكان لها أثر في نفوس المسلمين ٠

الزكاة :

الزكاة في اللغة تعني النماء ، ويقال زكى الزرع أي نما ،وترد ايضاً بمعنى التطهير من رذائل البخل ، وترد في مجاليهما([3]) ٠

أما تعريفها في المجال الشرعي فتعني إعطاء جزء من مال النصاب الى الفقراء ونحوهم ، على أن يكون غير متصف بمانع شرعي يمنع من الصرف فيه٠

والزكاة فرضها الله تعالى بقدر مقدور فجعلها على الأغنياء في كل مائتين ، مائة وخمسة وتسعين له ، والخمسة الباقية للفقراء ، لتكون هذه الخمسة عونا للفقير وتحصيناً لماله ، أي اثنين ونصف في كل مائة ، ولما كان النصف يشكل بعض المتاعب في إحتساب زكاة الورق على أساس الدينار والدرهم ، فقد تم احتساب

---

(٣) ابو يوسف ، الخراج ، ص٧٧ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٤ ، ص٢٤٣ ؛ أبو عبيد ، الأموال ، ص٢٠ ؛ الإمام أحمد ، مسند أحمد ، ج٢ ، ص١٤ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج١ ، ص٢٢-٢٣ ؛ مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، ج١ ، ص٣٦ ؛

(٤) سورة الأنفال ، الآية ١ ٠

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (زكا) ٠

فرضها في كل مائتين تسهيلاً لمهمة مأمور الزكاة ، وبذا المعنى ذهب قسم من الفقهاء إلى أن الغني من يمتلك مائتي درهم غير قوت يومه([1])٠

حدد الله الزكاة وفرضها مرادفة مع الصلاة ،كونها ركناً أساسياً في من أركان العبادة ، وجعل الله تعالى حكم تاركها ومن لا يدفعها بحكم الكافر ، مصداقاً لقوله ﷻ : (الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ)([2]) ، وقد قسمت الزكاة على ثمانية أبواب هي :

١- من تجب فيه الزكاة : المعلوم ان الزكاة فرضت بأمر سماوي ، لقوله ﷻ : (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)([3])، فقد سن رسول الله ﷺ الزكاة في تسعة أصناف أوجبها نهجه الاقتصادي هي (الذهب ، الفضة ، الحنطة ، الشعير ، التمر ، الزبيب ، الإبل ، البقر ، الغنم) وأضيف إليها ، الجوهر ، الطيب ، وما شابه هذه الصنوف من الأموال ([4]) ، وحدد من يستحق الزكاة بثمانية أصناف ، لقوله ﷻ : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)([5]) ٠

٢- من تجب عليه الزكاة : فقد حدد الرسول الكريم ﷺ من تجب عليه الزكاة ، كونها لم تكن واضحة الأدلة في القرآن الكريم وهم: (الأحرار ، العقلاء ، البالغون ، المالكون للنصاب)، وهذا يشمل كلا الجنسين الرجل والمرأة ، وشمل قسم الفقهاء

---

(٢) الإمام الشافعي ، كتاب الأم ، ج٢ ، ص٤٤ ؛ الشيخ الكليني ، الكافي ، ج٤ ، ص٢٦٧ : الشيخ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٢ ، ص٤١٩ ؛ السرخسي ، المبسوط ، ج٣ ، ص١٤ ؛ القطب الراوندي ، فقه القرآن ، ج١ ، ص٢٥٦ ٠

(٣) سورة فصلت ، الآية ٧ ٠

(١) سورة النور ، الآية ٥٦ ٠

(٢) الإمام مالك ، الموطأ ، ج١، ص٢٧٣ ؛ الإمام الشافعي ، كتاب الأم ، ج٢ ، ص٦٠ ؛ الشيخ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٢ ، ص١٤ ؛ الطوسي ، الإستبصار ، ج٢ ، ص٣ ؛ الشوكاني ، نيل الاوطار ، ج٤ ، ص٣٠٤ ٠

(٣) سورة التوبة ، الآية ٦٠ ٠

أموال شريحة الأطفال والمجانين ، واستثنى البعض الآخر هذه الشريحة ، ولكل منهم أسبابه ([1]) ٠

٣- وقت وجوب الزكاة : اما الوقت لوجوب الزكاة فعلى ضربين([2]) هما :

أ-رأس الحول ، ويأتي على النصاب الثابت في الملك ، وتأتي على النعم والذهب والفضة ، فإذا جاء الحول فرضت الزكاة

ب- وقت الحصاد ، أي وقت حصاد المحاصيل الواجبة الزكاة ٠

٤- المبلغ الذي تجب فيه الزكاة : فهو كما النصاب في كل ما تجب فيه الزكاة ، وكان ثلاثة وعشرين نوعاً هي :

- الإبل : وفيها إثنا عشر نصاب ، من خمس ، الى عشر ،الى خمس عشرة ، الى عشرين ،الى خمس وعشرين الى ست وعشرين ، الى ست وثلاثين ،الى ست وأربعين ، الى واحد وستين، الى ست وسبعين ، الى أحدى وتسعين ، الى مائة وأحدى وعشرين([3]) ٠
- في البقر :نصابان ، أولها ثلاثين الى أربعين ، ففي الثلاثين تبيعة ، والأربعين مسنة ٠
- في الغنم : أربعة أنصبة ، من أربعين وواحد الى مائة وعشرين ففيها شاة، الى مائتين وواحد ففيها شاتان ،الى ثلاثمائة وواحد، ففيها ثلاثة شياه ، وإذا زادت وكثرت الشياه فتسقط هذه الحسبة ويستخرج من كل مائة شاة ([4])

---

(٤) الحلي ، ابو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (ت ٧٢٦هـ) مختلف الشيعة ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ١٤١٣هـ ،ج٣ ، ص١٥٢ ٠

(٥) الإمام مالك ، ابو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (ت١٧٩هـ) ، المدونة الكبرى ، مطبعة السعادة ، مصر .لات ، ج١ ، ص٢٥٧ ؛ الشيخ الكليني ، الكافي ،ج٣ ، ص٥١٦ ؛ ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص٤٤١ ٠

(١) الإمام مالك ، المدونة الكبرى ، ج١ ، ص٣٠٦ ؛ ابن حزم ، المحلى ، ج٥ ، ص٨٤ ؛ الطوسي ، الإستبصار ، ج٢ ، ص١٩ ٠

(٢) الإمام مالك ، الموطأ ، ج١ ، ص٢٦٣ ؛ الإمام الشافعي ، كتاب الأم ، ج٢ ، ص١٠ ؛ الشيخ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٢ ، ص٢٨ ٠

- في الذهب نصابان من عشرين الى أربعة وعشرين ، وفيه ربع العشر ، وفي أربع دنانير قيراطان(القيراط نصف العشر) ، وفي المائتين خمسة دراهم٠
- في الفضة نصابان ، من مائتين الى مائتين وعشرين ٠
- وفي الباقي من كل تسعة كله ٠

٥-الصفة التي تجب في حصولها الزكاة: ففي نصاب الإبل ،في الخمس منها شاة ، وفي العشرة شاتان ،وهذا كل خمسة تزاد شاة ، وفي الستة وسبعون بنت لبون ، الى المائة وأحدى وعشرين، ثم من كل أربعين بنت لبون ٠

أما نصاب الغنم ،ففي الأربعون شاة ، والثاني شاتين ، ثم ما زاد على النصاب ففي كل مائة شاة ([1])٠

٦-مبلغ ما يجب فيه النصاب : ففي كل خمسة أوسق نصاب بالنسبة للغلال واجبة الزكاة ،مصداقاً لقول الرسولﷺ ([2]): (ليس فيما دون خمسة ذود(*) صدقة ، وليس فيما دون خمسة أواق(*) صدقة ، وليس دون خمسة أوسق(**) صدقة) ، وفي كل مائتي دينار خمسة دراهم ،وفي كل أربعين درهماً درهم واحد ٠

٧-من تخرج إليه الزكاة : تستحق الزكاة ثمانية أصناف، لقوله ﷻ (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ

---

(٣) الإمام مالك ، المدونة الكبرى ، ج١ ، ص٣٠٧ ؛ ابن حزم ، المحلى ، ج٦ ، ص٣٣ ؛ الطوسي ، الإستبصار ، ج٢ ، ص٢٠ ٠

(١) الإمام مالك ، الموطأ ، ج١ ، ص٢٤٤ ؛ الإمام الشافعي ، كتاب الأم ، ج٢ ، ص٤ ؛ الإمام أحمد ، مسند أحمد ، ج٢ ، ص٩٢ ؛ الشيخ الكليني ، الكافي ، ج٣ ، ص٥١٦ ٠

(*) الذود : هي الإبل من ثلاث الى عشرة ،ولعل هذه التسمية جاءت لمن لا يملك إلا الذود يكف بها عيش عياله ؛ الفراهيدي ، كتاب العين ، مادة(ذود) ٠

(*) الأوقية ، أربعين درهم فضة ؛ إبراهيم سليمان ، الأوزان والمقادير ، ص١٧ ٠

(**) الوسق ، الوسق ستون صاع ، والصاع أربعة أمداد ، ويزن خمسة أرطال وثلث ، والمد خمسة وأربعون كيلو غرام ، وعليه يكون الوسق مائة وثمانين كيلو غرام ؛ هنتز ، المكاييل والأوزان الإسلامية ، ص ٧٩ ؛إبراهيم سليمان ، الأوزان والمقادير ،ص١٣٧.

فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(1) فالفقراء الذين لا شيء لهم ، أما المسكين فهو من يملك القليل الذي لا يكفيه لسد قوته ، والعاملون عليها فهم جامعي الزكاة ،والمؤلفة قلوبهم ،فهم الذين يراد ترغيبهم في الاسلام ، أما في الرقاب فهم العبيد ، والغارمون هم الذين ركبتهم الديون ،وابن السبيل هو المنقطع عن أهله وان كان غنياً ، واما في سبيل الله فهو الجهاد ٠

٨-أقل ما يخرج الى الفقراء من الزكاة : بعد اكتمال النصاب ، أقله نصف دينار، أو خمسة دراهم ، وأما الأكثر فلا حد له ، ويجوز أن يعطي الفقير حتى الغنى٠

على هذا قال الفقهاء(2) : جعل الله الزكاة لأمرين هما : سداً للخلة ، وتقوية ومعونة لعز الإسلام ، وما كان لعز الإسلام فانه يعطى للغني والفقير ، وهذا هدف سياسي كبير من خلاله استفاد من المؤلفة قلوبهم للنصرة ، الأمر لم يدفعهم للعودة الى ما كانوا عليه سابقاً ، واستفاد منهم لتقوية الإسلام٠

واستثني زكاة الثروة في الحالات التي لها علاقة في الحالة الإجتماعية وإنسانية وهي:

- ليس على حلي النساء اذا استخدمت زكاة ٠
- ليس فيما دون العشرين ديناراً زكاة ٠
- عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق(3)
- ليس على المال الغائب زكاة ٠
- ليس على مال اليتيم زكاة ٠
- ليس على سبائك الذهب والفضة زكاة ، إلا من هرب بها (4) ٠

---

(٢) سورة التوبة ، الآية ٦٠ ٠

(٣) الطبري ، تفسير الطبري ، ج١٠ ، ص٢٠٩ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج٥ ، ص٢٤٥ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٦ ، ص٣٠٣ ٠

(١) الإمام احمد بن حنبل ، مسند أحمد ، ج١ ، ص٩٢ ؛ الطبراني ، المعجم الصغير ، ج١ ، ص٢٣٢ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٤ ، ص١١٨ ؛الطوسي ، تفسير مجمع البيان ، ج٢ ، ص٨٠ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج١ ، ص٣٤١ ٠

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٢ ، ص ١٢٢ ؛ الشيخ الكليني ، الكافي ، ج٣ ، ص٥١٨ ؛ الطوسي ، الخلاف ، ج٢ ، ص٧٧ ؛ ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص٥٦٩ ٠

الغنيمة :

هي المال لمأخوذ من الكفار في ميدان الحرب والقتال ، وهو ما أفاء به الله على المسلمين من أموال المشركين بغلبة وقهر نفل منه أو لم ينفل ، وهي هبة من الله للمسلمين ، والنفل ما أعطيه الرجل من مال على البلاء والغناء عن الجيش من غير قسمة ([1])

أما أهل اللغة فيقولون : الغنيمة هي من الغنم ،هي الفوز بالشئ بدون مشقة ، وغنم:الشئ فاز به ، والإغتنام : انتهاز الفرصة ، انه مطلق المال المأخوذ بلا بدل ، بدلالة قول النبي ﷺ :(الصوم في الشتاء غنيمة)([2]) لتحصيل الأجر بدون ضماً([3]) .

وقسم النبيﷺ الغنيمة بعد أخذ الخمس منها ، والأربعة الأخماس الباقية توزع الى الأصناف التي وردت في قوله ﷻ :وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)([4]) .

وجعل الله تعالى الغنيمة كسباً طيباً لقوله ﷻ : (فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)([5]) ، وقوله ﷺ :(إن الله فضلني على الأنبياء ، وأحل لنا الغنائم)([1]) وقوله ﷺ : (ما أحلت الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم)([2])

---

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٩٥ ؛ الإمام أحمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج٥ ، ص٣٥٨ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٩ ، ص٢٢٨ ؛ الشيخ الطوسي ، الإستبصار ، ج٣ ، ص٣ .

(١) الإمام أحمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج٢ ، ص٣٣٥ ، البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٦ ، ص٤٥٠ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٢ ، ص١٤٦ ؛ الشيخ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٤ ، ص٣٥٦ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غنم) ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (غنم) .

(٣) سورة الأنفال ، الآية ٢٦ .

(٤) سورة الأنفال ، الآية ٦٩ .

تقسيم الغنائم : قسم النبي ﷺ الغنائم وأعطى لمن شهد الوقيعة سهماً للفارس ، وسهمين للهجين ، أما السلب فهو جزء من الغنيمة يستحقها صاحبها فقط كونه هو الفاعل والغانم الوحيد لا يشاركه فيه أحد ، ويستحق من عموم الغنيمة سهامه ، كون عموم الغنيمة تعطى مستحقها وهم عموم المقاتلين ([3]) ، يستثنى من ذلك من قاتل أو ساعد المسلمين ، فكان رسول الله ﷺ يستفز بعضهم ويقاتل بهم ، فهؤلاء ليس لهم من الغينمة نصيب([4]) .

وأباح الرسول الكريم ﷺ الغنيمة للمسلمين من الأهل المشركين في دار الحرب ، فيروى أن الرسول ﷺ والإمام علي بن ابي طالب عليه السلام كان قد أخذا نصيبيهما من الغنيمة في فداء عمه العباس بن عبد المطلب وابنا عمه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث (رضي الله عنهم) في بدر ، وكان قدرها مائة أوقية من الفضة ، حتى أن بعض الأنصار طلبوا من النبي ﷺ إطلاقهم أو تخفيض قيمة الفداء ، فقال الرسول ﷺ :(والله لا تذرون درهماً)([5]) .

ومن المفيد التطرق الى سهمي الخيل في الغنيمة ، فكان يقول ﷺ : "الخيل معقود على نواصيها الخير الى يوم القيامة " ، لأنه حيوان يسهم له أكثر من الفارس ، وكان العرب يفرقون في السهم بين الخيل من حيث نسبها وسلالتها فيعطى للجواد العربي سهمان ، ولغيره من الجياد سهم واحد أو لا يسهم لها، على أساس العدو والكر والفر في القتال، ولم يسهم لغيرها من الدواب كالإبل والبغال والحمير ، فكان النبي ﷺ عرب الخيل وأعطي أولاً للفرس العقيق وهي التي أبواها عربيان ، ثم

---

(٥) الإمام أحمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج٥ ، ص٢٤٨ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٣ ، ص٥٥ .

(٦) الطبري ، تفسير الطبري و ج١٠ ، ص٥٩ ؛ النحاس ، معاني القرآن ، ج٣ ، ص١٧٣ ؛القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٣ ، ص٤٢٩ .

(٧) ابن قدامة ، المغني، ج١٠ ، ص٤٢٠

(١) مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، ج٥ ، ص١٤٠ ؛الشيخ الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٥٤١ ؛

(٢) الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٣ ، ص٣٢٤ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٨ ، ص٥٣ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص٣٣٤ .

البرذون الذي أبواه أعجميان ، ثم المقرف وهو الذي أمه عربية وأبوه أعجمي ، ثم الفرس الهجين وهو الذي أبوه عربي وأمه أعجمية [1]، وبهذا المعنى تقول هند بنت النعمان بن بشير [2]:

وما أنا إلا مهرة عربية سليلة أفراس تحللها بغل

فإن ولدت مهراً كريماً فبالحري وان يك أقراف فما أنجب الفحل

ولم يوزع النبي ﷺ كافة الغنائم التي حصل عليها المسلمون ،تبعاً للموقف السياسي والإجتماعي ، فنرى أنه ﷺ لم يوزع غنائم بدر ،وعدها من الأنفال ، والنفل خاص بالله ورسوله، فخصها الرسول ﷺ لإصلاح ذات البين لقوله ﷻ:(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [3] ، ووزع قسماً منها لثمانية من الصحابة لم يشهدوا بدر [4]، أو لعله أعطى لمن أبلى في الحرب ، أو لأنهم أختلفوا وطالبوه في الغنائم ،ودلت على ذلك الآية السابقة، أولعلها كانت فيها أموال المهاجرين التي إستولى عليها مشركي مكة ،وأعطى قسماً منها للأيتام ، وفك بقسم منها الأسرى

وأبيح للرسول ﷺ الأحقية في التصرف بأموال غنائم الخمس، وفقاً للموقف السياسي والموقف الاجتماعي في ائتلاف القلوب كما في أخماس غنائم حنين،

---

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٨١١ ؛ قطب الدين الراوندي ، الخرايج والحوايج ، ج٢ ، ص٦٦٩ ؛ ابن قدامة ، المغني ، ج٧ ، ص٣١٢ .

(٤) هي هند بنت النعمان بن بشير بن ثعلبة الأنصارية الخزرجية ، صحابية ، كانت قد تزوجت من الصحابي روح بن زنباع الجذامي وكانت أمه أم ولد ويقال فيه عجمة ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٦ ، ص٥٣ ؛ ابن ماكولا ، الإكمال ، ج٦ ، ص٣٨ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٢٢ .

(١) ابن طيفور ، بلاغات النساء ، ص٩٧ ؛ الطبرسي ، تفسير الطبرسي ، ج٧ ، ص١٧٩ ؛ ابن قدامة ، المغني ، ج١٠ ، ٤٤٤ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ج٨ ، ص٣٣٨ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية ١ .

(٣) الإمام الشافعي ، ج٨ ، ص٦٨ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٥ ، ص١٩٨ ؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢ ، ص١٣٦ ؛ الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص٦٨ .

وأعطيت لغير المسلمين ، فيروى ان النبي ﷺ أعطى صفوان بن أمية من غنائم حنين ، وصفوان يومئذ كافر ، فقال صفوان : " لقد أعطاني وأنه لأبغض الناس إلّي ، حتى برح يعطيني حتى أنه أصبح أحب الناس لي " (١)٠

فيما تقدم عرضنا بشكل مركز لموارد الغنيمة ، وفلسفة الرسول الكريم ﷺ وإجتهادة في تقسيمها ،وفقاً لما تقتضية الحاجة والظرف المرحلي سياسياً كان أو إجتماعياً ، كونها لم يشار الى دلائلها بشكل صريح في كتاب الله تعالى ٠

الجزية :

الجزية في اللغة : هي من المجازات ،والجزاء (٢)٠

الجزية في الشرع : هي عقد تأمين ومعاوضة وتأييد من الإمام أو نائبه على مال مقدر يؤخذ من الكفار كل سنة وبرضاهم ، مقابل سكن دار المسلمين ، وتكون على الرأس أو الأرض(٣) ٠

وهي الضريبة العادلة المفروضة على أهل الذمة ، على رؤوسهم ، أو أراضيهم ، ، ولا تؤخذ مجتمعة ، اذا قاموا بشرط الذمة المقررة في مواضعها ، وهي محددة بكتاب الله ، بقوله ﷻ: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (٤)، ومقدرة بالإجتهاد ، وتسقط بالإسلام٠

- أصناف الجزية :

١- اليهود على إختلافهم ٠

٢- النصارى على إختلافهم ٠

---

(٤) الطبري ، تفسير الطبري ، ج١٠ ، ص٢٠٨ ؛ النووي ، المجموع ، ج٦ ، ص١٩٨ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص٢٥ ٠

(١) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، مادة (جزاء) ٠

(٢) الإمام مالك ، المدونة الكبرى ، ج٢ ، ص١٣ ؛ الإمام الشافعي ، كتاب الأم ، ج٤ ، ص١٨٦ ؛ الشيخ الكليني ، الكافي ، ج٣ ، ص٥٧٣ ٠

(٣) سورة التوبة ، الآية ٢٩ ٠

٣- المجوس على إختلافهم ٠

٤- الصابئة وفيهم اختلاف ٠

وهناك شواهد تاريخية في هذا الباب ، فقد فرض رسول الله ﷺ الجزية على يهود خيبر بعد ان صالحهم على نصف الثمار بعد غلبته عليهم،ثم فرضها على يهود اليمن،عندما أرسل رسائله الى الحارث ونعيم ابني عبد كلال ملكي اليمن والنعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان وقال لهم:"من صلى صلاتنا،وأكل ذبائحنا،فذلك المسلم،له ذمة الله ورسوله،ومن أبى فعليه الجزية "، وكانوا من اليهود والنصارى ومشركي العرب،وفرض عليهم ديناراً واحداً للحالم([١])،وكتب الى المنذر بن ساوى صاحب هجر أن يدعوا أهلها الى الإسلام،وإن أبوا فليئدوا الجزية،فما ان أتاه الكتاب عرض ما عنده من العرب واليهود والنصارى والصابئين والمجوس، فأقروا الجزية([٢])،وصالح أهل مقنا وكانوا يهوداً ،على ربع عروقهم (الحطب)ربع ثمارهم، وربع كراعهم،وربع ما تغزل نسائهم ،وصالحهم بنو نجية على مائة دينار وكانوا يهوداً ،وكتب لهم فيها كتاب([٣])٠

وفرضﷺ الجزية على النصارى ، وكان أول من دفع الجزية منهم نصارى نجران ، أصحاب المباهلة ، ثم أهل تبوك وفرض على كل حالم منهم ديناراً ، وفرض على أهل آيلة النصارى ثلاث مئة دينار ، وأهل وادي القرى ،وأهل أذرح على مائة دينار تؤدى في شهر رجب ،وفرض ديناراً على أهل جرباء ودومة الجندل ، وكتب لجميعهم ([٤]) ٠

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٤ ، ص١٠١٠ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، جـج١ ، ص٨٢ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٨١ ٠

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٨٦ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٣١٣ ؛ ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج٢ ، ص٣٣٠ ٠

(٣) الواقدي ، المغازي ، ج٣ ، ص١٠٣٢ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٧٧ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٧١ ٠

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٩٠ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٧١ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٣٧٢ ٠

وعامل المجوس معاملة أهل الكتاب في الجزية فقط ، ففرضها عليهم في هجر ، وأوصى المسلمين بعدم نكاح نسائهم أو أكل ذبائحهم ،ويروى ان الرسول ﷺ كتب لصاحب هجر بشأن المجوس وقال له : " ان المجوس كانوا أهل كتاب ، لهم نبي فقتلوه ، ولهم كتاب أحرقوه ، وكان نبيهم اتاهم بكتاب باثني عشر الف جلد ثور "([١]) ، وقال النبي ﷺ في جزية المجوس : " سنوا بهم سنة أهل الكتاب " ([٢]) . أما الصابئة فكانوا من القلة في العصر الرسالي فكان وجودهم في الجزيرة العربية بشكل غير واضح ، ولو أنهم عوملوا كالمجوس في هجر وكانوا لا يشكلون مجتمعاً كبيراً ([٣]) ، واختلف الفقهاء فيما بعد ، فمنهم من وضع عليهم الجزية كالمجوس ، ومن عاملهم كعبدة الكواكب من المشركين.

لم يقبل النبي ﷺ الجزية من مشركي العرب لأنهم شرفوا كونهم رهطه ، وانفرد بهذه الرواية ابو يوسف([٤]) ، فأقر عليهم الإسلام أو القتل ، إلا ان هذه الرواية تحتاج الى تحليل ولو بشكل سريع ، فقد ذكر ان الرسول ﷺ بعث خالد بن الوليد الى أكيدر صاحب دومة الجندل وأخذ منه الجزية وهو عربي غساني ، وأخذ الجزية من نصارى نجران ، وهم عرب ، واخذ الجزية من أهل اليمن وهم عرب.

ولعل المقصود برواية أبو يوسف بالعرب هم أهل مكة أو من تيقن بإسلامهم، بدلالة الرسالة التي أرسلها الرسول ﷺ الى صاحب هجر ، وقال له " أما العرب فلا تقبل منهم الجزية ، أما الإسلام أو السيف ، فأسلمت العرب ، فقال منافقوا مكة: عجباً لمحمد يزعم ان الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا ، وقد قبل من مجوس هجر وأهل الكتاب الجزية ، فهلا أكرههم على الإسلام ، وقد ردها على إخواننا من

---

(٥) الشيخ الكليني ، الكافي ، ج٣ ، ص٥٢٨ ؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٨٠ ؛ الشيخ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٢ ، ص٥٤ .

(٦) الإمام مالك ، الموطأ ، ج١ ، ص٢٧٨ ؛ الإمام الشافعي ، كتاب الأم ، ج٤ ، ص١٨٣ ؛ الشيخ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج١ ، ص٥٢ .

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٦٣ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٢ ، ص٣٠ ، ابن كثير ، تفسير بن كثير ، ج٤ ، ص٣١ .

(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج١٠ ، ص٥٦١ ؛

العرب"([1])، أو أنه كان يريد للعرب الخير الأكيد بإسلامهم ،كونهم رهطه ، أو لعله بنى تصوره هذا على رواية جبلة بن الأيهم الملك الغساني لما إنهزمت الروم في اليرموك ، كتب الخليفة عمر بن الخطاب ﷺالى والي الشام يزيد بن ابي سفيان ، "أن اقطع على أرضك الخراج وأداء الجزية ، فقال : إنما يؤدي الجزية العلوج ! وأنا رجل من العرب " ([2])٠

ويروى ان الخليفة عمر بن الخطابﷺ لما أراد أن يوظف الجزية على نصارى تغلب ، لم يرتضوا بها ، وكان الوسيط بينهم والخليفة الصحابي كردوس التغلبي ، فقالوا له نحن عرب نأنف الجزية فأن وظفتها علينا لحقنا بأعدائك الروم ، وأن رأيت أن تأخذ منا ما يأخذ بعضكم من البعض فعلنا(المقصود هنا الزكاة) ، فشاور الخليفة الصحابة بذلك ،فقال له كردوس التغلبي : "يا أمير المؤمنين صالحهم ، فإنك أن تناجزهم لم تطقهم ، فصالحهم على أن يأخذ منهم ضعف ما يؤخذ من المسلمين ، واستمر هذا الصلح في عهد الخلفاء الراشدين(رضي الله عنهم) ([3]) ٠

لعل المراد من هذه النوع الجديد للجزية وقوعه في باب الكرامة اذا بعض الولاة كان يفرض على النصارى علامات تدل على انهم من دافعي الجزية ، حالهم حال غيرهم من غير العرب ، فأنفوا منها ، أو لعل الخليفة أراد من ذلك الحفاظ عليهم ضمن رقعة الدولة الاسلامية ، طمعاً بإجتذابهم وإعتناقهم الاسلام ، فهادنهم مقابل مضاعفة مبلغ الزكاة المفروض على المسلمين ٠

- شرائط الجزية : وضع الإسلام للذمي من أهل الجزية شرائط لا يمكن تجاوزها كونها لا تتفق وتعاليم الدين الإسلامي وهي :

١- يجب أن تكون بعقد رضائي بين الإمام وبين أهل الذمة من أهل الكتاب ٠

٢-أن لا يجاهروا المسلمين بكفرهم ٠

(٣) زيد بن علي ، مسند زيد بن علي ، ص٣٥٥ ؛ الإمام الشافعي ، كتاب الأم ، ج٤ ، ص٢٥٤ ؛ ابن حزم ، المحلى ، ج١١ ، ص١٩٢ ؛ ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج٢ ، ص٣٣٠ ٠

(٤) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ١٤٢ ٠

(١) ابو يوسف ، الخراج ، ص١٤٣ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٢١٧ ، ابن قدامة ، المحلى ، ج٦ ، ص١١١ ؛ السرخسي ، المبسوط ، ج٢ ، ص١٧٨ ٠

٣- أن لا يتناولوا المحرمات في الإسلام مثل الخمر ولحم الخنزير٠

٤-ان لا يسبوا مسلماً ٠

٥- أن لا يعينوا على أهل الإسلام ٠

٦- أن لا يتخذوا بيعة ولا كنيسة ، ولا يعيدوا ما هدم منها ٠

٧- إذا فعل الذمي ما يجب عليه الحد في مما يحرم في شرعهم مثل (الزنا ، السرقة ، القتل ٠٠)، أقيم عليه الحد كونه معاهداً بشرط تجري عليهم أحكام الإسلام على أساس العدالة ٠

ومصدر العادلة الإجتماعية في فرض الجزية تؤشرها الملاحظات الآتية :

١- انها قريبة من الفرائض المالية على المسلمين (الخمس ، الزكاة ، الخراج) ، إذ لم تكن أقل منها ، ويروى أن النبي ﷺفرض على أغلب المعاهدين ديناراً واحداً لكل حالم عاقل ، كما هو حال أهل اليمن ، ودومة الجندل ، وأهل تبوك [1] ٠

٢- انها ضريبة ضئيلة مقابل تأمين الحياة الإجتماعية والإقتصادية ٠

٣- تؤمن الدولة سلامته وعياله ، وسلامة ملكه ، ومساواتهم بالمسلمين ٠

٤- لا تتم الجزية إلا بشروط وعقود يتولاها الإمام أو من ينوبه ٠

٥-فرضت الجزية بدلاً من الإسترقاق ٠

٦- هي بسيطة مقابل إعفاءه من التجنيد والقتال ٠

٧- انها تسقط بالاسلام، اذ لم يكن الهدف منها الإذلال أو جمع المال ،وقوله تعالى :(وَهُمْ صَاغِرُونَ)[2] ، فلعل الصغر هنا الإمتثال لما يفرضه الاسلام من قوانين في هذا المجال ٠

٨- وعنوان عدالتها الرئيس انها لا تفرض على المسن إذا جاوز الخمسين ، والرهبان أصحاب الصوامع ، والنساء ، والأطفال ، والمجانين ، والمرضى ، والعبيد [1] ٠

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٨١ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٨٦ ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٣١٣ ٠

(٢) سورة التوبة ، الآية ٢٩ ٠

تاريخ الجزية :

يروي المؤرخون أن تاريخ الجزية بعيد جداً في الحواضر المتمدنة الكبيرة ، فيذكرون : " ان فرعون كان يأخذ الجزية قبل مجيئ النبي موسى عليه السلام وبعده من بني إسرائيل "([2])

وان ملوك الفرس قبل كسرى أنشروان كانوا يأخذون الثلث أو الربع أو الخمس أو السدس قي الكثير من أنواع الغلات حسب عمارة الأرض ، وفرضوا على كل إنسان ثمانية وستة وخمسة وأربعة دراهم ([3]) ٠

وفرض الرومان الجزية على البلاد التي فتحوها منها بلاد الغال (فرنسا)، وكانت على كل راس ما يعادل تسعة جنيهات الى خمسة عشر جنيهاً ، ووضع اليونانيون الجزية على سواحل آسيا بحدود القرن الخامس قبل الميلاد، وهي أكثر بكثير من جزية المسلمين ([4])، وفرض الرومان أيضاً على أهل مصر أربعة عشر ضريبة أثقلت كاهل المصريين العرب وغير العرب، هذا إذا علمنا إن عدد السكان العرب في مصر قبل الفتح لم يتجاوز الأربعين ألف نسمة([5]) ٠

---

(٣) ابو عبيد ، الأموال ، ص٢٣ ؛ ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج٢ ، ص٢٨٥ ؛ ابن قدامة ، المغني ، ج١٠ ، ص٥٧٢ ٠

(١) الطبري ، تفسير الطبري ، ج٩ ، ص٣٧ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج٦ ، ص٤٥١ ؛ الطبرسي ، مجمع البيان ، ج٤ ، ص٣٣٥ ٠

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج١ ، ص٤٥١ ؛ ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص٤٥٥.

(٣) جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، مصر ١٩٣١م ، ج١ ، ص٢٢٧-٢٢٨ ٠

(٤) أى آشتور ، التاريخ الإقتتصادي والإجتماعي للشرق الأوسط في القرون الوسطى ، ص١٧.

وبنظرة بسيطة الى شروط الجزية نراها تدخل في المجال الإنساني والسياسي والعسكري ، ومجمل مرادها حفظ الإنسان الغير مسلم (من أصحاب الكتاب) وضمان حريته وعدم استعباده كونه خسر الحرب ، ولهذ يرى المؤرخ أي آشتور(١) ، ان المصريين من النصارى الذين كانوا يدفعون الجزية ، ومن ثم أسلموا ، دخلوا الى السوق ومارسوا التجارة والصناعة وحتى دواوين الدولة الاسلامية ، وأصبحوا من كبار التجار وأصحاب رؤوس الأموال .

البعد الإداري وعوامل وحدة الأمة

من أجل إدارة الأمة الجديدة التي بنيت على أنقاض أفكار قديمة وبالية عمادها التسلط والظلم والجور ، لا بد من وضع أسس وفق عوامل جديدة لإدارة أمة موحدة كلفها الله تعالى بقوله ﷻ: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)(٢) ، وقوله ﷻ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)(٣) ، بتحمل أعباء نشر أعظم فكر ورسالة إنسانية للبشرية ، ولعل من أهم عوامل الوحدة هي :

الدين الإسلامي والتوحيد: اتخذ الرسول ﷺ من الإسلام أساسا للأخوة وليس العرق والدم ، لقوله ﷺ : (انما المسلمون أخوة تتكافأ دمائهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم)(٤) ، وقوله ﷺ : (وترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا إشتكى منه عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)(٥) ، أراد الرسول ﷺ من هذا أن

---

(٥) التاريخ الإقتتصادي والإجتماعي للشرق الأوسط في القرون الوسطى ، ص١٦٢

(١) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ ٠

(٢) سورة التوبة ، الآية ١٢٣ ٠

(٣) الحاكم النيسابوري ، المستدرك على لصحيحين ، ج١ ، ص٩٣ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص٣٧٠ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١ ، ص١٤٩ ٠

(٤) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٧ ، ص٧٨ ؛ مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، ج٨ ، ص٢٠ ، الطبرسي ، مجمع البيان ، ج١ ، ص٢٨٨ ٠

ينصهر جميع المسلمين في بوتقة واحدة ، ليصبحوا كالجسد الواحد ، في التواد والتراحم وغيرها من العلائق ، وان تتوحد جهودهم وأهدافهم ، وحركتهم ، ومواقفهم ، الأمر الذي أكد ان النبيﷺ أعد الجميع وفق أسس تربوية ونفسية، وفكرية لجميع فئات المجتمع ، لتستطيع التعايش في مجتمع متكافأ ، وتكون في مستوى المسؤولية التي يؤهلها لها في بناء المجتمع المتكافل المتكامل ، الذي هو نواة الأمة الواحدة ، التي لها رب واحد ، ودين واحد ، وهدف واحد ، ومصير واحد ، ولتصبح هذه الأمة قادرة على نشر الرسالة الإسلامية وحمايتها ، وقادرة على مواجهة التحديات من الداخل والخارج ، وبهذا الفكر عمل الرسولﷺ على توحيد وتسخير كل الطاقات والقدرات الفكرية والمالية ، وغيرها في سبيل خدمة الهدف الذي من أجله بنيت الأمة .

ومن المفيد في هذا الباب ان نذكر بعض الروايات التي توضح معنى الأخوة في الإسلام ،فيروى أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : "يا رسول الله ابتعت عبداً فما أصنع به ؟ ، فقال : أخوك في الإسلام ، لا تكلفه في العمل إلا ما أطاق ، وأطعمه من طعامك ، وأكسه من لباسك "(١) .

ويروي الصحابي سويد بن حنظلة قال : " خرجنا من حضرموت ومعنا وائل بن حجر الكندي(*) ، يريد النبي ﷺ ، فأخذه أعداء له ، فخرج القوم وأرادوا الحلف ،

---

(١) الطبراني ، المعجم الأوسط ، ج٢ ، ص٣٤٥ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج٩ ، ص٨٠.

(*) هو أبو هنيدة وائل بن حجر بن مسروق بن وائل بن ضمعج بن وائل بن ربيعة الحضرمي الكندي ، احد كبار الملوك ، وفد على النبي ﷺ لما سمع بظهوره ،ولما وصل المدينة رحب به الرسول ﷺ ، وأمر معاوية بن أبي سفيان أن ينزله ،فمشى معه حافياً ، فقال له معاوية : إلق الي نعلك ، قال لا ، أني لم أكن لألبسها وقد لبستها ، قال فأردفني ، قال : لست من أرداف الملوك ، قال : أن الرمضاء أحرقت قدمي ، قال : أمش في ظل ناقتي كفاك بها ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٣٤٩ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٣ ، ص٤٣٤ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ج٢ ، ص٢٣٠ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٢٣٠ .

فحلفت بالله أنه أخي ، فخلى عنه العدو ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : "صدقت المسلم أخو المسلم " (١)٠

عد النبي ﷺ مضمون الأخوة إغناء للمضمون الروحي للإسلام وأشبع الحياة الخصبة والعنيفة والقوية ، التي وهبت هذا الدين البقاء ، وزاد من إشباع النوازع الروحية لنفوس المسلمين ٠

مركزية السلطة : لعل من أهم العوامل التي عملت على ضبط إدارة الدولة هي مركزية قيادة النبي ﷺ لمعظم مفاصل الإدارة للدولة ، فهو النبي ﷺ أي القائد الروحي ، والمشرع ، والحاكم ، والقائد العسكري ، والمنظم للحياة الإجتماعية ، وضابط سلوك الأفراد ، الى غير ذلك من الأمور الإدارية ٠

فمن مسؤوليات قائد الأمة تصريف أمور الرعية ، ورعاية شؤونها ، وإدارتها ، أو الوصول بها الى أفضل السبل وأجداها في دفع الأخطار الكبرى عنها ، وحل المعضلات التي توجهها ، وكذلك المسؤولية الكاملة في تربية الأمة الصالحة ؛ ورعاية شؤونها الروحية وتزكيتها ، وبعث السجايا الكريمة في نفوس أبنائها جماعات وأحاداً ، هذا فضلاً عن رعاية العلاقات الروحية فيما بين أفراد وجماعات الأمة، لتبقى سليمة وحميمة ،وقائمة على أسس قوية وثابتة ٠

كما انه ﷺ كان يراعي الشؤون المادية للمسلمين من خلال التشريعات، بل انه أنفق ماله الخالص في سبيل بناء الأمة ، ونراه ﷺ أقطع بعض الصحابة من أرباب الغناء في الحرب ، وممن لهم آثار مشهودة بالجهاد ،أرضاً لتكون أسس لبناء الأمة ، وبناء قيادات مستقبلية ٠

فيروى أن النبي ﷺ اقطع العديد من الصحابة (رضي الله عنهم)، فاقطع الزبير بن العوام أرضا فيها نخل ،واقطع بلال بن الحارث المزني أرضاً في العقيق فيها معدن ، واقطع فرات بن حيان العجلي أرضاً في اليمامة ، واقطع ابو بكر الصديق

---

(٢) الإمام أحمد ، مسند احمد بن حنبل ، ج٤ ، ص٧٩ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٤ ، ص١٤٠ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج٤ ، ص٣٩٩ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٢٧٧ ٠

وأبا دجانة سماك بن خرشة الساعدي وعمر بن الخطاب وربيعة الاسلمي أرضاً ، واقطع علي بن أبي طالب أرضا تسمى القفيرين وبئر قيس والشجرة وارضاً بذي العشيرة ، واقطع عبيدة بن الحارث والطفيل وأخويه أرضاً قرب المدينة ، وأقطع ثور بن عروة أرضاً في بني قشير ، واقطع سمعان بن عمرو بن حجر الأسلمي أرضاً ، واقطع زيد الخير الطائي أرضا ([1]) ٠

ويجدر بنا الإشارة الى أن النبي ﷺ لم يقطع الأراضي التي تحت سيطرته ، وإنما أقدم على إقطاع أراضي ما زالت في قبضة العدو ، وخارج نفوذ الدولة الإسلامية الفتية ، فيروى أن الرسول ﷺ اقطع الصحابي أبا ثعلبة الخشني أرضاً ما زالت بيد الروم البيزنطيين ، واقطع تميم الداري قرية في بيت لحم قبل تحرير بلاد الشام ، واقطع لأبيض بن حمال المازني ملح مأرب([2]) ٠

ومن نافلة القول أن الرسول ﷺ كان صاحب القرار الأول والأخير، وهو حر التصرف فيما ملكه إياه الله تعالى ، يضعه حيث يشاء ويعطيه لمن يشاء ، وهو السديد المسدد العارف بمستجدات الأمور ٠

اللغة العربية : أنزل الله تعالى القرآن الكريم باللغة العربية دون غيرها من اللغات ، وكانت لغة قريش هي أوسط اللغات (اللهجات) العربية ، كونها تتميز عن غيرها من اللغات ، مما يجعلها أشرف اللغات ، وأقدرها على استيعاب المعاني ، أو التعبير عنها ، كون هذه اللغة وعلومها(النحو –البيان– الصرف – المعاني –البديع٠٠)([3])

---

(١) ابو يوسف ، الخراج ، ص٦١–٦٢ ؛الإمام الشافعي ، كتاب الأم ، ج٢ ، ص٤٦ ؛ ابو عبيد ، الأموال ، ص٢٨٦–٢٨٧ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص١٠٤؛ البلاذري ، فتوح البلدان ص١٨–٢٧ ؛الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٣ ، ص١٤٥–١٤٦ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٠١ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٨٠ ٠

(١) الإمام الشافعي ، كتاب الأم ، ج٤ ، ص٤٣ ؛ ابو عبيد ، الأموال ، ص٢٨٧–٢٨٩ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص ٥٢٣ ؛ خليفة بن خياط ، طبقات خليفة بن خياط ، ص٢٠٧ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٢ ، ص٥٩ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٨٨ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص٤٦ ٠

(٢) الإمام الشافعي ، كتاب الأم ، ج١ ، ص٥ ؛ الثعالبي ، تفسير الثعالبي، ج١ ، ص٥٢٧ ؛ الطوسي ، الآمالي ، ص٩ ؛ ٠

قادرة على التغيير ،وفهم القرآن وعلومه (الناسخ والمنسوخ –المقيد والمطلق – الخاص والعام – المكي والمدني – القراءآت) ، وعلوم الشريعة (الأصول– الفقه – الرجال – الدراية) ، ولو ان القرآن أنزل للناس كافة وهداية للعالمين ، ولا يختص بقوم دون قوم ، إلا ان الجماعات الأولى التي خاطبها الله تعالى هم العرب ، وأراد تعالى ان تكون أمة العرب القاعدة التي ينطلق منها الاسلام ،وبعيداً عن (الأنا) هذا شرف كبير وحد المسلمين الأوائل ، ولنزول القرآن باللغة العربية لعدة أسباب منها :

١- اللغة العربية عامل مهم في استجابة العرب للإسلام والقرآن : ولو انه أنزل بغير لغة لكان من الممكن أن لا يستجيب له العرب([1]) ، بسبب عامل التعصب الذي كان يعيشه العرب في الجاهلية ، تشير اليه بعض الآيات القرآنية كقوله ﷻ :(وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ)([2]) ، وقوله ﷻ :(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ)([3]) .

٢- التفاعل الروحي أفضل مع لغة القوم : ان التفاعل الروحي والنفسي الكامل مع الهداية والنور والمفاهيم القرآنية ، يتحقق إذا كان الكتاب بلغة القوم ، الذي يراد التغيير فيهم ، لأن مخاطبة الأحاسيس والمشاعر يكون من خلال اللغة نفسها ، و يتفاعل مع العقل والتفكير المنطقي ،ولعل هذا السبب يمثل خلفية السنة الإلهية في إختيار الأنبياء (عليهم السلام)([4]) لكل قوم من أولئك الأفراد الذين يتكلمون لغة القوم نفسها ، حتى تكون الحجة أقوى وابلغ على أقوامهم ،وتكون قدرتهم على

---

(١) ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج٦ ، ص٥١ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عجم) ، ج١٢ ، ص٣٨٧ .

(٢) سورة الشعراء ، الآيتين ١٩٨-١٩٩ .

(٣) سورة فصلت ، الآية ٤٤ .

(٤) الإمام الشافعي ،محمد بن إدريس المطلبي (ت٢٠٤هـ) ، الرسالة ، تحقيق أحمد محمد شكر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لا.ت ، ص٤٥ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص٣٤ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج٣ ، ص٢١٤ .

التأثير أكثر ، بل ذهب الامام ابو حنيفة الى أبعد من ذلك بقوله "أن القرآن لو لم يكن عربياً لا يكون قرآناً "([1]) لقوله ﷻ : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)([2]) ، وقوله ﷻ :(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)([3]) ٠

٣- التحدي إنما يكون بلغة القوم : ان القرآن الكريم كان معجزة ببيانه وأسلوبه ، وحتى مضمونه ،وهذا لا يمكن تحقيقه إلا بلغة القوم ، كون التحدي إعجاز بطبيعته([4]) ، ويكون مقبولاً إذا كان بلغة القوم ، ومن غير الممكن ان تتحدى من يتكلم بلغة وتأتي بكتاب من لغة أخرى ، لقوله ﷻ :(وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)([5]) ، وقوله ﷻ : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)([6]) ، ويأتي هذا الإعجاز تبعاً لما يوليه ذلك العصر للبيان والبلاغة([7]) ، وهذا له الأثر الكبير في الخضوع النفسي لهؤلاء العرب ، وهذ لا يتناقض مع مصطلح الأميين التي ورد ذكره سلفاً ٠

٤- اللغة طريق التصور الكامل للرسالة : إذ لا يمكن استيعاب المضمون الكامل للرسالة في مراحلها الأولى ، خصوصا إذا أخذنا بنظر الإعتبار الى أسلوب التخاطب وارتباطه بمضامين ترتبط بقضايا ومفاهيم بعيدة عن تصورات الإنسان

---

(٥) القطب الراوندي ، قطب الدين ابو الحسين هبة الله الراوندي ، (ت٥٧٣هـ) ، فقه القرآن ، تحقيق أحمد الحسيني ، مطبعة الولاية ، قم ١٤١٥هـ ، ج١ ، ص١١٤ ٠

(١) سورة إبراهيم ، الآية ٤ ٠

(٢) سورة الشورى ،الآية ٧ ٠

(٣) الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص٧ ؛ الطبرسي ، تفسير مجمع البيان ، ج٣ ، ص١٤٢ ؛

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٣ ٠

(٥) سورة يونس ، الآية ٣٨ ٠

(٦) الطبري ، تفسير الطبري ، ج١ ، ص٣ ؛ ابن خلدون ، تاريخ بابن خلدون ، ج١ ، ص٥٥٠.

الجاهلي المعاصر لنزول القرآن ، لارتباطها بعالم الغيب والعقيدة ، وطرح مفاهيم إنسانية واجتماعية ،تمثل طفرة في هذه المفاهيم ،ونلاحظ أحياناً ان القرآن الكريم يضطر أحياناً من أجل أن يشرح المفهوم ويقربه الى الأذهان ، فيستخدم صور متكررة واحدة بأساليب مختلفة لتكون منطلقاً لفهمها عند الأمم الأخرى ، كقوله : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ * وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ)(1) ، ولعل تأكيد القرآن ووصفه باللسان العربي إنما اعتبار الإشارة الى أهمية لغة المخاطبة في توضيح الحقائق والإلتزام بالحجج والتأثير النفسي(2) .

٥- الشعر ديوان العرب : في الشعر تاريخ العرب ، وآثارهم ، وفيه يفتخرون ،ويمتدحون ،ويرغبون ، ويرهبون ، هذا القول المأثور لابن عباس رضي الله عنه : " عليكم بشعر الجاهلية " ، الذي يعد أول علوم العرب في الحجاز ، وهذا بيان بضرورة تعلم الشعر ، كونه رابطة مهمة في تعضيد الوحدة ، وقال رضي الله عنه : " إذا سألتموني غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب " ، وقال رضي الله عنه : "إذا خفي علينا حرف من القرآن الذي أنزله الله تعالى بلغة العرب ، رجعنا الى ديوانها فلتمسنا ذاك منه " (3) .

---

(١) سورة الأحقاف ، الآيتين ١١-١٢ .

(٢) الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢٦ ، ص١٨ ؛ النحاس ، معاني القرآن ، ج١ ، ص٤١ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٦ ، ص١٩١ ، آغا بزرك الطهراني ،الذريعة ، ج١٤ ، ص١٨١ .

(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٣٣٠ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج٣ ، القرطبي ، ص٨٦٢ ؛ تفسير القرطبي ، ج١ ، ص٢٤ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج١ ، ص٥٩٣ ؛ الثعالبي ، تفسير الثعالبي ، ج١ ، ص٥١ .

الخاتـــــمة

بعد توفيق الله وعونه وفي نهاية البحث الموسوم دراسات في الفكر الإداري والسياسي للنبي ﷺ في تأسيس الدولة الإسلامية ، تم التوصل الى أهم الإستنتاجات وهي :

١- أثر العامل الجغرافي والإقتصادي والديني والعلمي في تكوين شخصية الإنسان في المجتمع الحجازي ، إذْ شكلت منظومة من القيم الإجتماعية إنعكست بشكل سلبي على نشر الدين الاسلامي في مكة وما حولها في بادئ الأمر ، وإسهامات النبي ﷺ في تقويمها ومعالجتها بشكل يتفق مع الفكر الحضاري الجديد ٠

٢- إسهامات النبي ﷺ في تكوين الشخصية الإسلامية للفرد والأمة ، من خلال تبني أنماط سياسية وفكرية وإجتماعية جديدة في مجالات العقيدة والنبوة والقيادة والسيادة.

٣- ناقش البحث بعض المحطات المهمة في الفكر السياسي للرسول من خلال (حلف الفضول وانعقاده في دار عبد الله بن جدعان ،وأهمية دار الأرقم ، وعدم وجود سرية للدعوة الإسلامية ، وبطلان رواية ابن الكلبي في زيارة النبي ﷺ للأصنام ، وثبوت عصمته) ٠

٤- ثبوت تشريعات النبي ﷺ الإقتصادية على أنها ليست للأغراض المعيشية حسب وأنما سخرها لأغراض عقائدية وسياسية، وان الدين هو ليس لغرض عبادي فقط ، وانما هو دين ودولة ٠

٥- خاطب ﷺ الإباطرة والملوك وراسلهم على أنه رئيس دولة ، ويمتلك الحق في تنصيب بعضهم في قيادة دولهم ٠

٦- أسس دولة عالمية نموذجية موحدة عمادها سيادة العدل والحق ، وعم نورها كل البسيطة على أنقاض بيئة مشتتة متحاربة مليئة بالمفارقات ٠

هذا جهدي أعتقد بصواب ما ورد فيه هو من الله تعالى ، وان كان فيه من لخطاً شئ فأني من البشر ،ذاكراً قوله ﷺ : " كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون " ٠

المصادر التاريخية

القرآن الكريم

ابن الأثير ، ابو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ ١٢٠٨م) ٠

النهاية في غريب الحديث والأثر، تعليق صلاح محمد عويضة ، دار الكتب العلمية ،بيروت١٩٧٩م ٠

ابن الأثير ، ابو الحسن عز الدين علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ- ١٢٣١م)٠

أسد الغابة في معرفة الصحابة ، جمعية المعارف ، طهران ١٣٨٤هـ ٠

الكامل في التاريخ ، تحقيق ابو الفداء عبد الله الصافي دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٥ ٠

احمد بن حنبل ، الإمام احمد بن محمد بن احمد الشيباني الوائلي (ت٢٤١هـ -٨٥٥م) ٠

مسند احمد ، دار صادر ، بيروت ١٩٨٨م ٠

فضائل الصحابة ، تحقيق وصي الله محمد عباس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٣م٠

العلل ومعرفة الرجال ، تحقيق وصي الله محمد عباس ، المكتب الإسلامي ،بيروت١٤٠٨هـ٠

الإدريسي ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله(ت٥٦٠هـ -١١٦٥م) ٠

نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ، عالم الكتب ، بيروت١٩٨٩م ٠

الأربلي ، ابو الفتح علي بن عيسى بن ابي الفتح (ت٦٩٣هـ - ١٣١٥م) ٠

كشف الغمة في معرفة هذه الأمة ، دار الأضواء ، بيروت ١٩٨٥م ٠

الأزرقي ،ابو الوليد محمد بن عبد الله بن الوليد (ت٢٥٠هـ -٨٦٤م)٠

تاريخ مكة وما جاء بها من آثار ، مكة المكرمة ١٣٥٢هـ ٠

الاستراباذي ، وفي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت٦٨٦هـ ١٣٠٨م) ٠

شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن وآخرون ، دار الكتب العلمية،بيروت ١٣٩٥هـ ٠

الإسكافي ، ابو جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي السمرقندي (ت ٢٤٠هـ-٨٥٤م) ٠

المعيار والموازنة ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، الهند ١٣٩٩هـ

الأصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ - ٩٧٦م) ٠

كتاب الأغاني ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ٠

الأصبهاني ، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي (ت٥٣٥هـ -١١٤٠م) ٠

دلائل النبوة ، تحقيق محمد محمد الحداد ، دار طيبة ، الرياض ١٤٠٩هـ٠

ابن ابي أصيبعة ، موفق الدين أحمد بن ابي اصيبعة القاسم بن خليفة (ت ٦٦٨هـ- ١٢٩٠م) ٠

عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،لات٠

الآمدي ، علي بن محمد (ت٦٣١ هـ - ١٢٣٣م) ٠

الإحكام في أصول الأحكام ، مطبعة النور ، دمشق ١٤٠٢هـ٠

الإيجي ، عبد الرحمن بن احمد (ت٧٥٦هـ -١٣٥٥م) ٠

كتاب المواقف ، تحقيق عبد الرحمن عميرة ، در الجيل ، بيروت١٩٩٢م

الباقلاني ، ابو بكر محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ - ١٠١٢م) ٠

إعجاز القرآن ، تحقيق احمد الصقر ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٤م ٠
البحراني ، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم (ت ق٦هـ/ ق ١٢م) .
على المائة كلمة ، تحقيق جلال الدين الحسيني ،قم ١٣٩٥هـ
البخاري ،ابو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة(ت٢٥٦ هـ - ٨٧٠م) ٠
الجامع الصحيح ،المعروف(صحيح البخاري)،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت ١٩٨١ ٠
التاريخ الكبير، تحقيق هاشم الندوي ، المكتبة الاسلامية ، ديار بكر ،لات ٠
ابن البراج ، عبد العزيز بن البراج الطرابلسي (ت٤٨١هـ-١٠٨٨م) ٠
جواهر الفقه ، تحقيق ابراهيم بهادري ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ١٤١١هـ ٠
البرقي ، ابو جعفر احمد بن محمد (ت٢٧٤هـ-٨٨٧م) ٠
كتاب المحاسن ، تحقيق جلال الدين الحسيني ، دار الكتب الاسلامية ، طهران١٣٣٠هـ
ابن بطوطة ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللتواني (ت٧٧٩هـ- ١٣٧٨م) ٠
تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة) ، تحقيق عبد المنتصر الكتاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت١٤٠٥هـ ٠
البغدادي ، ابو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٢٩هـ- ١٠٣٧م) ٠
الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت١٩٧٧م ٠
البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي (ت٤٨٧هـ- ١٠٩٤م) ٠
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، دار الكتب ، بيروت ١٤٠٢هـ ٠
البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ-٨٩٢م) ٠
فتوح البلدان ، مطبعة لجنة البيان العربي ، بيروت ١٣٧٩هـ ٠
البيهقي ، احمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ-١٠٦٦م) ٠
الاعتقاد والهداية ، تحقيق احمد عصام الكاتب ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت١٤٠١هـ
الترمذي ، ابو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ -٨٩٢م) ٠
سنن الترمذي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٣م ٠
التنوخي ، القاضي ابو علي الحسن بن ابي القاسم (ت٢٨٤هـ-٩٤٤م) ٠
الفرج بعد الشدة ، دار الكتب المصرية ١٣٦٤هـ
الثعالبي ،ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المالكي(ت ٨٧٥هـ - ١٤٩٧م)٠
تفسير الثعالبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) ،تحقيق عبد الفتاح ابو سنة وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤١٨هـ٠
الجرجاني ، ابو احمد عبد الله بن عدي (ت ٢٦٥هـ -٨٧٢م) ٠
الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٩هـ٠
الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (ت٨١٦هـ-١٤١٢م) ٠

التعريفات ، تحقيق ابراهيم الأنباري ، جدار الكتاب ، بيروت١٤٠٥هـ٠
الجصاص ، ابو بكر احمد بن علي الرازي (ت٣٧٠هـ -١٢٤٢م) ٠
أحكام القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥هـ ،
ابن الجوزي ، ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي (ت٥٩٧هـ-١٢٠٠م)٠
المنـتظم فـي تـاريخ الملـوك والأمـم، تحقيـق محمـد ومصـطفى عبـد القـادر السـقا، دار الكتـب العلمية ، بيروت ١٩٩م٠
الموضوعات ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية،المدينة المنورة ١٣٨٦ ٠
زاد المسير في علم التفسير ، تحقيق محمد عبد الرحمن ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٧هـ٠
تنوير الغبش في فضل السودان والحبش ، تحقيق محمد بركات ، دار جامعة أم درمان الاسلامية للطباعة والنشر ١٩٩٣م ٠
صفة الصفوة ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٩م.
الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ -١٠٠٢م) ٠
الصحاح في تاج اللغة وصحاح العربية ،أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين ، بيروت ١٤٠٧هـ ٠
الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبد الله بن حمدويه (ت ٤٠٥هـ - ١٠١٤م) ٠
المستدرك على الصحيحين ، تحقيق موسى المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٦هـ٠
ابن حبان ، ابو حاتم محمد بن حبان بن احمد البستي (ت٣٥٤هـ - ٩٦٥م) ٠
صحيح ابن حبان ، تحقيق شعيب الارناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٩٢م ٠
الثقات ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ١٣٩٣هـ ٠
ابن حبيب ، محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ-٨٥٩م) ٠
كتاب المحبر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ،الهند الدكن ٠
المنمق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد احمد فاروق ، دار الكتب ، بيروت ١٩٦٣م ٠
ابن حجر ،شهاب الدين احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ- ١٤٤٨م)٠
فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ٠
الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق عادل احمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت١٤١٥هـ ٠
ابن أبي الحديد ، ابو حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسن(ت٦٥٦هـ-١٢٥٨م) ٠
شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، بيروت ١٩٦٧م ٠
ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي (ت٤٥٦هـ- ١٠٦٣م)٠
الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،لات٠

المحــلى ، تحقيق احمد محمد شكر ، دار الفكر ، بيروت ١٣٥٢هـ ٠
الأحكام في أصول الأحكام ،تحقيق احمد شاكر، مطبعة العاصمة ، القاهرة ١٣٤٥هـ٠
الحلي ، ابو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (ت ٧٢٦هـ- ١٣٢٥م)٠
مختلف الشيعة ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ١٤١٣هـ ٠
الحلي ، ابو جعفر محمد بن علي بن منصور ابن إدريس (ت٥٩٨هـ- ١٢٠١م) ٠
كتاب السرائر ، دار النشر الإسلامي ، قم ١١٠ هـ
الخطيب البغدادي ، ابو بكر علي بن احمد (ت٤٦٣هـ - ١٠٤٣م) ٠
الكفاية في علم الرواية ، تحقيق أحمد عمر هاشم،دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥م ٠
تاريخ بغداد ،تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ٠
ابن خلدون،أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي(ت٨٠٨هـ-١٤٠٦م)٠
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المسمى تاريخ ابن خلدون ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت،لات
خليفة بن خياط ، ابو عمر خليفة بن خياط العصفري البصري (ت٢٤٠هـ - ٨٥٤م) ٠
طبقات خليفة بن خياط ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ١٩٩٣م
تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق سهيل زكار ،دار الفكر ، بيروت ١٤١٤هـ ٠
الدارمي ، عبد الله بن بهرام (ت٢٥٥هـ - ٨٦٩م) ٠
سنن الدارمي ، مطبعة الإعتدال ، دمشق ١٣٤٩هـ ٠
ابو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ - ٨٨٧م) ٠
سنن ابي داود ، تحقيق سعيد محمد اللحام ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٠م ٠
ابن ابي الدنيا ، عبد الله بن محمد بن سفيان القرشي الأموي (ت ٢٨١هـ - ٨٤٥م) ٠
كتاب الهواتف ، دار الهلال القاهرة ، لا.ت ٠
الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ - ١٣٤٧م) ٠
سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الإرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٢هـ ٠
الفخر الرازي ، ابو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت٦٠٦هـ ١٢٠٨م)٠
عصمة الأنبياء (عليهم السلام) ، مجموعة كراريس في خزانة الرباط ، المجموعة ١١٨٠ كتاني ٠
مفاتيح الغيب المسمى (تفسير الرازي) ،ترتيب سعيد الأنصاري،المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٠٨هـ ٠
الراوندي ، قطب الدين ابو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن (ت٥٧٣هـ -١١٧٧م) ٠
الخرائج والجوائح ، المطبعة العلمية ، قم ١٤٠٩هـ ٠
فقه القرآن ، تحقيق محمد الحسني ، مطبعة الولاية ، قم ١٤٠٥هـ ٠
الزبيري ، ابو عبد الله مصعب (ت٢٣٦هـ -٨٥٠م) ٠

نسب قريش ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٣م
الزبيدي ، محمد مرتضى بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني(ت١٢٠٥هـ-١٧٩٠م) ٠
تاج العروس في جواهر القاموس ،مكتبة الحياة ، بيروت ، لا.ت، ٠
الزرندي ، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن الحنفي (ت ٧٤٧هـ -١٣٤٦م)٠
نظم درر السمطين ، مكتبة أمير المؤمنين العامة ، النجف ١٩٥٨م ٠
الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر (ت٥٨٣هـ -١١٤٤م) ٠
الفائق في غريب الحديث ، تحقيق ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٦م ٠
زيد بن علي ،زيد بن علي بن الحسين بن علب بن ابي طالب القرشي (ت ١٢٢ هـ-٧٤٠م) ٠
مسند زيد بن علي ، دار الحياة ، بيروت ، لا. ت .
الزيلعي ، جمال الدين ابو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد (ت٧٦٢هـ- ١٣٦٠م) ٠
نصب الراية لأحاديث الهداية ، تحقيق أيمن صالح شعباني ، دار الحديث ، القاهرة ١٩٩٥م٠
السرخسي ، ابو بكر شمس الدين محمد بن احمد بن سهيل الحنفي (ت ٤٨٢هـ- ١٠٩٠م) ٠
المبسوط ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٦ هـ ٠
ابن سعد ، ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ- ٨٤٥م) ٠
الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ،لات ٠
السمعاني ، ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ -١١٦٧م) ٠
الأنساب ، تحقيق عبد الله عمر البارودي ، دار الجنان ، بيروت ١٤٠٨هـ ٠
السمهودي ، نور الدين علي بن عبد الله بن احمد الحسني (ت ٩١١هـ- ١٥٠٥م) ٠
وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى، المسمى (تاريخ المدينة) ، مصر ١٣٢٦هـ ٠
ابن سيد الناس ، فتح الدنيا ابو الفتح محمد بن عبد الله بن أحمد بن سيد الناس الشافعي (ت ٧٣٤هـ - ١٣٣٤م)٠
عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠١هـ ٠
ابن سلام ، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الازدي (ت٢٢٤هـ - ٨٣٨م) ٠
كتاب الأموال ، صححه وعلق هوامشه محمد حامد الفقي ، مكتبة التجارة الكبرى ، القاهرة١٣٥٣هـ ٠
السهيلي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد (ت٥٨١هـ- ١١٨٥م) ٠
الروض الأنف ، المطبعة الجمالية ، مصر ١٩١٤م
السويدي ، ابو الفوز محمد أمين بن علي بن محمد سعيد البغدادي (ت١٢٤٦هـ - ١٨٣١م) ٠
سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب ، المطبعة العلوية ، بغداد ١٣٥٤هـ ٠
السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق (ت٩١١هـ- ١٥٠٥م) ٠
لباب العقول في أسباب النزول،تحقيق احمد عبد الشافي،دار الكتب العلمية،بيروت،لا.ت.
الدر المنثور (ويهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس)،دار المعرفة للطباعة،جدة ١٣٦٥هـ ٠
تفسير الجلالين ، دار المعرفة ، بيروت ،لا.ت،

الشافعي ، الإمام ابو عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ- ٨٢٠م) ٠
كتاب الأم ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٤٠٠هـ ٠
الرسالة ، تحقيق أحمد محمد شكر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لا.ت ٠
ابن شبة النميري ، ابو زيد عبيد بن ريطة البصري (ت٢٦٢هـ- ٨٧٦م) ٠
تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، دار الفكر ، بيروت ،لات٠
الشريف الرضي،ابو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الحسيني العلوي(ت٤٠٦هـ- ١٠١٥م)٠
المجازات النبوية ، تحقيق طه محمد الزيني،مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٩٣٧م٠
الشريف المرتضى ، ابو القاسم علي بن طاهر بن احمد الحسيني (ت ٤٣٦هـ-١٠٤٤م) ٠
الأمالي ، تحقيق احمد عبد الأمين الشنقيطي ، مطبعة النجفي ، قم ١٤٠٢هـ.
رسائل المرتضى ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٤٠٥هـ٠
ابن شهر آشوب ، ابو جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت٥٨٨هـ- ١١٩٢م)٠
مناقب آل أبي طالب ،المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٧٦هـ ٠
الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد (ت٥٤٨هـ- ١١٥٣م) ٠
الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلان ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٤هـ ٠
الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٥هـ- ١٨٣٤م) ٠
نيل الاوطار في أخبار سيد الأخبار ، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٣م ٠
فتح القدير ، عالم الكتب ، بيروت ، لات ٠
ابن ابي شيبة الكوفي،عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عثمان العبسي (ت٢٣٥هـ-٨٤٩م)٠
مصنف ابن ابي شيبة ، تحقيق سعيد اللحام ، دار الفكر ، بيروت١٤٠٩هـ ٠
الصالحي الشامي،شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت ٩٤٢هـ-١٥٣٦م)٠
سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق عادل احمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٤هـ ٠
الصدوق ، الشيخ ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ-٩٩١م) ٠
من لا يحضره الفقيه ، تحقيق علي اكبر غفاري ، جامعة المدرسين ، قم ١٤٠٤هـ ٠
الآمالي ، نشر مؤسسة البعثة ، بيروت ١٤١٧هـ ٠
علل الشرائع ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٩٦٦م ٠
معاني الأخبار، تحقيق علي غفاري ، جامعة المدرسين ، قم ١٣٦١هـ ٠
التوحيد ، تحقيق هاشم الحسني ، الهند ١٣٢١هـ ٠
الخصال ، تحقيق علي أكبر الغفاري ،قم ١٤٠٣هـ
الصنعاني ، عبد الرزاق بن همام (ت٢١١هـ -٨٢٧م) ٠
تفسير القرآن ، تحقيق مصطفى مسلم محمد ، مكتبة الرشيد ، الرياض١٤١٠هـ ٠

الضحاك ،ابو عاصم أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني (ت٢٨٧هـ- ٩٠٠م) ٠

الآحاد والمثاني ، تحقيق باسم فيصل الجوابرة ، دار الراية للطباعة ، الرياض ١٩٩٠م

الطبراني ، سليمان بن احمد بن ايوب اللخمي (ت٣٦٠هـ - ٩٧١م) ٠

المعجم الكبير ، تحقيق حمدي عبد الحميد السلفي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٧هـ ٠

المعجم الأوسط ، تحقيق ابراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، جدة ١٩٩٥م

الأحاديث الطوال،تحقيق مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية،بيروت ١٩٩٢م٠

الطبرسي ، ابو علي أمين الدين الفضل بن الحسن بن الفضل (ت٥٤٨هـ- ١١٥٣م) ٠

تفسير جوامع الجامع ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ١٤١٨هـ ٠

أعلام الورى بأعلام الهدى ، دار إحياء التراث ، قم١٤١٧هـ٠

الطبرسي ، محمد بن علي بن حمزة الطوسي (ت٥٦٠هـ -١١٦٥م) ٠

الإحتجاج على أهل اللجاج،تحقيق محمد باقر ، مطبعة دار النعمان،النجف ١٩٦٦ م.

الطبري ،أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ -٩٢٢م) ٠

تاريخ الأمم والملوك، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٧٩م ٠

المنتخب في كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين،مؤسسة الاعلمي للطباعة،بيروت ١٩٣٩م.

جامع البيان في تأويل آي القرآن ، المسمى (تفسير الطبري) ، تحقيق صدقي جميل العطار ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٥هـ٠

الطريحي ، فخر الدين بن محمد بن علي بن علي بن طريح الرماحي النجفي (ت١٠٨٥هـ-١٦٧٤م)٠

مجمع البحرين ، تحقيق أحمد الحسيني ، النجف ١٣٧٥هـ ٠

الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ-١٠٦٧م) ٠

عدة الأصول ، تحقيق محمد رضا الأنصاري ، مطبعة ستارة ، قم١٤١٧هـ ٠

الغيبة ، تحقيق علي احمد ناصح ، المطبعة الحيدرية النجف ١٤١١هـ ٠

التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق احمد حبيب نصير،دار احياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٩هـ ٠

الإقتصاد الهادي الى طريق الرشاد ، تحقيق حسن سعيد ، مكتبة جامع ، قم ١٤٠٠هـ.

الطوسي ، عماد الدين ابو جعفر محمد بن علي (ت٥٦٠هـ-١١٦٥م) ٠

الثاقب في المناقب ، تحقيق نبيل رضا علوان ، مطبعة الصدر ، قم ١٤١١هـ ٠

ابن طيفور ، ابو الفضل بن ابي طاهر (ت٢٨٠هـ -٨٩٢م) ٠

بلاغات النساء ، مكتبة بصرتي ، قم ١٤٠٥هـ ٠

ابن عبد البر ، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري (ت ٤٦٣هـ)٠

الإستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي،دار الفكر ،بيروت١٤١٢هـ٠

ابن عبد ربه ،ابو عمر احمد بن محمد الاندلسي(ت ٣٢٨هـ-٩٤٠م) ٠

العقد الفريد ، تحقيق احمد أمين واحمد الزين وابراهيم الانباري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٢م٠

العجلي ، احمد بن عبد الله (ت ٢٦١- ٨٧٥م) ٠

معرفة الثقات ، مكتبة الدار ' المدينة المنورة ١٤٠٥هـ٠
ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت٥٧١هـ -١١٧٦م) ٠
تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٥ ٠
ابن عنبة ، جمال الدين احمد بن علي الحسيني (ت٨٢٨هـ - ١٤٢٤م) ٠
عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، تحقيق محمد حسن الطالقاني،المطبعة الحيدرية النجف١٩٦١م ٠
عياض ، القاضي ابو الفضل عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ - ١١٤٩م) ٠
الشفا(بتعريف حقوق المصطفى) ، دار الفكر ، بيروت ،١٤٠٩هـ٠
الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ-١١١١م)٠
قواعد العقائد ، تحقيق موسى بن نصر ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٥م ٠
المنخول في تعليقات الأصول ، تحقيق محمد حسن هيتو ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٩هـ٠
المستصفى في علم الأصول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٧هـ
الفراهيدي ، ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ -٧٨٦م) ٠
كتاب العين ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، مؤسسة الهجرة للطباعة ١٤٠٩هـ ٠
الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧ هـ /١٤١٥م) .
القاموس المحيط ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٨م
ابن قتيبة الدينوري ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ -٨٨٩م)٠
المعارف ، تحقيق محمد إسماعيل السلفي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٧٠م ٠
عيون الأخبار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٥٤هـ ٠
ابن قدامة ، شمس الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن احمد المقدسي (ت٦٨٢هـ-١٢٨٣م)٠
المغنــي، دار الكتاب العربي ، بيروت ،لات ٠
القرطبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري (ت٦٧١هـ -١٢٧٣م) ٠
الجامع لأحكام القرآن المسمى(تفسير القرطبي)،دار إحياء التراث العربي،بيروت ١٤٠٥هـ٠
القندوزي ، سليمان بن ابراهيم الحنفي (ت ١٢٩٤هـ- ١٨٧٧م) ٠
ينابيع المودة لذوي القربى،تحقيق سيد علي جمال ، دار الأسوة للطباعة والنشر،استنبول ١٣٠٢هـ ٠
ابن كثير ،ابو الفداء اسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ - ١٣٧٣م)٠
السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت١٣٩٦هـ ٠
البداية والنهاية ، تحقيق علي شيري ، دار احياء التراث العربي ١٩٨٨م٠
الكلاباذي ، ابو بكر بن محمد بن إسحاق البخاري (ت ٣٨٠هـ -٩٩٠م) ٠
التعرف لمذاهب أهل التصوف ، دار الكتب العلمية ، بيروت١٤٠٠هـ ٠
ابن الكلبي ، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ -٨١٤م) ٠
الأصنام ، تحقيق أحمد زكي باشا ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩١٤م ٠
الكليني ، الشيخ ابو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت٣٢٩هـ -٩٤١م) ٠

الأصول من الكافي ، تحقيق علي اكبر غفاري ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ١٣٨٩هـ٠
ابن ماجة ، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥ هـ.٨٩٠م) ٠
سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ١٩٥٤م.
ابن مأكولا ، سعد الملك علي بن هبة الله بن علي بن جعفر (ت٤٧٥هـ - ١٠٨٢م) ٠
الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والألقاب ، تحقيق نايف العباس ، دار الكتب الاسلامية ، القاهرة ،لا.ت ٠
مالك ، الإمام ابو عبد الله مالك بن انس الاصبحي الحميري (ت١٧٩هـ - ٧٩٥م) ٠
المدونة الكبرى ، مطبعة السعادة ، مصر ، لا.ت٠
الموطأ ، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت١٩٨٥م ٠
ابن المبارك ، ابو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (ت١٨١هـ-٧٩٧م) ٠
مسند عبد الله بن المبارك ، تحقيق صبحي البدري ، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٧هـ٠
المتقي الهندي ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ- ١٥٤٥م) ٠
كنز العمال ، تحقيق صفوة السقا وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٥م
مجاهد ، ابو المصباح مجاهد بن جبر المكي المخزومي (ت١٠٤هـ-٧٢٢م) ٠
تفسير مجاهد ، تحقيق عبد الرحيم الطاهر، مجمع البحوث الاسلامية ، اسلام آباد ،لا.ت
المجلسي ، محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود الأصفهاني(ت١١١١هـ -١٧٠٠م) ٠
بحار الأنوار ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ١٩٨٢م ٠
المحب الطبري ، احمد بن عبد الله (٦٩٤هـ- ١٢٩٥م) ٠
ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، مكتبة القدسي ، جمهورية مصر ، القاهرة ١٣٥٦هـ ٠
المنقري ، ابو الفضل نصر بن مزاحم بن سيار التميمي الكوفي (ت٢١٢هـ-٨٢٧م)٠
كتاب التوابين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٣٨٢هـ ٠
المزي ، ابو الحجاج يوسف المزي (ت٧٤٢هـ -١٣٤١م) ٠
تهذيب الكمال ، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٣هـ
المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦ هـ- ٩٥٧م) ٠
التنبيه والأشراف ، تعليق دي خويه ،ليدن ١٨٩٤م ٠
أخبار الزمان وما أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ،المنسوب للمسعودي، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٦م٠
مسلم القشيري ، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ -٨٧٥م) ٠
صحيح مسلم ، دار الفكر ، بيروت ،لا.ت، ٠
ابن معين ، يحيى بن معين بن عون المري الغطفاني (ت٢٣٣هـ -٨٤٨م) ٠
تاريخ ابن معين ، تحقيق احمد عبد الله حسن ، دار القلم ، بيروت ،لات،

المفيد ، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن النعمان بن سعيد بن جبير (ت٤١٣هـ -١٠٢٢م) ٠

الجمـل ، المكتبة الحيدرية ، النجف ،لا.ت٠

عصمة النبيﷺ ، دار المفيد ، بيروت ١٤١٤هـ ٠

النكت الإعتقادية ، دار المفيد ، بيروت ١٩٩٣م٠

المقدسي ، محمد بن احمد (ت٣٨٠هـ - ٩٩٠م) ٠

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،تحقيق غازي طليمات،وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق١٩٨٠م٠

المقدسي ، مطهر بن طاهر المقدسي (ت٥٠٧هـ -١١١٢م) ٠

البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٥٣م ٠

المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ - ١٤٤١م) ٠

النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم،تحقيق علي عاشور،المطبعة الإبراهيمية،القاهرة ١٩٣٧م.

المناوي ، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٢٣١هـ-١٦٢١م) ٠

فيض القدير في شرح الجامع الصغير، تحقيق احمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥هـ٠

ابن منظور ، ابو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ -١٣١١م) ٠

لسان العرب ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٥هـ ٠

ابن النديم البغدادي ، ابو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد البغدادي (ت٤٢٨هـ-١٠٤٧م) ٠

الفهرست، مطبعة مهر ، طهران ١٩٧١م ٠

النسائي ، أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي الشافعي (ت ٣٠٢هـ -٩١٥م)٠

خصائص أمير المؤمنين، تحقيق محمد هادي الأميني ، مطبعة نينوى الحديثة ١٣٧٩هـ ٠

النووي ، ابو زكريا يحيى بن مري بن حسن الحزامي الحوراني الشافعي (ت٦٧٦هـ-١٢٧٧م)٠

صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٧هـ

ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري(ت٢١٣هـ-٨٢٨م)٠

السيرة النبوية ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة محمد عبد صبيح وأولاده ، القاهرة ١٣٨٣هـ ٠

الهمداني ، لسان الدين الحسن بن احمد بن يعقوب (ت ٣٣٤هـ/٩٤٧م) ٠

صفة جزيرة العرب ،تحقيق محمد بن علي الاكوع،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد ١٩٨٩م٠

كتاب الإكليل ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٠م٠

الهيثمي ، ابو الحسن نور الدين علي بن ابي بكر بن سليمان المصري (ت٨٠٧هـ- ١٤٠٥م)٠

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتب العلمية ، بيروت١٩٨٨م ٠

الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ - ٨٢٣م)٠

كتاب المغازي للواقدي ، تحقيق ماردسن جونس ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٦٦م ٠

ياقوت ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي(ت٦٢٦هـ-١٢٢٩م)٠

معجم البلدان ، دار إحياء التراث ، بيروت ١٩٧٩م.
اليعقوبي ،احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٩٢هـ –٩٠٥م) ٠
كتاب البلدان ،المطبعة الحيدرية ، النجف ١٩٥٧م ٠
تاريخ اليعقوبي ، دار احياء التراث ،لا.ت ٠
ابو يعلي ، احمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (ت٣٠٧هـ ٩٢٠م)٠
مسند ابي يعلي ، تحقيق حسين مسلم أسد ، دار الثقافة العربية ، دمشق ١٩٩٢م ٠
ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم الحنفي (ت١٨٣هـ –٧٩٨م) ٠
كتاب الخراج ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٩م ٠

المراجع الحديثة

الأحمدي الميانجي ، علي بن الحسين بن علي الأحمدي ٠

مكاتيب الرسولﷺ ، مؤسسة دار الحديث ، طهران ١٤١٩هـ ٠
الآلوسي ، محمود شكري ٠
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، عني بشرحه وضبطه وتصحيحه محمد بهجت الأثري ، مطابع دار الكتاب ، مصر ١٩٤٢م ٠
آغا بزرك الطهراني ، محسن بن علي بن محمد بن رضا الطهراني٠
الذريعة الى تصانيف الشيعة ، دار الأضواء ، بيروت ١٤٠٢ هـ ٠
أوليري ، دي لاسي٠
جزيرة العرب قبل البعثة ، ترجمة موسى علي الغول ، عمان ١٩٩٠م
آي، آشتور ٠
التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى ، ترجمة عبد الهادي عبلة ، مطبعة خالد بن الوليد ، دمشق ١٩٨٥م ٠
التونسي ، خير الدين ٠
أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، مطبعة الدولة ، تونس ١٣٨٤هـ ٠
جرجي زيدان ٠
العرب قبل الاسلام ، المكتبة الأهلية ، بيروت ،لا .ت، ٠
جواد علي ٠
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٩م ٠
حتي ، فيليب ٠
تاريخ العرب ، ترجمة محمد مبروك نافع ، القاهرة ١٩٥٣م ٠
الدوري ،عبد العزيز ٠
مقدمة في التاريخ الإقتصادي العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٨م،
رضوان السيد
الأمة والجماعة والسلطة ، دار أقرأ ، بيروت١٩٨٤م ٠
الزركلي ، خير الدين ٠
الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠ م ٠
سالم ، سيد عبد العزيز ٠
دراسات في تاريخ العرب ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٦٨م ٠
تاريخ العرب قبل الاسلام ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٧٣م ،
سعدي ابو حبيب ٠
القاموس الفقهي ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٨هـ ٠
بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن ٠

مع المصطفى ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٢ م

الطباطبائي ، محمد حسين ٠

الميزان في تفسير القرآن ، قم،لا.ت ٠

العاملي ، إبراهيم سلمان ٠

الأوزان والمقادير ، مطبعة صور الديثة ، بيروت١٩٦٢م

العلي ،صالح أحمد ٠

محاضرات في تاريخ العرب ، بغداد ١٩٦٧م ، ص١٢٤ ٠

التنظيمات الإجتماعية والإقتصادية في البصرة ، بيروت ١٩٦٩م ٠

العمروسي ، فايد ٠

طائر الجنة جعفر بن أبي طالب ، دار الشروق ، بيروت ١٩٧٣م ٠

الفضلي ، عبد الهادي ٠

دروس في أصول فقه الإمامية ، دار الغريين ، الدمام ١٤١٨هـ ، ص٣٢٠.

فلهاوزن ، يوليوس ٠

تاريخ الدولة العربية ، نقله من الألمانية ، محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ١٩٦٨م.

الكتاني ، عبد الحي محمد بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي ٠

التراتيب الادارية ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ج٢ ، ص٢٤٨ ٠

كحالة ، عمر رضا ٠

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٨٨هـ ٠

محمد قلعجي ٠

معجم لغة الفقهاء ، دار النفائس للطباعة ، بيروت ١٩٨٣م ٠

كلود كاهين ٠

تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية ، ترجمة بدر الدين القاسم ، دار الحقيقة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٣م ٠

موسيل ، لويس ٠

شمال الحجاز ، ترجمة عبد المحسن الحسيني،مطبعة الاسكندرية ١٩٥٢م ٠

مونتغمري وات ٠

محمد في مكة ، تعريب شعبان بركات ، المطبعة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا ١٩٥٢م

محمد في المدينة ، ترجمة شعبان بركات ، المطبعة العصرية، بيروت ١٩٥٢م٠

ولفنستون ، إسرائيل ٠

تاريخ اليهود في بلاد العرب ، القاهرة ١٩٢٧ م

هـ٠ج٠ولز٠

معالم تاريخ الإنسانية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مطبعة مصر الجديدة ، القاهرة ١٩٦١م ٠

اليازجي ، كمال ، **معالم الفكر العربي في العصر الوسيط** ، بيروت ١٩٦٠م ٠

الرسائل الجامعية

رحمن حسين علي ابراهيم ، **الهجرة الى الحبشة** ،رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية ، ابن رشد ٢٠٠٤م ٠

المراجع الاجنبية

1- Claude Levy Strauss , Tristes Tropiqus, Paris 1955.
2- Margaliuth, Mohammed and the Rise of Islam , London, 1905 .

CONCLUSIONS

With the help of God , this study , STUDIES IN THE POLITICAL & ADMINISTRATIVI THINKING F PROPHET MUHAMMED IN THE FOUDATION OF THE ISLAMIC STATE ,has been fulfilled .the following conclusions were reached at:

1- The effect of the geographical, economical , religious and scientific factors in building of the human personality in ALhujaaz community . These factors helped to from a set of social values played , at the beginning ,a passive role in the separation of Islam in Mecca and the territories around it, but prophet Muhammad had great contributions in dealing with and tacking these factors in accordance with the new civic thinking.

2- The contribution of prophet Muhammad in the building of the Islamic personality in the individual and the nation, through adopting, intellectual and social patterns in the field of doctrine, prophecy and domain.

3- The study discusses some of the important standpoints in the political thinking of prophet Muhammad , taking an example for that Alfudhool Alliance , its conclusion in House of Abdullah Bin Jad'aan and House of Al'arqam , as well as the non-secrecy of the Islamic Mission , an besides the falsity of Ibn Alkalbi citation about prophet Muhammad visit to the idles and the confirmation of his preservation .

4- The confirmation of the economic lawmaking of prophet Muhammad in respect of their being not only for supporting living, but also for political and doctrinal purposes, because religion is wanted not only four religious but also for circular purposes.

5- Prophet Muhammad addressed the emperors and the kings and made communications with them as a president of a state on the ground of having the right to appoint them heads of their states .

6- He founded a pattern of united international state based on justice and rightness, which its lights prevailed an our the earth instead of the previous scattered one .

UNIVERSITY OF BAGHDAD
COLLEGE OF EDUCATION / IBN RUSHD

POLITICAL & ADMINISTRATIVE THINKING
OF PROPHET MUHAMMAD
IN THE FOUNDATION OF THE ISLAMIC STATE

A DISSERTATION

SUBMITTED TO THE COUNCIL OF THE COLLEGE OF EDUCATION /IBN RUSHID / UNIVERSITY OF BAGHDAD IN PARTIAL FULFILLMENT OF THE REQUIREMENTS FOR THE DEGREE OF PHD ON THE HISTORY OF MOHAMMEDAN CONDUCT

BY
RAHMAN HUSSAIN ALI ALJIZANI ALHHASSAINI

SUPERVISED BY
PROF.DR. ABDUL AMEER ABD DIKSON

1428 A.H. 2008 A.B.